ANCORA IMPARO



العصور

مارس ١٩٢٩ — اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس — العدد ١٩

علاقة الموضوعى بالذاتى

— ١ —

تمهيد

فى القرون الوسطى استعملت كلمة « ذاتى » — Subjective — لتدل على « المادة » — Substance — ولقد أدى هذا الإصطلاح معنى « المادة » فى كتابات « ديكارت » « وسبينوزا » . وكذلك استعملها فى بعض المواضع فى هذا المعنى نفسه الفيلسوف « ريد » — Reid — الانجليزى . ثم استعمل الفيلسوف « وليم أوكام » اصطلاح — Subjective — ليدل على الاشياء الكائنة على استقلال عن العقل . واستعمل اصطلاح — Objective — ليدل على الشئ الكائن فى العقل . ومن هذا نعرف حقيقة ما كان يعنى « ديكارت » باصطلاحه — Realitas objectiva — غير أن الفيلسوفين « كانت » « وفخته » غيرا مدلول الاصطلاحين . فأخذنا اصطلاح — Subject — ليدل على العقل

الذى يعرف . واصطلاح - Object - ليدل على الشئ المعروف وأخذ اصطلاح - Subjective - ليدل على الحالات المتغايرة التى تلابس العقل العارف . وأخذ اصطلاح Objective ليدل على الحالات الثابتة الملابسة لطبيعة الشىء المعروف . لهذا نجد أن الاصطلاحين قد حددا فى الفلسفة الحديثة على الصورة الآتية :

Subjective

[1] Of on pertaining to a subject

[2] Expecially , pertaining to , or derived from , one,s own consciousness , in distinction from external observations ; relating to the mind , or intellectual world , in distinction trom the outward or material , excessively occupied with or brooding over , on's own internal states

[3] In the philosophy of the mind subjective denotes what is to be referred to the thinking subject , the ego , Objective what belongs to the object of thought ; the non- ego

Objective

Of or pertaining to an object , contained in or having the nature or position of , an object outward , external , extrinsic , — an epithet applied to whatever is exterior to the mind , or which is simply an object of thought or feeling and opposed to subjective .

هذا محصل ما وقفنا عليه فى المعاجم الفلسفية نثبته هنا لعلنا نستطيع بعد هذا التحديد أن نجعل موضوعنا الذى نكتب فيه حدودا لا تلتبس مع الحدود التى لابست هذين الاصطلاحين فى القرون الوسطى وفى بدء النهضة الحديثة فى أوروبا

ولا يفوتنا أن نذكر أن العرب لم يعرفوا لهذين الاصطلاحين حدودا معينة فى صور الفلسفة التى وصلت اليهم أو نقلت عنهم مع أنهم كانوا فى أواخر أيام مدنيتهم فى حدود القرون الوسطى . ولعل السبب فى هـــذا أن النهضة فى أوروبا لم تدرك العرب الا بعد أن كانوا قد انصرفوا عن العمل العلمي والانتاج العقلى ، فلم يأبهوا للجلبة التي قامت من حولهم فى أوروبا الوسطى

نمهد بهذا لأننا كتبنا فى (عصور) فبراير الماضى مقالا فى «حدود المعرفة وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانسانى» أحطنا فيه بالحدود التى يفرضها العقل فى ثوبه الحديث للمعرفة الانسانية ونحن ان عقبنا اليوم بهذا المقال الذى نحاول فيه أن نحد علاقة الموضوعى بالذاتى، فانما نعقب به ليكون حلقة أخرى من سلسلة ابحاث مستقلة يخرج منها الباحث فى النهاية بصورة محدودة تحتز فى ذهنه عن الفروق الكائنة بين المدركات والمحسوسات، كما كانت تتركز علاقاتها فى العقل الانسانى خلال العصور الاولى وكما هي مرتكزة فيه اليوم

منه لم يقتصر الاختلاف بين الفلسفتين القديمة والحديثة على تغاير فى الاساليب الفكرية أو المقاييس العقلية التى كانت تتناول حقائق الاشياء وقيمها الواقعية والعقلية لا غير بل تعدى الاختلاف كما رأينا من قبل الى المصطلحات فبدل من معانيها وغير من مدلولاتها وليس من قصدنا أن نقول بأن مدلولات المصطلحات القديمة قد تغيرت من غير أن يكون لتطور الافكار ذاتها أكبر سلطان على هذا التغيير فان اتجاه الفكر فى نواح خاصية كان سببا من أن يجعل من تلك المصطلحات أدوات جديدة يتخذها ذريعة للتعبير عن حقائق كونية أو معقولات، قد تؤدي لدى الظاهر معان غير تلك المعانى التى اصطلح عليها فى مختلف فروع العلم والمعرفة عامة

فان كلمة Subject مثلا أخذت فى النحو على أن تكون فاعلا وكلمة Object أخذت على أن تكون مفعولا وكذلك تجد فى الكلام الدارج أن كلمة Subject أخذت لتدل على «موضوع» البحث، كما أخذت كلمة Object لتدل على «الاشياء» مجردة عن كل تحديد ولقد رأينا كيف أن هذين الاصطلاحين قد أديا من الفلسفة المدرسية خلال القرون الوسطى، ومن مفتتح النهضة الحديثة منذ ديكارت معان ودلائل على معقولات تختلف كل الاختلاف عن المعانى والمدلولات التى تؤديانها فى الفلسفة الحديثة

وإذا تتبعنا تاريخ تطور هذين المصطلحين وما أدياه من المعانى خلال الازمان المتتالية، خرجنا من ذلك ببحث طريف لا نقع فيه على اختلاف مناحى اللغة وما تطور اليه مفرداتها من المعانى المختلفة، بل نعثر خلاله على تدرج الفكر نحو تحديد المعانى التى تؤديها المصطلحات على مقتضى ما يقوم فيه من حاجات للتعبير عن فكرات

خاصة أو معقولات يكونها التدرج فى الوقوف على حقائق الطبيعة والحياة.

النظام الكونى عالم الموضوع

قد يلتبس على البعض، حتى مع ماادلينا به من شرح ، التفريق بين الموضوعى والذاتى . فالذين يقولون مثلا ، ان كل ماخرج عن ذاتك فهو موضوعي ، يخطئون . لأن الذات موضوع لا شيء مجرد ولهذا نجد أن تحديد الفرق بين الذاتى والموضوعى يحتاج الى شيء غير قليل من الاستبصار وطول التأمل

والواقع أن الجرى على هذين الاصطلاحين فيه شيء غير قليل من الغموض لامناص منه ولاحيلة فيه . وليس ذلك براجع الى شيء فى مدلول « الموضوعى » بل فى مدلول «الذاتى» فان اصطلاح « الذاتى » يؤدى فى العربية على الاقل - الى لبس وابهام . فان «ذاتك» موضوع ينطبق عليه كل ما ينطبق على بقية الذوات - ناطقة وغير ناطقة - حية اوجامدة - التى يتضمنها هذا الكون الفسيح .ومن هذا يأتى اللبس ويقوم الابهام . غير أنك اذا اردت أن تتنكب هذا اللبس ففرق بين «ذاتك» باعتبارها « موضوعاً » وبين مايتعلق بذاتك ، باعتبار ان هذه المتعلقات اشياء مجردة. ولاجرم ان ذاتك شيء وما يتعلق بها شيء آخر. وهنا يقع التفريق الحقيقى بين موضوع ذاتك وبقية الموضوعات كلها ، وبين ما يتعلق بذاتك من المجردات

ولنرجع الى سبينوزا، قليلا ، لعلنا نستطيع أن نتخذ من فلسفته شيئا ينير لنا سبيل التفرقة بين الذاتى والموضوعى. فانه لما عجز عن ان يعرف «الله» تعريفا خارجا عن اوصاف الذاتية البشرية وخصائصها قال بان «الله» امتداد وفكر .غير انه فى الحقيقة لم يعرف «الله» كما قال دكتور « مارتينو» بل عرف « الانسان» احسن تعريف . فالانسان فى الواقع امتداد وفكر :فامتداده واقع فى عالم الموضوع .وفكره واقع فى عالم الذات

الانسان مظهر الطبيعة الاوحد الذى يجتمع فيه الذاتى والموضوعى بل نقول بانه لو لا الانسان لما كان فى العالم من شيء يستطيع أن يفرق بين مايقال له الموضوع ، «وخصائص عقلية » لانعلم بالتحقيق مقدار علاقتها بناحيته الموضوعية ندعوها الذاتيه . هذا على مقدار مالدينا من علم بنظام الكون وأحيائه فى الحالة الحاضرة

من هذا التحديد تستطيع أن تفرق بسهولة بين الموضوعى والذاتى، ولهذا نبدأ البحث فى النظام الكونى باعتباره عالم الموضوع و باعتبار ان الانسان من حيث هو امتداد احد مظاهر تلك الموضوعية الشاملة ونبدأ بالتعريف فنقول

« الموضوعى على اطلاق القول يتضمن كل شىء يقع فى عالم الامتداد والذاتى يتضمن كل ما يقع فى عالم الفكر »

اونقول : « الموضوعى عالم اللانفس - والذاتى عالم النفس »

غير انى افضل التعريف الاول لما فى كلمة « النفس » من الاستغلاق على كل من يريد أن ينظر فى النظام الكونى نظرة موضوعية صرفة فى حين ان الفكر ولو انه يعادل اصطلاح النفس من حيث القيمة .ورأيت انه اصح تعبيرا عن حالات يشعر بها كل فرد شعورا دائما . وكذلك نجد ان الفكر يعبر اقوم تعبير عن كل الحالات التى تختص بها النفس ، اللهم الا اذا اراد البعض أن يحصر اصطلاح الذاتى فى دائرة ضيقة فيجعله قاصرا على فكرة الانانية Egoism وهذا المعنى قد قصر عن التعبير عن كل المناحى التى يقصدها الفلاسفة الآن من اصطلاح « ذاتى »

فاذا رجعنا الى بحث النظام الكونى باعتباره شىء الموضوع وقفنا على اشياء لانستطيع مهما قلبنا وجوه الرأى فيها الآن نسلم بان تحديد موقعها من العالمين الموضوعى والذاتى، غير هين . لديك فى النظام الكونى فرض وجود «الاثير» مثلا او فرض وجود الجاذبية الكونية - اوفرض : انحناء المكان : اوفرض البعد الرابع فى النسبية: ففى اى من العالمين تقع هذه الاشياء؟ يعتقد العلماء والفلاسفة ان هذه الفروض ضرورية لتفسير ظاهرات كونية لا مفسر لها بغير ذلك وكذلك يسلم العقل تسليم ضرورة بوجود مبدأ أو مبادىء يرجع اليها النظام أو أى جزء منه . فاذا « فرضنا » بأن هذا المبدأ هو الاثير أو الجاذبية أوانحناء المكان أو البعد الرابع فى النسبية ، لم نخرج من ذلك بأكثر من أن هذه فروض « ذاتية » نعلل بها أشياء فى عالم « الموضوع »

فاذا صح الفرض وثبت بالاساليب العلمية خرج عن « الذات » ولحق بالموضوع.
أما إذا أعوزه البرهان على الاساليب العلمية ، ظل مترواحا بين العالمين ، بين أنه صحيح من الوجهة الموضوعية ، وبين أنه معتقد قائم على اقتناع أو مرجحات ذاتية

اسماعيل مظهر

شكسبير

اجتمع لدينا مقالان عن شكسبير كلاهما نقد تحليلى . أما الأول ففى آراء شكسبير السياسية منقولا عن الأستاذ كارلو فورميتشى الايطالى ، والآخر تمثيل لشكسبير فى رواية يوليوس قيصر . ففضلنا أن لانفصل بينهما وأن نجعلهما كلا يحوى جزأين.

آراء شكسبير السياسية

« ترجمة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ كارلو فورميتشى بجامعة روما لمناسبة الحفلات التذكارية للعيد المئينى لشكسبير »

حين أراد « بن جونسون » Ben Johnson ـ زميل شكسبير وصديقه ـ أن يحيى ذكرى صديقه دون أن يزهو به . لم يستطع إلا أن يقول « ما كان شكسبير لعصره فقط وإنما كان لجميع العصور » ولم يكن ذلك الكلام بيتاً جميلا من الشعر فقط ، بل أنه يشتمل على حقيقة بالغة : وكانت تلك العبارة نبوءة صادقة ، ذلك لأن القطع التمثيلية التى وضعها شكسبير ما يزال ضوؤها ساطعاً يستنير به الانسان ، وستظل كذلك إلى الأبد ؛ وإنها لأعظم ما جادت به انجلترا على الانسانية حتى الآن ؛ بل إنها يجب أن تكون للتاج البريطانى أحدى كفتى ميزان كفتها الأخرى الأمبراطورية الهندية بأسرها ؛ ولقد تخيل توماس كارليل ـ فخر الوطنية البريطانية غير مدافع ـ سؤالا غاية فى الطرب واللذة حين زعم أنه لو سئل انجليزى عما قد يرضى النزول عنه إذا اضطر الى ذلك : أهو نسبة امبراطورية الهند إلى انجلترا أم نسبة شكسبير اليها ؛ وحينئذ فلن يسع الانجليزى الذى يلقى عليه مثل هذا السؤال الخيالى إلا أن يجيب « بامبراطورية الهند أو بغير أمبراطورية الهند فنحن لا نستطيع بأى حال أن نعيش بغير شكسبير » ؛ وذلك السؤال وهذا الجواب ، على ما بهما من استحالة وتسلية ، يدلان على المكانة التى تضع فيها الأمة البريطانية شكسبير

، ما كان شكسبير لعصره فقط ، وانما كان لجميع العصور ، هل ممكن أن ما يكتبه شخص مايظل حقيقة خالدة أبد الدهر أليس العالم فى تغير مستمر وتقدم مطرد وأعظم علماء الطبيعة أو الرياضيات من اليونانيين القدماء : لاترى أنه ينبغى أن يتلقى العلم على خريجى مدارس هذا العصر وجامعاته وماذا يستطيع شكسبير أن يعلمنا نحن الذين نعلم أكثر مما كان يعلم وهل هناك ، أم هل يمكن أن يكون ثمة حقائق خالدة فى هذا العالم

إن رجل العلم مهما أوتى منه لابد من أن يجيء من أخلافه من يبزه علما ، بينما ميزة الشاعر أو الفنان أنه يستطيع الصعود إلى قمة لايدانيه فيها مدان. تعجب به وتقدسه كل الأجيال التى تأتى من بعده . ذلك لأن الطبيعة الخارجية ، التى هى دائرة أبحاث رجل العلم ، تنكشف شيئاً فشيئاً وقطعة قطعة أمام المفكرين والباحثين فيها . وما العلم فى الواقع إلا حديقة تتوارث ثمارها وتتزايد شجيراتها فى اطراد دائم لايتوقف عن النمو بأى حال

وعلى العكس من ذلك دخائل الأشياء النفسية فى هذا العالم ، لا سيما دخيلة نفس الانسان . فهى وحدة يكشف حقيقتها ويزيح عنها الستار ذلك الرجل العظيم ، نبى الشعر . وافضل مخلوقات الله طراً ، بل ذلك الذى يزاحم الله نفسه . إن الشعر والفن كليهما يأبى الحصر والتحديد ، ذلك لأنه وحيد نفسه ، مستقل فى نوعه ، وشيء كامل بذاته : وهو خالد أبد الدهر ، لأنه يوضح النفس التى لا تعرف التغير

وماذا تقول فى أهواء الناس ؟ إن الشمعة قد حل محلها مصباح الغاز الذى لم يلبث أن تخلى من مكانه لثريات الكهرباء ؛ والسكة الحديدية قد حلت محل عربات البريد ؛ ولن يمضى وقت طويل حتى تجلوها عن مكانها السيارات والطائرات ؛ ومع ذلك فان الحب ، والكراهية ، والطمع ، والخوف ، والحسد ، والجشع ، والبخل والاسراف وما شابه ذلك مازالت جميعها هي هى . لا تختلف النفس البشرية فى عربة البريد عما هى داخل عربة السكة الحديد ، وليس يفيدها ضوء الكهرباء بأكثر مما إذا كانت تضيء حوالى الجسم الذى يحتويها شمعة ضئيلة ، وإذن فقد تطور كل شيء فى هذا العالم ، ما تقدم منه وما تأخر ، إلا النفس البشرية ، النفس الداخلية مازالت باقية بغير حول.

لقد أفصح لنا شكسبير عن الأهواء الانسانية فأرانا ذلك المحور الثابت الذى يدور حوله العالم منذ نشأته ، وهذا هو السبب فى أنه لم يكن لعصره فقط ، وإنما كان لجميع العصور ، يقول البعض إن إماطة اللثام عن الاهواء البشرية ليس معناه أن الشاعر كان

يرمى الى تعليمنا العدل ويقصد بنا الى الكمال . إن الفضيلة والرذيلة تجدهما ظاهرين ظهورا تاما بعناية وإخلاص متساويين فى جميع مقطوعات شكسبير المسرحية . ولست تستبين بجلاء ما إذا كان ذلك الشاعر العظيم يميل الى جانب الخير أو ينأى عنه الى جانب الشر ، وهو إنما أراد أن يظهرنا على حقيقة هذا العالم الواقعة دون أن يقول لنا مطلقا ماذا ينبغى أن نكون . فشخصية « ياجو » قد رسمها بنفس الدقة التى رسم بها « هملت » ، ولم تكن عنايته باخراج « لادى مكبث » بأقل من عنايته فى اخراج « كورديليا » وكما أنه قد يكون معقولا أن نحكم بأن الاقوال التى ينطق بها « فالستاف » أو « تشستون » إنما هي آراء شكسبير الشخصية ، كذلك يكون معقولا أن نستنتج أن كلام « بروسبيرو » او « الملك لير » ماهو إلا آراء شكسبير الشخصية أيضا !

إن الشاعر الاديب يجوز له بل يجب عليه أن يعرب عن شعوره وآرائه وآماله ، ولكن الكاتب (المؤلف) المسرحي على العكس منه يجب عليه أن لا يبدى شيئا من ذلك على الاطلاق . وكلما كان بعيدا عن ابداء شعوره و آرائه وآماله كان أقرب الى الاجادة والكمال

وعلى ذلك يكون من خطل الرأى وتضييع الجهود محاولة معرفة دخيلة نفس الرجل شكسبير وماذا كانت معتقداته وميوله . وما كان يستحسنه أو ما كان يستهجنه من مجرد عرضه لشخصيات متباينة فى قصصه السبعة والثلاثين . ولقد كان الشاعر يميل الى الدعابة على لسان أشخاصه ويلذ له أن يختفى وراءهم لا يكشف عن حقيقة نفسه كأنما هو أعجوبة أو ابو الهول : وجميع قصصه ان لم تكن تخلو من مغزى أدبى فانها على الأقل لا تكترث لذلك المغزى ، بل أنها حقيقة بأن تنمى غرائز الخير والشر على السواء فى جميع قرائه

ومع أن امتناع المؤلف المسرحى عن ابداء رأيه أمر ضرورى ، فان الامتناع التام المطلق غير مرغوب فيه إذ هو خليق بأن يلبس القصة ثوبا كثيفا من القتامة والبرودة . وألذ ما فى مقطوعات شكسبير ، الحماس والحرارة اللتان تثاران فى نفوس النظارة والقراء . ومع أن ذلك الحماس وتلك الحرارة لم يجيئا نتيجة استقراء على ان ذلك الشاعر العظيم بكشفه لنا عن دخائل النفس البشرية يسوقنا معه الى أن نحب ما يحب وإلى أن نكره ما يكره . بيد أننا يجب أن لا ننسى أن شكسبير إلى جانب

كونه مؤلفا مسرحيا - كان شاعرا غزليا كذلك ، وأن له فى هذا الباب مقطوعات عدة وقصيدتين مطولتين : الزهرة : وأدونيس Venus & Adonis ، وخلاصة الخلاصة و Rape of Lucrece ، وفي جميع قصصه المسرحية عندما يكون الموقف موقف هوى نفسى مبرح . أو نداء من أعماق الضمير مما يحتاج فى وصفه الى غزل خيالى ، فاننا لا ريب واجدون في أمثال تلك المواقف شعاعا أصيلا من دخيلة نفس شكسبير ، فشخصية «شيلوك» لم تخلق في صورة متمسكة بأهداب القانون العام تمسكا حرفيا إلا لكى تستطيع «بورسيا» أن تردعليه الحجة بتلك الالفاظ السامية الصادقة التى تنم عن حقيقة دخيلة نفس شكسبير وعقيدته التى يدعو اليها . فتجد شكسبير يتخذ من «بورسيا» واسطة ليذيع رأيه وعقيدته فى صيغة غزلية . فيجعلها تتغنى بالرحمة قائلة :

تتساقط مثل الندى من السماء :
فوق الاديم : بوركت مرتين :
هي حسنة لمن يعطى ، ونعيم لمن يأخذ.
إن عرشها فى قلوب الملوك :
وهى صفة من صفات الله ذاته .
تصبح قوة البشر مثل قوة الله :
حين تمتزج العدالة بالرحمة :

It droppeth as the gentle rain from heaven
Upon the place beneath ; it is twice blessed ,
It blesseth him that gives, andhim that takes..
It is enthroned in the hearts of kings ,
It is an attribute to God himself ,
And earthly power dloth then show likest God's,
When mercy seasons justice .

إن من لا يستمع لنداء شكسبير الصارخ فى هذه الكلمة يكون أصم عزيز شفاؤه.
إن شكسبير يرسم الفكرة مثل النقاش أو المصور الذى يستخدم الظل ليجعل الضوء أكثر وضوحا

وليس بصحيح اذن أنه لا يميل إلى تأييد أى شخص أو أية فكرة ، وانما هو دائما الى جانب الخير ، ومحب للحقيقة العارية ،كريم النفس، نبيل الخصال ، وهو يحملنا على ان نحب «لير » و« كورديليا »لأنه بدأ يحبهما،ويدفعناالى احتقار «نريل» و « ريجان » لأنه بدأ باحتقارهما

شكسبير لا يريدنا إلا ان نفهم أن قيمة الرجل هى عمله ، وأن عمله انما هو نفسه

على أن مايجب التسليم به هو أنه ليس من السهل أبدا العثور على حقيقة فكر ذلك الشاعر . مثال ذلك أن أحدا لن يجرؤ على الجزم بحقيقة معتقدات شكسبير الدينية ، أكان حقيقة بعيدا عن الكاثوليكية بقدر ماهو قريب من البروتستانتية هل كان يعتقد بوجود الأله الذى صورته الاديان ويؤمن بخلود الروح ويصدق بوجود جهنم وجنة الحق انهذه الاسئلة جميعها مازالت اجوبتها تصاغ فى صورة من الشك تجعلها لا تزال عرضة لكثير من الاخذ والرد

وقد يكون مايحيط بشكسبير من غموض فى تلك الناحية من اكبر البواعث على سرورنا أذ نجد أنفسنا نستطيع معرفة آرائه السياسية معرفة خالية من اى شك غير قابلة لشىء من البحث والجدل . على أن تقدير هذه الآراء ،سواء أ كانت جديرة بأن تكون مرشداونموذجا يسار عليها ، أومن حيث قيمتها التاريخية ، فهذا امر متروك للتقدير الشخصى لكل باحث فيها

وهذا الضعيف (المحاضر) إذ يضع نصب عينيه ذلك الادراك الشكسبيرى الذى استطاع الوصول الى قاع الحقيقة ،والتنبؤ سلفا بمصائر الامور بمجرد ظهور بوادرها حتى لينطلق حكمه على عصرنا الحاضر ، أقول إن من كانت هذه شيمته ، فانى لاشعر بسعادة فارطة اذ أجلس الى قدمى ذلك المعلم تلميذاً حتي فى آرائه السياسية ، ذلك لأنه « لم يكن لعصره فقط ، وإنما كان لجميع العصور »

لقد أحب شكسبير وطنه انجلترا أكثر من كل ما عداها فى هذا العالم ، وعنده أن الوطنية شعور غرسته الطبيعة فى قلب الانسان وأنها فضيلة يجب أن تتعهد بالاحياء ويستمتع ويفاخر بها ، والواقع أن الشيوعية الدولية لم تلق من شكسبير أى عطف أو ميل رغم أن كثيرا من زملائه من معاصريه كانوا يميلون الى هذا المذهب أمثال ليلى Lyly وجرين Greene وبيل Peele

ويتبين مقدار غرام الشاعر بوطنه فى وصفه له : « تلك الشواطىء الشاحبة ، بيضاء الوجه التى تدفع بقدميها جزر المحيط الزاخر » . وفى موضع آخر « ذلك الحصن ذو الجدران المائية ما يزال آمنا مطمئنا عزيز الجانب على المطامع الاجنبية » (الملك جون الفصل الثانى المنظر الاول) وقد أطلق شكسبير على انجلترا « عدن ثانية . نصف جنة . مرتع سعيد للناس ، عالم صغير . حجر كريم مركب على البحر الفضى ، بقعة مباركة . أرض النفوس الغالية : الارض العزيزة جد عزيزة عزيزة السمعة فى العالم » (الملك ريتشارد الثانى المنظر الاول من الفصل الثانى) وقال « لاشىء يحملنا على الاسف مادامت انجلترا تعتمد على نفسها مخلصة » (الملك جون الفصل الخامس المنظر السابع) وعند شكسبير أن الرجل « الذى صيغت قوائمه فى انجلترا » هو أفضل الرجال حمية ونخوة وبأسا (هنرى الخامس الفصل الثالث المنظر الاول)

على أنه ما فائدة الاكثار من الاستشهادات هنا ! إن جميع أعمال شكسبير مفعمة بالحرارة الوطنية والتفاخر بها . إذ مما لا ريب فيه أن كل أمة حين تستهدف لتهديدات خطيرة من أعداء خارجين ، وحين تواجه مسائل عويصة تتوقف على حلها حياة تلك الامة ووجودها ، يجب أن تطالب بالطاعة التامة العمياء أبناءها الذين يجب عليهم أن ينزلوا لها طائعين مختارين عن حريتهم الشخصية ضحية على مذبح الوطنية : فلن تنال العظمة بغير التضحية . وقد كانت الحاجة الى تلك الطاعة التامة العمياء من الافراد إلى الدولة على أشدها خلال حكم الملكة اليصابات وكانت نتيجة تحقيقها عظمة الامة البريطانية . ولقد ذكر المستر تريفليان فى كتابه الحديث « تاريخ انجلترا » ـ ذلك الكتاب القيم حقا ـ « لقد اضطر التاج (البريطانى) الى اللجوء إلى وسائل عنيفة عقب اخضاع ملكية تيودور الكنيسة لسلطتها . . ففى المسائل الدينية والسياسية وضعت الحكومة من القيود والاغلال وفرضت من العقوبات والقصاص مالا يقل صرامة عما حطمته منها ، فلم يكن مباحا للكاثوليك ولا المتصوفة أن يعبدوا الله كل بحسب معتقده ، ولم يكن يسمح بقيام المعارضة فى المسائل السياسية كما أنه لم يكن أحد يستطيع أن يوجه نقدا ضد الحكومة حتى أن ذلك الوطنى المخلص جون ستبز John Stubbs عندما أخرج رسالة ينصح بها الملكة ألا تقترن بالامير الفرنسى « النسون » وقطع

السياف يده اليمنى رفع ذراعه الأجدع يقطر دما وصاح « لتحى الملكة » .. على أن قوة التاج لم تكن تعتمد على القوة بل على تأييد الشعب . ذلك أن الناس كانوا راغبين فى أن يستمر التاج مزاولا تلك الاجراءات التعسفية حبا فى المصلحة العامة » (ص ٣٦٥ و ٣٦٦ من كتاب « تاريخ انجلترا »)

ولقد كان وليم شكسبير واحدا من أولئك الذين أيدوا التاج وعضدوه ، ولقد وجدت قاعدة السيادة . وضرورة التدرج فى المراتب . ونعم النظام والتأديب - وجدت فى شكسبير أكبر مدافع عنها ، وأفصح معبر عن وجوب قيامها

وليست أنشودته التى يترنم فيها بمحاسن « النظام » بأقل بهجة ورواء من ترنيمته عن « الرحمة » التى سنح لنا الحديث بإيرادها فيما سلف ، وهاك أنشودة « النظام » :

« إن السماوات ذاتها ، والكواكب . وهذا العالم الارضى ، تراعى جميعها الترتيب والاولوية والمكان ، والاصرار والسير فى العمل والتناسب والفصول والاشكال والتقاليد . هذه كلها أفضل ماتكون عندما تجىء فى انسجام

« خذ لك مثلا ذلك الكوكب الساطع : الشمس . تراه جالسا على عرشه الفخم تحيط به الكواكب الأخرى الاقل سطوعا ، يفيض عليها بلألائه فينير ظلمتها ويؤلق حالك ديجورها . ولكن عندما يختلط حبل تلك الكواكب فى ساعة نحس فأى وباء وأية نقمة !! أية مصيبة تقع ! بل أى ثورات تثورها البحار ، وأية هزة عنيفة ترج الأرض ! ! أى اختلاط فى الريح ! إن العالم بأسره ليختلط فيه الحابل بالنابل لمجرد وقوع خلل فى النظام الذي تسير عليه تلكم الكواكب . « إذا ما انفرط عقد النظام الذى هو السلم لكل غاية سامية ، فلاشك أنه لن يستطاع الوصول الى تلك الغاية »

« وكيف يكون حال الجماعات والهيئات ؛ وماذا تفيد المدارس والنقابات ، وكيف يؤمن على التعامل والمبادلات : إذا لم يحط بها النظام وتقوم على أساسه

إنك إذا خلعت قلادة « النظام » عن جيد أى شىء لاصبح مثل الآلة الموسيقية غير الموزونة ، وحينئذ فأى صوت يخرج من تلك الآلة

« خذ « النظام » من بين الارض والماء ، وهب أن الماء ارتفع على الأرض : إذن تصبح تلك الأرض الصلبة عجينة رخوة ، كذلك تصبح القوة سيدة العجز ، فتدفع

الولد العاق الى ضرب أبيه حتى يموت ، وإذا ما أصبح الحق للقوة : لم يبق ثم خطأ ولا صواب (وبين كليهما تقيم العدالة) فيفقدا إسميهما وتضيع العدالة معهما .

، واذا كانت القوة هي كل شيء في هذا الوجود فالقوة تأتي من الارادة ، والأراة من الشهوة . والشهوة : ذلك الذئب البشري . اذا ما استحال الى قوة أصبح العالم فريسة الشهوات ، ويأكل الناس بعضهم بعضا حتى يأكل الاخير نفسه .

وحب شكسبير للنظام والقصاص يعدل في عمقه كرهه للفوضى واختلال الاحكام . على أن دفاعه عن النظام في الصورة الايجابية التي أوردنا ذكرها في أبياته السالفة لا يبلغ من القوة ما يبلغه دفاعه عنه في الصورة السلبية حين يحمل على الفوضى في خلال قصته ، الملك هنري السادس : الجزء الثاني ، : ومن المعقول أنك اذا أردت أن تحمل الناس على حب النظام واعتباره شيئا لازما للحياة أن تبدأ أولا بتعريفهم ما هو عدم النظام (الفوضى) . ويمكننا القول بأن المواقف التي صورها فيها شكسبير ذلك الشيوعي جاك كيد Jack Cade وأهوال المذابح الفوضوية التي ترتبت على خلل النظام بسببه ـ تكاد تكون تلك القطعة مكتوبة في هذا العصر . وينبغي أن توضع في المكان اللائق بها في دراساتنا التحليلية . حتى ليجب أن تحفظ عن ظهر قلب من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ والعمال ورجال الدين على السواء . وها أنذا أقص عليك طرفا منها وأنا على ثقة من أني سأثير سرور من لم يسبق له أن اطلع عليها . كما أني لن أسيء إلى من سبقت لهم قراءتها حين أعيد على اسماعهم قطعة من أرقى ما كتب في الادب مما قرؤه في حياتهم

هنري السادس ملك ضعيف . ضعيف إلى حد أنه يعاف القوة . يقول عن نفسه « ليس بين الرعية من يشتهي الملك بقدر ما أشتهي أنا أن أكون في عداد الرعية » (الفصل الرابع) وهذا الضعف الشديد هو الذي يزرع الفتنة ويلهب المطامع ويثير المؤامرات ، لأن « من لا يعرفون أن يحكموا تجب عليهم الطاعة » . ويرى دوق يورك (عم الملك) أن « نشأته أسمى من نشأة الملك » فيذهب إلى ايرلندا ويجمع حوله عددا من الانصار ، وفي الوقت نفسه يسعى لاثارة زوبعة في انجلترا ، فيقع اختياره على قسيس على شاكلته هو « جاك كيد » من « أشفورد » فيبعثه

لدس الدسائس واثارة الفتنة تحت إسم مستعار هو « جون مورتيمر » الذى مات ولكنما كان « كيد » يشبهه كل الشبه ، في شكله ومشيته وحديثه ، و « كيد » هذا من أصل وضيع ؛ أبوه بناء وأمه مولدة ، وكان الناس يطلقون عليه « جاك كيد » بائع الثياب القديمة (روبابكيا) ويزعمون أن زوجته إبنة أفاق وأنها كانت تبيع الاشرطة والسجف ولكنها الآن وقد أصبحت عاجزة عن تحمل مشاق السفر قبعت فى دارها تغسل الثياب للناس ، على أنه لم يكن ثمة أحد يستطيع أن ينكر على « جاك كيد » أنه لا يهاب السيف ولا النار ، وأنه شجاع مقدام ، والواجب أن يكون جسورا .. لأن التسول إن هو إلا جسارة .

ينجح « جاك كيد » هذا فى عمله ويجمع حوله جيشا من العمال الصباغين والقصابين والنساجين ومن هم على شاكلتهم . وينتحل لنفسه أنه حفيد أسرتى « مورتيمر » و « بلانتجنت » ، ويعد أنصاره بأصلاح الدولة وخضد شوكة الملوك والأمراء والنبلاء وبأن يضع مكان هؤلاء نظام الشيوعية ، ويستثير حماس جنوده قائلا لهم : « كونوا شجعانا إذن ، لأن قائدكم شجاع ، وقد أقسم على أن ينفذ الأصلاح المنشود : وحينئذ سوف يكون الخبز سبعة بقرش ، الخ الخ ..

وعندما أصبح ملكا عليكم (لأنى سوف أكون ذلك الملك) .... » فيصيح جنوده « رعى الله جلالتكم ! » ويجيبهم هو « أشكركم أيها المجاهدون الأبرار : سوف لا يكون ثم نقود : ستطعمون جميعكم وتشربون (على حسابى) وذلك على قدم المساواة كيما تحبوا بعضكم كالأخوة وتنزلونى منكم منزلة أبيكم » .

ثم يحدث أن يقترح أحد القصابين ـ واسمه « ديك » ـ ويوافقه « جاك كيد » على قتل جميع رجال القانون ، وكل من يضبط متلبسا بجريمة القراءة والكتابة وعمل العمليات الحسابية ، وإذن فقد أشهرت الحرب أول ما أشهرت على العدالة والتعليم . وبناء على ذلك يقبض على كاتب فقير ويسجن ثم يؤتى به أمام جاك كيد فيحاكم ويحكم عليه على الطريقة الآتية :

« س ـ هل اعتدت أن تكتب اسمك ؟ وهل لديك ما تميز به نفسك كما يفعل الرجل الشريف »

ج ـ اشكر الله ياسيدى على أنى نشأت نشأة حسنة و أنى استطيع أن أ كتب اسمى

الجميع : ها هو قد اعترف ، فخذوه وغلوه ، ويح الشرير ! ويح الخائن !

ويقول كيد : نعم ، نعم ، خذوه ! اقول لكم خذوه وعلقوه فى المشنقة ، وقلمه ودواته حول رقبته »

فى ذلك الوقت تتقدم قوات الملك يقودها الضابطان « همفرى » و « وليم ستفورد » : ويبذل هذان الضابطان كل جهد لاقناع الشعب الثائر ليعود إلى الاخلاص والولاء للعرش ولكنهما يفشلان فلا يجدان بدا من محاربة الثوار فيعودان ليستعدا للقتال

ولا يضيع جاك كيد الوقت سدى فيقبل على اتباعه والأنصار ويخطبهم قائلا « أنتم يامن تحبون الشعب اتبعونى . هيا فاظهروا أنفسكم الآن رجالا فى سبيل الحرية : يجب أن لا يفلت من بين أيدينا أى واحد من اللوردات أو النبلاء . لاتبقوا على أحد إلا من صار فى صفوفكم ... أولئك الأشراف المترفون يودون لو كانوا فى مكانكم ولكنهم لا يجرءون »

و يجرؤ « ديك » القصاب حينئذ على مقاطعة قائده إذ يرى قوات الملك تتقدم نحوهم فيصيح قائلا « أنهم يتقدمون للهجوم علينا فى نظام محكم » فيجيبه كيد فى وثوق الشجاع المقدام المعتد بنفسه « انا أفضل ما نكون نظاما حين نسير بغير نظام ... هيا يارجال سيروا إلى الأمام ! ! » (الفصل الرابع)

يتقاتل الفريقان فتنهزم قوات الملك ويذبح كل من « همفري » و « وستفورد » وحينئذ لم تبق أمام « كيد » عقبة تعوقه عن مواصلة السير إلي لندن . غير أن صديقه الأمين « ديك » القصاب يشير عليه من طرف خفي أن يفتح أبواب السجون ويطلق سراح المسجونين فيقترح « كيد » هذا بل يأمر به

وما يكاد القائد الشيوعى يطأ لندن بقدميه حتي يصطف حوله أنصاره فى « كانون ستريت » (شارع المدفع) ويقف هو بينهم خطيبا قائلا :الآن قد اصبح « مورتيمر » حاكم هذه المدينة وسيدها ... و هاأنذا الآن وأنا واقف فوق هذا الحجر فى ركن من احد شوارعها آمركم وأطلب اليكم ان تعملوا طبقا لرغبتى فتجعلوا هذا اليوم ـ الذى هو اول أيام حكمى ـ يوم عيد عام ، يجرى فيه النبيذ بدل الماء .... وسوف تعتبر خيانة عظمى ابتداء من اليوم ، مناداتى بغير « اللورد مورتيمر »

ومن سوء حظ جندى مسكين أنه لم يسمع ذلك الخطاب ، فلما أقبل هذا الجندى التعس بعد الانتهاء من الخطاب ، ليبلغ رسالة الى القائد ناداه صارخا جاك كيد! جاك كيد ،
ـ خذوه بعيداعنى ! وليعدم حالا !! هكذا نفذ اللورد مورتيمر أمره ، فلم يلبث ذلك المنكود الحظ ان اصبح جثة هامدة

فى هذه اللحظة يتقدم « ديك » القصاب و يقول:

ـ مولاى اللورد : إن جيشا يتجمع فى سمثفيلد

ـ تعال إذن لنذهب الى محاربتهم . ولكن عليك ان تذهب أولا الى كبرى لندن فتشعل فيه النار . واذا استطعت فاحرق البرج كذلك. وانتم يارجالى هيابنا. اتبعونى .

يتبدد الجيش المتجمع فى سمثفلد ، ويصبح «كيد» تقريبا الحاكم لمدينة لندن فيتقدم اليه ديك القصاب فى خضوع وخشوع إن « لى رجاء اذا سمح سيدى اللورد بابدائه » فيجيبه كيد « لو أنك طلبت منى أن أجعلك لوردا من أجل هذه الكلمة لفعلت » يقول ديك « إن كل ما أرجوه هو أن يكون قانون انجلترا من مخارج فيك » . . . وحينئذ يهمس جون ـ أحد رفاق كيد ـ فى أذن زميله سمث الغزال « ويح تلك القوانين التى تصدر من فم ذلك الغر المنتون! إنما ستكون مثل السهم الطائش لايعرف أين يكون مستقره » ويجاوبه سمث « هذا صحيح ياجون. إنها بلا ريب ستكون قوانين نتنة يفوح بها نفس كريه » . . . ويلتفت « كيد » فى هذا الوقت نحو القصاب قائلا « لقد فكرت فى الامر وأرى أن يكون لك ما أردت فاذهب إذن وأحرق جميع سجلات الدولة ، ومن الآن فصاعدا سوف يكون فى برلمان انجلترا » وحينئذ يقف جون جانبا ويقول « إذن سوف تكون لدينا تماثيل عضاضة اللهم إلا اذا خلعنا له أسنانه ، ويستأنف « كيد » حديثه « هكذا ستجري الامور من الآن »

حقا إن الغاية التى يرمى اليها الشاعر (شكسبير) لايمكن أن تكون أكثر وضوحا من هذا. لماذا يعرض علينا كل تلك المساخر والمهازل لماذا يمثل لنا ذلك القائد الشيوعى والغوغاء من خلفه فى صورة مجسمة من الجهل والوقاحة والطيش والقسوة أقول لماذا يفعل الشاعر هذا اذا لم يكن يرمى الى الاشادة بمحاسن « النظام » وحفاظ النظام

الدهماء والاوباش شيئان كان يكرههما شكسبير كل الكره ولم تسنح له فرصة فى وصف الشعب كهيئة سياسية ألا صب عليها جام سخطه وأعرب عن عدم استطاعته

الاطمئنان اليها باى حال وحكمه القاطع على الشعب باعتباره هيئة سياسية هو أن الشعب الذى يعيش كذلك يسير الى الانحلال وتعاوده همجيته وتوحشه ويدب الفساد والدمار دبيبهما بين ضلوعه وحناياه

وليس تمثيل شكسبير للشعب على هذه الصورة ابشعة فى الجزء الثانى من روايته الملك هنرى السادس بأشد ولا أقوى من تمثيله له فى روايتيه الرومانيتين « يوليوس قيصر » و « كريولانوس »

وإن ننس لا ننسى ذلك الموقف الذى رفع فيه الشعب « بروتس » Brutus على الاعناق لذبحه قيصر ورده حرية الشعب المسلوب اليه . وقد جعل الشعب يهتف له بأعلى صوته « يحي بروتس ! يحي البطل الهمام ! هيا نحمله على الاعناق إلى منزله متوجا بأكاليل النصر و الفخار . ولنقم له تمثالا شاهدا على عظمته مع أسلافه . لنتوجه قيصرا علينا . إن غرما كان يتحلى به قيصر من الخلال الحميدة لأقل ما نحمده منها بروتس » . . . ولم يلبث إلا قليلا حتى جاء « أنتونى » وألقى خطابته المشهورة الفذة فانقلب ذلك الشعب نفسه رأسا على عقب وأصبح صياحه وهتافه موجهين ضد « بروتس » بعد أن كانا له : « هيا نحرق جثته ونتخذ به تمثيلا احرقوا داره واهلكوا له حرث والنسل . ثم ثنوا بالمتآمرين على قتل قيصر ! ! » - (المنظر الثانى من الفصل الثالث من رواية يوليوس قيصر)

بيد أنه لو كان عدم التجانس واختلاف الاذواق والاهواء بين جمهور العامة هو عيبها الوحيد لكفى ! وقد كان من سوء حظ « سيناء » Cinna الشاعر أن توافق اسمه مع اسم ذلك الدساس « سينا » ، فلما التقت به الجماهير الغاضبة الساخطة وأوقفته فى الطريق وسألته اسمه لم يجده قوله لها « أنا سينا الشاعر أنا سينا الشاعر ولست سينا الدساس » فلم يأبهوا لكلامه وحكموا عليه بالموت « لا يهمنا من تكون . ويكفينا ان اسمك سينا . ولا بأس من أن ننتزع اسمك من قلبك . خسئت وخسىء اسمك !! هيا اقتلوه ومزقوه ! ! » (المنظر الثالث ، الفصل الثالث)

* * *

نحن نعرف أن الأصل الذى أخذ عنه شكسبير تينك الروايتين (يوليوس قيصر

وكريولانوس) « هو فلوطرخس « Plutarch كما نعلم أنه نقل عنه نموذجه أى فكرته بكل أمانة على أنه حين خالفه فى بعض التفاصيل البسيطة كان مدفوعا الى ذلك بعامل إظهار نظريته اذ الحقيقة أن الناس أى عامة الشعب تلاقى على يدى فلو طرخس من العطف وحسن الظن أ كثر مما يحبوهما به شكسبير لان شكسبير هو الوحيد الذى أصر على نسبه القذارة والخطأ الشنيع الى العمل الذي تقوم به الجماهير

يلقى بروتس هذا السؤال على كاسكا Casca. « هل عرض التاج على قيصر ثلاث مرات حقيقة ؟ » فيجيبه كاسكا « أى والله .... وما يزال يرفضه .. وكانوا فى كل مرة يلحون عليه، وما يلبثون أن يعلوا برفضه حتى تنطلق اكفهم القذرة بالتصفيق وتتجاوب أنفاسهم النتنة بالهتاف إلى حد أن « قيصر » نفسه كاد يختنق بل وقد سقط مغشياً عليه . . . أما أنا فلم أ كن أجسر أن أنفجر بالضحك خشية أن يكون فتح فمى بابا لدخول الهواء الفاسد إلى نفسى » (المنظر الثانى من الفصل الأول - يوليوس قيصر)

ونجده (أى شكسبير) فى قصة « كريولانوس » يلقى ألينا على لسان « منينيوس » Mininios من خطابه على جماعة من مواطنيه قوله : « لأنتم الذين خلقتم هـذا الجو الفاسد بنعيقكم حول نفى كريولانوس » (المنظر السادس من الفصل الرابع)

وليس هذا كل ما يفعله شكسبير فى سبيل ابداء آرائه ونظرياته السياسية ، فأنه فى رواية كريولانوس يخالف فلوطرخس إلى حد أنه لا يقتصر على إظهار الجماهير فى صور شتى من معتدين إلى جبناء ومرتكبي جرائم وقطاع طرق ، بل إنه لا يعلق عليها من الأهمية قدر مايزعمه لها فلوطرخس حيث جعلها هذا فى قصته الدرع الذي يحتمى وراءه رجل تعس أمام مجلس شيوخ تغلبت فيه الشهوات والقسوة ، وكما قال الاستاذ « براندل » Brandle فانشكسبير يعكس الآية حيث يعمل على تنظيف مجلس الشيوخ من كل لطخة سوداء تعيبه ، وفى هذا الموقف الذى يمـالىء فيه شكسبير جماعة النبلاء الرومان يفضح نفسه وتبين حقيقة ميوله الارستقراطية

والأغلب انى لا أ كون بعيداً كثيراً عن الصواب إذا اخترت اليمين التى أقسمها كريولانوس لأدل بها على منازع شكسبير السياسية قال : « ان خير ما أقسم لكم به وهو شىء إ آلهى وبشرى فى آن واحد هو ، العهد ، الذى أقضى بانقضائه . فأقسم لكم

بذى القداستين . أنه بينا يزدرى فريق الفريق الآخر بسبب معقول ، فان ذلك الفريق الآخر يتهجم على الفريق الاول ويسبه بغير ماسبب . وإذا ما كان النبل والعصبية والحكمة لا تستطيع البت فى أمر بالايجاب أو بالسلب الا بأمر الجهل أو نهيه فلا ريب أن الحقائق سوف تقبر وتفسح الطريق للباطل الذى لا يقوم على أساس . وهكذا إذا ماحيل بين الفكر والعمل ، أصبح كل عمل سائر إلى غيرما غاية »
(المنظر الاول من الفصل الثالث)

* * *

أما وقد ثبت أن شكسبير قد خبر العامة ووجه اليها قوارض الكلم وجدها دون سواها ، فقد بقى علينا أن نبين كيف أن الديمقراطية الحقة بقيت عنده أبدا شيئاً مجهولا . وإلا فكيف نستطيع أن نفسر تلك الشخصية : شخصية بروتس ! ألم يكن س مثلا عالياً للديمقراطية ، محبا مخلصا للشعب وللحرية ألم يكن يفاخر بأقصى مايمكن نفاخر به انسان جدير باسمه حين قال : « ان قلبى ليغمه الفرح حيث أنى حتى الآن لم أقع فى حياتى كلها الا على كل رجل مخلص لى كل الاخلاص » (المنظر الخامس من الفصل الخامس) وا أسفاه ! كم من الفضيلة والنزاهة والشجاعة وانكار الذات أريق هدراً ! ! لا بل ان ماهو أسوأ من هذا وأدهى أن ترتكب بأسماء هذه الاشياء السامية جريمة تتابعت بعدها مظالم أفظع مما نجحت تلك الجريمة فى القضاء عليه وقت ارتكابها . فى مقطوعة شكسبير لا يعمل بروتس عملا الا وكان خاطئا ، ومهما يكن الدافع له على عمل شريفا ، ومهما يكن صادراً فيه عن أسمى المبادىء ، فانه لم يجن الا الفشل وسفك الدماء والموت والدمار وخراب الديار لنفسه وأهله وعشيرته وأنصاره وبلاده ومما لا ريب فيه أن شكسبير بينا كان يكتب قصته « يوليوس قيصر » كان واضعا نصب عينيه تلك الخاتمة الفاجعة المعدة للسياسى الخيالى السامى (idealistic) والديمقراطى الحالم ، ولو أنه أتيح لشكسبير أن يكتب مصير بروتس فى اللوح المحفوظ لما جعل مقره الاخير فى غير سقر وبئس المقر . .

على أن هناك مقطوعة أخرى مشهورة تبرهن على ضعف أيمان شكسبير بأمكان قيام نظام كامل للحكم وبالتالى عدم أمكان وجود عصر ذهبى ، وذلك فى روايته

العاصفة Tempest حيث يقول جونزالا Gonzala إنه لوكان ملكا على الجزيرة ، لكان كل شيء فى الوجود يسير على سنن العدل والحقيقة ، وأنه ، لن يكون ثم أية خيانة ولاغدر ولاسيوف ولاحراب ولاسكاكين ولامدافع كما لن تكون هناك حاجة إلى أية آلة ، فيكون بكلامه هذا قد أظهر نفسه بتظهر الغر المغفل فحسب وجلب الى نفسه تلك الكلمات القارصة التى أجابه بها الونسو Alonso ، أرجوك أن تقف عند حدك ولاتسمعنى صوتك (كلامك) بعد هذا ، (المنظر الأول من الفصل الثانى)

ليس يجهل أحد أن القانون الأساسى Magna Carta هو السياج الحائل الذى يحتمى وراءه الشعب البريطانى ضد أى عمل استبدادى يقوم به التاج (الملك) وأنه ـ القانون الاساسى ـ جدير بأن يطلق عليه إله الحرية الانجليزية ، فأنت تجد شكسبير يغفل الاشارة الى هذا القانون فى فاجعة ، الملك جون ، الذى حصل منه الاشراف ـ وأيدهم فى ذلك رجال الدين والشعب ـ على الامتيازات المشهورة ولقد كتب المستر فرنس ـ المؤلف الفذ لموسوعة شكسبير الجديدة A New Variorum Edition of Shakespeare ـ فى المقدمة التى وضعها لفاجعة الملك جون يقول ، لقد كانت الاسباب التى حملت شكسبير على أغفال حادثة بهذا القدر من الاهمية التاريخية (قانون انجلترا الاساسى) مدعاة لطائفة متباينة من الحدس والنقد ، ومن رأى المستر فرنس أن الشاعر لم يغفل تلك الحادثة إلا لانه أنما أتخذ عمدته فى جمع مواد قصته مقطوعة قديمة عنوانها ، عصر حكم جون ملك انجلترا المفعم بالمتاعب ، لكاتب مجهول كان كل همه من هذه المقطوعة أن يجعل سامعيه يكرهون أعمال البابا . وقد وجد ذلك الكاتب أن حادثة القانون الاساسى Magna Carta خارجة عن قصده السياسى ولم تكن ثمة حاجة فنية لادماجها ضمن مقطوعته . وزاد المستر فرنس على ذلك قوله ، وأى شيء أقرب الى الطبيعة إذن من أن ما ألقاه سلفه جانبا باعتباره زائدا عن الحاجة يهمله شكسبير على هذا الاساس كذلك ؟ ، ولكنى لا أستطيع أن أقر المستر فرنس على رأيه هذا لاننا رأينا كيف استطاع شكسبير أن يحل نفسه من قيود الرواية التى رواها فلوطرخس فى قصتى يوليوس قيصر وكريولانوس مع أن تلك الرواية كانت عمدته فيهما ، فقد كان مستقلا وصادرا عن رأى شخصى حينما وصف الشعب الرومانى وحكامه فاستفز نفورنا منه واستهزاءنا به . وجدير بنا أن

نكون على ثقة من أنه لو كان قد دلف إلى نفس شكسبير أن ذلك القانون الاساسى ذا أهمية سياسية عظمى لكان أفرد له موقفا من مواقفه الرائعة المهيبة بالرغم من سكوت ذلك المؤلف المجهول عنه واهماله أياه فى قصته « الحكم المفعم بالمتاعب » ؛ بل إن هذا الاغفال ذاته من المؤلف المجهول كان حقيقا أن يثير شكسبير لذكره . وانما كان خلو قصة الملك جون من اى ذكر للقانون الأساسى لسبب ورد فى سياق تعليق المستر فرنس نفسه عليها حين قال : « من المشكوك فيه كثيرا أن القانون الأساسى كان ينظر اليه فى عصر اليصابات (الملكة) بعين الاحترام ، بل من المؤكد أن الشعب فى ذلك العصر كان يفضل أن يتولى شؤونه ملك غير مقيد بشروط أو عوائق ويحكمه محرراً بغير رجوع إلى قواعد الكنيسة والدولة ، ولم يجعل شكسبير استثناء لتلك القاعدة مطلقا . وكان بغير ما تردد يؤيد بكل قواه سياسة اليد الحديدية . وقد وجدت فيه الملكية حليفا مخلصا صادقا أمينا حتى ليظهر أثره واضحا جليا فى كل أعماله وما علينا إلا أن نفتح أية صفحة من صفحات كتبه العديدة لنقتبس الشواهد والادلة على هذا الميل فيه : ولنذكر هنا على سبيل المثال كلمات الملك هنرى الخامس . معبود شكسبير : « إلى الملك ... حياتنا . ونفوسنا . وما فى أعناقنا . وزوجاتنا الوفيات . وأولادنا . وخطايانا . كل هذه نكل أمورها إلى الملك ! يجب علينا جميعا أن نرفعه ونؤيده . . إذ أى قلب يخفق طلبا للراحة والهدوء ، ويستطيع الملك أن ينساه ! .. إن عبد الرق ـ وهو عضو فى سلم الدولة ـ لينعم بهذا . فاذا لم يكن ذلك الرأس هامة فوق الرءوس . فأية ساعة (نظام) فى يد الملك يحافظ بها على السلم الذى يجنى الفلاح ثمار اهنأ ساعاته » (المنظر الاول من الفصل الرابع)

لنذكر كذلك كلمات الأسقف كارليل فى قصة الملك ريتشارد الثانى : « أى فرد من الرعية يستطيع أن يصدر حكما على مليكه ؟ .. أم هل من الممكن أن ذلك الممثل لجلال الله بل قائده وخليفته ونائبه المسيح المتوج ثابت الفرع من قديم يخضع لحكم فرد من أفراد رعيته .. » (المنظر الاول من الفصل الرابع)

إن شخص الملك المقدس محوط بسور شبه إلهى يحميه من الحدثان ، حتى ليمكنه أن يأمن جانب الخيانة :

« هنالك ألوهية تحمى الملك ، حتى لتستطيع الخيانة أن تنفث سمومها فى كل ما تصل

إلا الملك ! فلن تنال منه إلا بقدر » (هملت ـ المنظر الخامس فى الفصل الرابع)

ولعلك تقع فى « قصة الشتاء » Winter's Tale على أروع وصف لقتل الملك « لو أنى وجدت أمثلة لألوف من الناس ممن قتلوا الملوك المسيحيين ، وانتعشوا بعد فعلتهم . لما أقدمت على ذلك . أما وليس النحاس ولا الحجر ولا الرق (جلد الكتابة) يحمل شيئاً من ذلك : فلنقض النذالة على نفسها (المنظر الثانى من الفصل الاول)

وفى قصة الملك هنرى الثامن ـ وهى آخر مقطوعة كتبها شكسبير ـ تجد قطعة تظهره (أى شكسبير) متشبعا بالميول الاستعمارية ـ وهذا يزعم أننا نفهم من الميول الاستعمارية أنها رغبة شريف فى الوطنى الصادق ليرى وطنه ينشر نفوذه وعظمته فوق العالم . فلقد اختتم كرانمر Cranmer نبوءته بشأن حكم الملك جيمس الاول James 1 بهذه الكلمات الصريحة : « أينما تضىء شمس السماء الساطعة . سوف يذكر اسمه مقروناً بالاجلال والتمجيد . ويخلق أمما جديدة . ولسوف يزده. هذا الملك . وتعرش فروع شجرته العالية الشامخة مثلما تعرش الشجرة الذكية فوق الجبل على التلال المجاورة له : ـ ولسوف يشاهد ذلك أحفادنا فيباركون تلك السماء » (المنظر الخامس من الفصل الخامس)

إن نزعة شكسبير الارستقراطية الملكية لم تكن قط نزعة الرجل المتطرف . والحق أنه لو لم يكن فى العالم غير رجل واحد يحب البساطة والصراحة ولا يميل قاطبة الى الاشكال الرسمية (الرسميات) ومظاهر الابهة واللف والدوران فى المعاملات لكان ذلك الرجل هو وليم شكسبير . يتساءل الملك هنرى الخامس متعجبا « أيتها الطقوس والرسوم والشعائر : ماقيمتك ! هل أنت إلا مظاهر وأشكال لاثارة الرهبة والفزع فى النفوس أليس المرهوب الجانب بسبب وجودك أقل سعادة من أولئك الواقعين تحت رهبتك وما هو غذاؤك أليس سماً زعافا من المداهنة والملق بدلا من رحيق عذب من الشعور الخالص من شوائب الخوف »

وعندك إيموجن Imogen التى يعييك البحث عن امرأة أجمل منها فى جميع مقطوعات شكسبير، وهى إلى ذلك تحسد بنات وأبناء الوضعاء ، لأنهم بمولدهم هذا قد تحللوا من جميع القيود والفروض اللازمة حتما لابناء النبلاء ، وهم بناء على ذلك يستطيعون أن يفعلوا مايشاؤون: وهى تقول فى هذا : «ليتنى كنت ابنة راع وحبيبى ليوناتس Leonatus

جارنا ابن راع كذلك ! (المنظر الثانى من الفصل الأول) .

وليس يستدل على كره شكسبير للحياة فى الأوساط الرسمية وحبه لها مقرونة بالعزلة فى الريف من مقطوعاته فقط . بل إن الدليل المادى على ذلك هو أنه ما كاد يصل الى درجة ما من الثراء حتى ودع مدينة لندن قافلا الى موطنه فى ستراتفورد . وهناك لم يكن من شيء أحب اليه من وصل ، وغن ، وقص الأقاصيص القديمة . واستمتع بالفراشة الذهبية . انصت الى الاشقياء التعسين يروون لك أحاديث اروقة البلاد . وتحدث اليهم كذلك . من ذا يربح ومن ذا يخسر . ومن ذا يصيب ومن ذا يخطيء . ومن ذا ينتحل لنفسه الاحاطة بجميع الاسرار حتى كأنما هو جاسوس الله . وانظر كيف يلبسون لكل حالة لبوسها . يغيرون ويبدلون ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (الملك لير : المنظر الثالث من الفصل الخامس)

أضف إلى هذا أن شكسبير لم يسع مطلقاً ولم يحصل على شيء من الرتب أو النياشين أو أية اشارة من اشارات الشرف ولم يسمح قط لرأسه المثقف أن ينحنى لتوضع فوقه أية علامة من علامات الغش والخداع . كما كان فى خلقه على نقيض مع بيكون Bacon الذى أباح خيانة الصداقة والحق فى سبيل القوة والمال

وبقدر ما يظهر على الرجل شكسبير من نبل وصفاء نفس . أو كما يصفه بن جونسون Ben Jonson ، الامين . ذو الخلق الصريح الحر . بقدر ما تكون آراؤه السياسية جديرة منا بالتقدير والاحترام والتأمل العميق لا سيما وهو لم يعتنقها لأية غاية شخصية أو مطمح وإن هى إلا تعبير صادر عن اقتناع تام وشعور مخلص نتيجة اختبار عميق لحاجات البشر

إن آراء شكسبير السياسية سداها العقل الراجح ولحمتها الوطنية الصحيحة والوطنية الصحيحة هى خير دستور للرجل السياسى سواء أ فى الماضى أم فى الحاضر أم فى المستقبل . ولقد كانت الآمال والاماني أبدا اسوأ ما منيت به الامم ؟

أحمد مختار

شكسبير

فى يوليوس قيصر

Shakespeare's Julius Caesar

(١)

من منا لم يقرأ شكسبير؟!

وأين الذى لم يرفعه هداه أو تضطره دراسته الى متابعة شاعر الانجليز فى أثر من آثاره الفذة! ومهما اختلف المؤرخون فى شكسبير الشاعر. وشكسبير المؤلف الدرامى فقد فرغوا من شكسبير الممثل.. والممثل العصامى!

كلنا يعترف بأن هذه الآثار كتبت فى عصر من العصور. أخرجها شاعر فياض القريحة ومؤلف درامى موفق. لكن هو غير شكسبير الممثل فهل يمنعنا ذلك أن نطلق عليه — ولو مجازاً — اسم شكسبير! ولن يضيرنا أن ننسب هذه الآثار للشاعر أو للمؤلف أو للممثل أو لغير هؤلاء. ولن يحول ذلك دون تتبعها والاستمتاع بها

كنت - فى صباى - قبل أن أدرس شكسبير أتطلع شوقاً الى تتبعه والاستمتاع بدرامة من دراماته الخالدة.. وإذ أتاحت لى ظروف مطالعاتى - المحدودة إذ ذاك - أن أجلس إلى شكسبير لأول مرة - منذ نحو تسع سنوات - وكان ذلك فى هملت « Hamlet » . فأنا أقرؤها بتأن وعناية. ويتملكنى كلما توغلت فى القراءة شعور غريب. شعور العجب يتطاول على الأعجاب!

كنت أنتظر أن أرى فى هملت - وهى من أعنف مآسى شكسبير - شيئاً عنيفاً ثائراً يخرق نواميس الكون، فقد كان هذا مبلغ ظنى بالمأساة أى المثل التصويرى الذى حدده لى اطلاعى حينذاك!

ولكنى شهدت ناحية من المأساة أخرى ساكنة تسير فى طبيعة هادئة لا ترهق نظام الكون أو تتعداه أو تحمله مالا يطيق. ولكنها تسايره وتماشيه وتمثل لك مختلف نواحيه من ضعف وقوة فى شكل طبيعى معقول.

وخرجت من شكسبير وأنا أحمل للحياة معنى عميقاً وأفهم المأساة بشكل جديد !

فرغت من هملت لأبدأ تاجر البندقية « The Merchant of Venice »
والحق أنى شككت فى مقدرة المؤلف من هذه الناحية وكانت قراءتى لها أشبه بالتحدى!
فلم أستطع أن أتصور أن شكسبير الشاعر الدرامى يمكنه أن يعبث بشعور الناس فى
كوميديا فكهة كهذه ! وأن أصدق أن ذلك المؤلف الحزين ينقلب كاتباً ساخراً ماجن
الدعابة عابث الفكاهة !.

وأنا مع هذا وذاك لا أريد أن أعتقد إلا أن الشاعر كان مجدداً فى هذين المؤلفين لا غير
فأقبل على سائر مخلفاته أتفحص عباراتها وأستوعب معانيها وأخرج فى النهاية بأنه كان
مجدوداً فيها جميعا !

(٢)

منذ أكثر من ثمانية عشر قرناً خلت رزقت بلدة كرونيا « Chaeronea » الأغريقية
بمولود جديد يدعى بلوتارك « Plutarch » من أكبر مؤرخى الأدب القديم . وهو الذى
أرخ أكثر نبلاء الأغريق والرومان الذين لعبوا أدواراً هامة فى أشهر عصور تاريخ
روما وأثينا واسبرطة.

وقد كادت تضيع آثار بلوتارك هذه فى العصر المظلم - كما يسمونه - وهو العصر
الذى اكتسحت فيه قبائل البربر آثار المدنية الرومانية فى القرن الخامس عشر .

وفى أوائل القرن السادس عشر : عندما التفت الناس ثانية إلى دراسة كتاب
الأغريق والرومان القدماء ، فى العصر الذى نسميه « الرينسانس » أى عصر إحياء
العلوم. كان من حسن الحظ أن وقعت آثار بلوتارك فى يد رجل فرنسى ساعدته الظروف
على السمو من حضيض الفاقة إلى جانب البلاط ، هو جاك أميوت « Jacques Amyot »
الذى كان ذا مكانة أدبية تضارع مكانته السامية فى بلاط شارل الرابع . فقد كان مترجماً
يبرز شخصيات المؤلفين ويصور عواطفهم فى عبارات قد تكون أدق من عباراتهم.
ونشر كتاب بلوتارك بالفرنسية فى سنة ١٥٥٩ ؛ وبعد ذلك بنحو عشرين عاما ظهرت
ترجمة أخرى انجليزية كان مترجمها هو السير توماس نورث « Thomas North » الذى قام
بعدة ترجمات أخرى عن الفرنسية والاسبانية والايطالية وكان عنوان ترجمة السير

توماس هذه هو: « سير نبلاء الأغريق والرومان للمؤرخ الفيلسوف الكبير بلوتارك الكرونيانى - من كرونيا - ترجمها من الاغريقية إلى الفرنسية جاك أميوت المستشار الملكى الفرنسى ومن الفرنسية إلى الانجليزية توماس نورث »

وقد صادفت نجاحا كبيراً ولاقت - فى انجلترا - رواجا هائلا لأن نورث كان مثل أميوت - مترجما موفقاً ، له فى النثر أسلوب جميل وروح قوية سمت به الى درجة كبار مترجمى ذلك العصر . وكان شكسبير المؤلف الدرامى يتطلع إلى القصص الجديدة التى يمكن أن يخرج منها للمسرح شيئاً صالحاً . فلما وقعت فى يده ترجمة نورث اقتبس منها بعض مآسيه نذكر منها يوليوس قيصر « Julius Caeser » وكريولانس « Coriolanus » وانطونى كليوبترا « Antony and cleopatra » وغيرها بجانب اقتباسه لبعض شخصياتها فى آثاره الأخرى

ولم يتحرج شكسبير فى بعض الاحيان من نقل عبارات بلوتارك بنصها ولكن بعد تحويلها - طبعاً - من النثر العادى إلى أسلوب رواياته أى الشعر المرسل « Blauk verse »

(٣)

لم يكن شكسبير - مع ذلك - ناقلا فحسب فانا نستطيع أن نعرف من طريقة اقتباسه لترجمات بلوتارك وتصرفه فيها بالحذف والاضافة مع مراعاة الظروف التاريخية والضرورات التى يتطلبها تكوين الدراما وربط أوصالها نستطيع أن نعرف من كل هذا كيف كان شكسبير مؤلفاً دراميأ بارعا

وأنت فى قراءة شكسبير لا تؤخذ فقط بمهارته البالغة فى « حبك » الرواية وتنسيق مشاهدها . ولكنك تعجب أكثر بالرسالة التى يحملها بجملها فتحرك فى نفسك مختلف العواطف . ويجتهد الشاعر فى كل رواياته أن يطبع شعوره العميق فى نفوس النظارة فيبعث ذلك التأثير الذى يسترعى انتباههم ثم لا يلبث أن يملك عليهم حواسهم ويدفعهم إلى تتبعه فى عناية . . وهو يعمد إلى تصوير المطامع البشرية فى أشكال طبيعية واضحة تثير فى النفس إحساسات وعواطف مشتركة بين كل النوع الانسانى :
الجشع - الانتقام - الحب - البغضاء - الوطنية الخ . .

كل هذه يغنى بها شكسبير شخصيات مأسية فى صور رائعة لاينكرها الواقع وإن ازدرت بها الحياة الحقة !

وأنت ترى ذلك كله فى (يوليوس قيصر) .

يمثل لك بطلها العظمة التى تناهض الطود وتسمو عليه ! والجبروت الذى يرى لصاحبه حقوق الآلهة ! غروراً يصور لصاحبه أن الشر مهما تزجيه أبالسة الجحيم لايقوى على مواجهته ! وتيهاً يخيل اليه انه بين الرومانيين ماردا بين اقزام ! وسلطانا تخضع له روما العظيمة فيناجيه مجلس شيوخها على لسان أحد أعضائه :

« أى قيصر ! ياذا القوة والبطش والعظمة والجلال »

وطبيعى أن تنشأ إلى جانب العظمة والجبروت والغرور والسلطان صفات أخرى ملازمة هي الحسد والبغضاء واللؤم ينفثها فى هذه الرواية كاسياس الذى لايفتأ يتسقط مباذل قيصر !

لم ينحنى إجلالا لقيصر ؟ !

ولماذا لايكون له نداً - إن لم يكن أفضل !

إن قيصر نفسه ليعترف له بالزكاء والحيلة وسعة الاطلاع !

ويعمد هنا إلى مقارنة بينه وبين قيصر ولكنه يحس انها بتراء ويحاول تدعيمها ببراهين حسية تزيدها إشفاقا !

يقول ان قيصر رجل وهو أيضاً رجل !

وهو يملك مثل قيصر - قدمين ويدين وعينين وأنف وفم !

فبأى شىء يمتاز عليه قيصر حتى ينعم هو بالعظمة والجبروت والسلطان وحده !

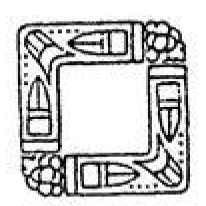
لا . . انه لغبن فاحش لابد من تداركه !

وكان طبيعياً أن تدبر المؤامرات فى الخفاء ، وكاسياس رأسها المفكر . فمن ذا يكون رأسها الظاهر للجماهير ؟ . لايتمكن كاسياس من ذلك لأن قيصر يخشاه ويرقب فعاله ثم انه قد يكون غير محبوب من الجماهير . . ليبحث قيصر عن رجل محبوب من الشعب يتخذه ستاراً لمطامعه . هناك المواطن الساذج بروتوس . هو رجل صادق الوطنية. طيب القلب . . وطيبة القلب طريق السذاجة . . فهو أذن ساذج اذا خدعه مفكر

حكيم .. ثم انه من كبار نبلاء الرومانيين المحبوبين من شعبها .. وقيصر يحبه ويثق به . ولن يصلح لزعامة المؤامرة غيره .. وتقوم هذه الصعوبة .. كيف يمكن اقناع بروتاس بالاشتراك فى مثل هذه المؤامرة مشكلة ! ولكن كاسياس يحلها بسهولة .. يحرك فى بروتوس روح وطنيته الصادقة وينفث فيه الغرور والكبر والحسد .. وما أسهل امتزاج هذه الصفات بالنفس ان لم تكن أصيلة فيها . بروتوس ... أيها النبيل المجيد هل تنظر لنفسك بعين الانصاف ! .. قل بم يفضلك قيصر . ألست نبيلا شجاع القلب محبا لوطنك هل يرضيك أن يحاول ذلك المخادع - قيصر - أن ينصب نفسه ملكا على روما وأنت ترى آثار استبداده الآن ولما يصل الى بغيته .. فكيف هو إن نالها ! .. وأنت أيها المواطن المخلص ألا يأخذك الجزع على رومة العزيزة ! وتستهوى هذه النغمة فؤاد بروتوس فيعاهد كاسياس على قتل قيصر لا لأنه يبغضه أو يخشاه فما يزال يحبه ولكن ليخلص روما الوطن المفدى وليحيي التضحية !

وينجح كاسياس فى ضم بعض الرومانيين الى مؤامرته ؛ وتتم الاجراءات الأخرى بسرعة ويسكن الخنجر جسد قيصر فى النهاية . ولكن الدهر يأبى الا أن يذيق المتآمرين الكأس التى جرعها قيصر حتى الثمالة !

على محمد البحراوى



المحبة

أنظري فى الليل يلقى ساجه ... فوق هاتيك الربى ثوب ظلام
كم له من أعين قد بعثرت ... تبعث الضوء عريقا فى السقام
بيد أن الليل فى ظلمائه ... رابط الجأش قوى فى الصدام

*
* *

وانظرى فى الشمس عينا وحدها ... للنهار الواضح الزاهى الضياء
ترسل النور قويا باعثا ... فى نواحى الكون عزما ومضاء
فاذا ما احتجبت ساد الربى ... وحشة الليل، وأشباح المساء

*
* *

وكذا العقل له أعينه ... قد أبى تعدادها أن يحصرا
بيد أن القلب لايحوى سوى ... مقلة فردية لا أكثرا
إن خبت فيه فليل حالك ... يملك النفس فلا شىء يرى
فهى نور من سماء الله قد ... قبسته الارض من رب لربه
يارعاها الله فى قلبى لها ... ملك الاجلال قد حفته رهبه
لو تولت فى الورى حاكمة ... أله العالم هاتيك (المحبه)

حسن كامل الصيرفى

الانقلابات الفجائيه فى التاريخ

محاضرة السير تشارلس ادمان فى الجمعية التاريخية فى اكسفورد

بدأ المحاضر بتبيان ان خطابه معد ليكون احتجاجا ضد الفكرة الميكانيكية الحتمية فى تأويل التاريخ كسلسلة من العمليات التطورية المنتظمة الوقوع ، نتائجها حتمية ومترتبة على مقدمات و نتائج من السبب و النتيجة . و يميل المؤرخون الحديثون الى كد افهامهم واعمال قرائحهم الى البرهان على أن حوادث كتكوين الامبراطورية النورماندية وغزو البابويه فى القرون الوسطى ونشوء الدستور الانجليزى ماهى الا تطورات لا مفر منها لاسباب محتمة الوقوع والحقيقة التى أجاهر بها ان تاريخ البشرية يرجع الى عمل الانقلابات الفجائية بقدر ماهو نتيجة للعوامل التطورية فليس هو سلسلة منطقية من الحوادث انما طائفة من الوقائع تتأثر بمصادفات لا سبيل الى تأويلها او تعرف كنهها غير محتمة الوقوع وليس يشير فى ذلك بوجه خاص الى مصادفات الظواهر الطبيعية التى لا سبيل للانسان فيها كالزلازل وثوران البراكين وجفاف المناطق التى كانت حسنة الرى والتغيير الفجائى فى مجرى الانهار الكبيرة او انتشار الآفات والاوبئة فهذه أثرت فى مناسبات خاصة فى تاريخ العالم العام بطريقة لم تفهمها للآن . بيد ان الزلازل والأوبئة اثرت فى تاريخ البشر بقدر اقل كثيرا من ظهور شخصيات بارزة على مسرح الحوادث ظهورا منقطع الوقوع . وان مدرسة ضعاف المؤرخين الذين يلقنوننا ان التاريخ هو قصة الشعوب وليس قصة الوقائع الشخصية وسير الملوك والساسة قد وقعت فى خطأ أبعد مدى من ذلك الذى تورط فيه توماس كارليل الذى كان يدين بنفوذ الفرد الاكبر فى كتابه « الابطال » فمن السخف تقليل اهمية الشخصيات العظيمة فى التاريخ وتأويلها الى مجرد مرآة للتيارات العصرية او الجنسية فى زمن ما او اعتبار أن البطل روح سائدة للعصر مجسمة . فبالعكس هناك شخصيات انقلابية ثورية مبعثرة فى فترات مدى الدهور على بساط الحوادث مما اثروا فى تغيير مجراها وتحويلها فى طرق لم يمكن التنبؤ بها قبلا

ومثل ذلك اسكندر الاكبر ومحمد ونابوليون فاسم كل منهم مقترن بحوادث فوق مقدور الشخص الموهوب العادى وذلك بقدرة السمو الشخصى فلو خلف فليب المقدونى مشحصا عاديا لما تم فتح الشرق او توطيد دعائم دويلات يونانية على نهر سيحون (الادكسوس) اوضم الشام ومصر للعالم الغربى مدة تسعة قرون وشخصية محمد لهى شخصية انقلابية ثورية تفوق ذلك الحد فلم تنتج بلاد العرب قبله او بعده فردا أثر فى مجرى تاريخ العالم . ويكون من المضحك حقا الادعاء أنه نتيجة منطقيه محتمة لحالة بلاد العرب الفكرية والاقتصادية فى القرن السابع قبل المسيح . وفى العصور الحديثة نرى ان نابوليون شخصيته انقلابية حقا و قد قال احد مشاهير المؤرخين مرة ان الحكم العسكرى المطلق هو الخاتمة المحتومة للثورة فى فرنسا بحيث لو لم يكن بونابرت هو ذلك الحاكم بأمره لكان مورو هو ذلك الرجل. فبطبيعة الحال كانت الديكتاتورية العسكرية هي الخاتمة الطبيعية لحكومة الديركتوار المنكودة الحظ . بيد ان هناك دكتاتورا و دكتاتورا. فقد كان مورو ضعيف الخلق والارادة ولو انه كان على جانب كبير من المقدرة الحربية فى حين توفرت فى نابوليون قوة الطموح و المقدرة الحربية والمهارة فى التنظيم والتدجيل الى درجة العبقرية

ثم اختتم السر اومان محاضرته بهذه الملاحظه: مهما فكرنا ودبرنا امورنا بعقل وروية فالسوبرمان من جهة او من الصدفة العمياء من جهة أخرى قد تقضى على تدبيرنا بالفشل. فقد شيد قدماء الاغريق مذبحا لآلهة الحظ . ولست أود فى هذا المقام ان احذو حذوهم إذ الركون الى الصدفة ليس من حسن السياسه بيد انى اصر على ان الاعتقاد فى منطق الاشياء الذى لا مناص منه كما يسمونه هو من الخطر بقدر ترك الاشياء تجرى مجراها فاوصيكم ان لا تعتقدوا فى مبدإ الحتمية



فلسفة الشعر

من السهل كتابة مجلد حاشد بعشرات المسائل التي تشملها فلسفة الشعر فان الاسهاب في هذه الابحاث أهون من الاقتضاب، وليس من الميسور أن يتناول المتأمل المدقق في فراغ ضيق محدود الا نقطاً يسيرة معدودة ، وهذا ما أحاوله في هذه الكلمة الوجيزة

الشعر في حقيقته لغة الشعور وتصويره ، ولكنه ليس بلغة الشعور السطحي أي أنه يعبر عما وراء المظاهر الواقعية . وهو في جماله المستحب إنما يعبر بلغة الانسانية في طفولتها ، وبلغة الوجدان التي لا يسيطر عليها العقل . بيد أن العقل الانساني في تطور عظيم وفي نضوج مستمر على حساب سواه من المواهب العصبية ، ولذلك يواجه الشعر بتعاقب الأجيال خطر المنطق وسيطرته ، ومحاولة الحقيقة العلمية أن تسود الحقيقة الشعرية

ولغة الإنسانية في طفولتها متصلة بالأساطير والخرافات وبالتعاليل الساذجة وبالروعة من مظاهر الطبيعة وتفاعلها ، وهذه تكسب الشعر مسحة جميلة لان كل هذه الأشياء متصلة بالشعور وبالعقيدة الدينية التي هي بمثابة عواطف مركزة ، ونحن نقول الشعر بعواطفنا ويتصل فهمنا به عن سبيل العواطف ، ولذلك نميل الى نعت هذا النوع من الشعر «بالشعر الصافي»

ولغة الانسانية في رجولتها النامية في هذا الزمن وفيما بعده هي لغة المنطق والزكاء والفلسفة العلمية والحكمة وما اليها ولذلك لانميل إلى اعتبار الشعر الذي تقدمه هذه اللغة الينا شعراً صافياً ونراه بعيداً عن العوطف والوجدان

على أن هناك محاولات جديدة في العهود الأخيرة ترمي إلى الجمع بين الصورتين بحيث تستوعب نفحات العاطفة ثمار العقل عند التعبير الشعري . ومعنى هذا أن تتحول الفلسفة والحكمة والعلم إلى إيمان صادق في نفس الشاعر فتتمثل في شعوره ونظمه وهذا لن يكون بطبيعة الحال تعمداً عن طريق الصناعة ، وانما يكون حيث يوجد الشاعر الذي له بطبيعته وتربيته هذه النزعة فتصير عواطفه وإيمانه وعلمه وفلسفته وحدة تكاد لاتقبل التجزئة

فأما مثال «الشعر الصافي» فتجده عند أبي نواس وابن خفاجة وشلي وكيتس وورد زورث مثلا وأما «الشعر العلمي المنطقي» فأظهر أمثلته بيننا شعر الاستاذ الزهاوي. وأما شعر «العاطفة الفلسفية» التي تقدم لك احساسا صادقا تمتزج فيه نوافح الوجدان بأحكام العقل امتزاجاً شائقاً مقبولا ففي أمثلة مختارة من شعر أبي العلاء

المعرى وشعر المتنبي ولعل أخلد الأمثلة لذلك دالية أبى العلاء المشهورة
وفى رأيى أن هذا النوع الأخير من الشعر لايقل سمواً عن « الشعر الساذج الصافى » ؛ وربما جازلنا أن نعده أسمى أنواع الشعر ، بل شعر المستقبل . ولما كان الشعر (كالأدب عامة) نقداً للحياة لم يكن من الغرابة ولا من المجازفة أن نقدم هذا الرأى حينما نلحظ متجه التطور للعقل الانسانى
وبين أعلام أدبائنا من لايرضيه ظهور هذه النزعة فى الشعر الانجليزي وفى الشعر العربى الجديد ويؤثر الشعر الفرنسى عليهما ، وبينهم من يرى أن الشعر ينبغي أن يكون قصراً على الظرف واللهو والمداعبة والاستهتار أحياناً ولكننا لانعرف ان الحياة هى هذا وحده ، ولا نرى الشعر الذى يقتصر على هذه النماذج شعراً جامعا سواء فى روحه أو مشتملاته . ولا يكفينى أن يكون الشاعر مصوراً ، ولا يرضينى أن يكون حاكيا وانما يعنينى أن يكون أيضاً خالقاً لمثل أعلى ! وهذا ماينقله تواً إلى دائرة الفيلسوف على أنى - مع اعترافى بذلك - اكرر أن الشاعر الفلسفى النزعة الذى لا تخاصم عواطفه عقله ، والذى يرضى عقله أن يعهد إلى العواطف فى أن تعبر عنه بلغتها هو أسمى الشعراء على الاطلاق
وإذا آمنت معي بهذه النظرية لم تجد مانعاً لأن تهضم الحقيقة الشعرية أية حقيقة علمية . وهذا الاستاذ ترفليان صاحب كتاب (تاميرس - Thamyris) لايرى مايمنع هضم الزراعة والهندسة والطب الخ فى الشعر ، فالعبرة فى كل ذلك بتأثر عواطف الشاعر بكل هذا ثم بطريقة أدائه، وهل هو يجعل من العالم شعراً ، أم يجعل من الشعر علماً وهذا شوقى بك نظم كما نظمت فى تربية النحل فكانت قصيدته المشهورة فى هذا الموضوع من أجمل وأنفس شعره
وكما أن خصب التربة شرط أساسى فى مقدمة العوامل لحسن إنتاجها، أو كما أن لكل تربة ماهو أصلح لها من غرس، فكذلك لاينتظر أن يثمر أى نوع من الشعر بدرجة واحدة فى كل ذهن ، بل لا عجب إذا رفضته بعض الأذهان . وقبول الشعر هو أثر لنوع من الايحاء ، وليست كل النفوس سواء فى التأثر بايحاء معين ، ومن ثم كان من العدل أن لا تلقي العيب على الشعر وحده إذا لم يكن له أثر محسوس فى بيئة معينة ليس لها الاستعداد الكافى للتأثر به وإن كانت لها القابلية للتأثر بسواه ، فهذه كلها أمور نسبية ليس من الحكمة والصواب أن تكون موضع الجزم والتحتيم
ومما يشرف الشعر أن يمثل بيئته أصدق تمثيل ولا يكون فى مجموعه غريباً عنها ولكن مما يشرفه أكثر أن يمثل فى نواح منه الحقيقة الانسانية الشاملة وأن لايكون مجرد مرآة بل روحاً خالقة حافزة إلى جانب ذلك .

وقد أشرت غير مرة الى « الحقيقة الشعرية » كشيء يختلف عن « الحقيقة العلمية » وأراني مطالبا بشيء من التفسير، فأقول إن « الحقيقة العلمية» تحتم التعريف الصادق منطقياً وواقعياً ، بينما « الحقيقة الشعرية » لاتحتم الا الصدق الخيال والاحساس . ومن الجائز أن يقول شاعر مريض أوسليم شعراً لايمكن أن يوافق أبسط مبادىء العلم أو المنطق أو يكون كله شذوذاً عجيباً ، ومع ذلك نعد هذا النظم ذا « حقيقة شعرية » لأنه يعبر بصدق واخلاص تام عن نفسية ذلك الشاعر فى ظروف خاصة ، ويمثل حقاً وحدة العواطف والايمان الذى فى لبه . ومن أجل ذلك أميل إلى الاستعانة بعلم النفس فى نقد الشعر فهو أولى من سواه من العلوم الشكلية فى تحليل وتقدير لغة النفس وصورها

ويميل بعض النقاد إلى النظر فى مسألة الانتاج الشعرى نظرة فلسفية ، ولا بأس بذلك . ومعظمهم يرى أن الاقلال أنسب للاتقان الفنى فى الشعر . أما أنا فرأيى الخاص هو أن الشاعر المطبوع مكثر بفطرته وليس مقلا ، فاذا لم يظهر له شعر كثير فليس هذا مما يناقض نظريتى، بل يكون معناه أن شعره محول إلى منافذ أخرى فى حياته ، فقد يكون لهواً أو رياضة ذهنية أو رقصاً أو عزفاً أو غير ذلك ، وهكذا تتخذ قوته الشعرية مظاهر مختلفة وربما لم يكن من سبب لذلك سوى تهيب النظم وانصرافه عنه لعوامل اجتماعية أو شخصية ومن شيوخ شعرائنا المطبوعين الذين نبذوا الاحجام شوقى ومطران ، وهما من أكثر الشعراء انتاجاً ، وكانما المرانة قد ساعدت على انضاج مركز الطبع الشعرى فى ذهنيهما ، فأصبحا تحت تأثير فسيولوجى لايهدأ ، وهو ذو مستوى خاص فى كل منهما لايضعفه غير الكلال ، فلا يفسد قيمة إنتاجها الاكثار مادام ذلك طبيعيا وعندى أن الاقلال المصطنع لايقل سوءاً وقبحاً عن الاكثار المصطنع ، وانما الجمال يكون فى إطلاق النفس الشاعرة على سجيتها .

وما دمنا قد أشرنا إلى الايحاء وتأثيره فلا بد من كلمة عن لغة الشعر . وخيرها عندى ماناسب المقام لفظاً وجرساً بحيث يكون اللفظ والمعنى وحدة متماسكة فى تأدية الاحساس الشعرى ونقله اليك ، ولذلك أوثر فى كل بيئة الموسيقية الشعرية التى توافق روحها . ويعلم القراء أنى لست من أنصار اللهجة العامية ، ولكني ارتاح إلى تمصير العربية أو تعريب المصرية بحيث يظهر فى أدبنا المصرى روح هذا الوطن الرقيق الوديع وهو مايمثله شعر البها زهير أصدق تمثيل ، وقد يمثله شعر ابن قلاقس وابن النبيه وابن نباتة بعض التمثيل وأما الرجوع بنا إلى لهجة العصر الأموى والعصر العباسى فليس من التجديد ولا من انصاف بيئتنا فى شيء . وأرى بيئتنا المصرية الحاضرة متفرنجة فلا يمكن تجريد شعرنا العصرى من روح التفرنج، ولن يخاف ذلك الا كل متصنع يحتمى خداعاً أو جهلا منه بفلسفة الشعر - وراء الغيرة على اللغة ، حينما هو يسيء بذلك إلى لغته وشعره ؟

أحمد زكى أبو شادى

مقدمه القرآن

بقلم القس ج . م . رودويل

الدياجه بقلم ج . مرجو نيوت

يجب التسليم بأن القرآن قد اعتلى مركزا مهماً بين كتب العالم الدينية . وبالرغم من أنه أحدثها فانه يوجب لنا إندهاشاً من عظم تأثيره على جوع كبيرة من الناس ، فقد تسبب فى إيجاد فكرة إنسانية من طراز جديد وفى خلق امة عظيمة من قبائل العرب الرحل الذين كانوا يسكنون جزيرة العرب وإيضا قد كان السبب فى إيجاد النظام الدينى السياسى الذى يعترف بأثره كلا من الغرب والشرق

وسراهمية هذا الكتاب ناشىء عن العقل الذى أنشاه . ولم يكن القرآن فى بادىء الأمر كتابا بل صوتا رهيبا شرع وحذر ومنى وعلم . وهو كتاب ، قد نشر بعد موت النبي وقد كان قبل وفاته مجاميع من مذكرات وأقوال وتذكارات لدى السامعين فوالحالة هذه يكون الذى يتكلم عن القرآن إنما يتكلم عن محمد أيضا . وليس فى الامكان إيجاد تقارب بين المكتوب والكاتب مثل التقارب الكائن بين القرآن ومحمد . هناك أراء متنوعة عنه . فالمسلمون يسلمون بأن محمداً خاتم النبيين وأن القرآن تنزيل الحكيم وهناك من يتابع كارليل فيما ذكره عن محمد فى كتابه « الأبطال » وهناك أيضاً من يغمط محمدا والكتاب حقهما من الأكبار

أن قيمة أى دين تتوقف على مقدار الحقيقة الذى تحويه تعاليمه وعلى المستوى الخلقي المطلوب من معتنقيه الوصول اليه ، ثم بعد ذلك يجب الالتفات إلى الجديد فيه أى الذى لم ينقل عمن سبقه . اما عن الوجهة الاولى فقد حوى الاسلام بعض حقائق إما اخلاقياته فتسبب لنا الدهش إذا بحثنا عنها من حيث نحن الآن ، ولكنها تسبب لنا الرضا لو قارناها مع الأخلاق التى كانت متفشيه بين قبائل ذلك العصر . وقد حاول محمد أن يجعل أخلاقياته متابعه للادوار التى كان يلعبها بين فترة وأخرى وأما مادته فمأخوذة كلها من الوثنية ثم المسيحية واليهودية بشكلها فى ذلك العهد . وأما النسق فهو

وحده الذى يصح أن يقال أنه غير مستعار. وللقرآن ميزتان هو انه كان فاتحة لنسق أدبي جديد وكان السبب فى إيجاد فلسفة كانت الشغل الشاغل لمفكرى اليهود والنصارى طيلة عهد القرون الوسطى

إن نسق القرآن طريف لايماثله أى نسق لغوى آخر، وأنك عند ما تسمعه يتلى تظنك تصغى إلى صوت أنبياء اسرائيل الاول . ولكن أول ما يلفت النظر اليه هو كثرة التكرار لدرجة المبالغة .وهو يحوى زيادة على ما سبق شيء كثير من اللفظ الوحشى

حقيقة أن جزأ من هذا يعود على عجزنا عن متابعة نفسية عصر النبي، فاذا أردنا أن ننصفه وجب أن نرجع إلى ذلك العصر لنقدر على الحكم بانصاف . فقد كان يناضل بشجاعة وسط عقبات كثيرة .ولم يكن على شيء من الثقافة اللهم إلا بضع قصص وتقاليد وقف عليها بالسمع فلم يكن له مؤدب إلا نفسه

ويقول المسلمون أن القرآن أحسن شيء كتب ولايجدون عيباً فى نسقه وكذلك يسلمون بصحة كل مايحويه من مادة ويدعون أنه فى ذاته معجزة عظيمة

ج . مرجوليوث

المتن

ليس هناك قائل يزعم أن تنظيم سور القرآن كما يتبع فى الطبعات العربية أو الافرنكية يعود إلى تقاليد دينية أو حتى إلى إشارة من النبي لاتباع هذا النسق دون غيره

جمعت المتفرقات التى كون منها القرآن فى عهد أبى بكر بعد مرور عام على وفاة محمد، لان عمر نصح بذلك لملاحظته أن الحفاظ والصحابة يموتون واحد إثر واحد خصوصاً فى حرب اليمامة (١٢ هـ) التى كادت تأتى على البقية الباقية منهم

وقد وقع الاختيار على زيد بن ثابت الانصاري لجمع شتاته من صدور الرجال اومن الاحجار الخ والظاهر أن القرآن الذى جمع وقتئذ أودع لدى حفصة أرملة محمد وكان المرجع الوحيد طيلة خلافة عمر وقد نقلت عنه عدة نسخ . ولكن اختلفت القراءات الامر الذى استفحل فى زمان عثمان وخوفا من اتساع الخرق وانقسام المسلمين كما سبق

واختلف اليهود والمسيحيون على النص ، بادر عثمان بتوحيد الأصول التى يؤخذ عنها فناط بزيد السالف الذكر عملية ضبطه وفقا للقراءة المكية . وقد كلف ثلاثة أو اثنى عشر شخصاً لمعاونته . وقد نقلت عدة نسخ مضبوطة منه الى أركان الامبراطورية لاجل النقل عنها

والظاهر أن زيداً و رفاقه لم يجمعوا شتات القران اتباعاً لنسق مخصوص اللهم الا محاولة وضع أطول وأوفى السور فى الاول وبالرغم من أن هذه الطريقة ليس فيها شىء من الفن ولا الصنعة فانها لم تتبع تماماً

ومن الغريب أنهم وضعوا بعض السور المدنية المتأخرة قبل بعض السور المكية المتقدمة ويمكن ملاحظة أن السور القصيرة الأخيرة هى الأولى كذلك يلاحظ أن بعض الآيات المكية قد زجت ضمن السور المدنية وبالعكس . ويمكن والحالة هذه الحكم بأنهم رتبوا مادة الكتاب بما توصلت اليه أيديهم أولا بأول دون أن يبالوا اذا كان سياق الكلام متتابعاً أو منقطعاً ودون اهتمام بانسجام النسق ، فنتج عن هذه الحالة وجود نقط من المتعذر تتبعها لأنها متنافرة فى المعنى والنسق لا تمشى مع روح الموضوع الذي رمى اليه مؤسس الاسلام . ويلاحظ أيضاً عدم محاولتهم الجماعة انشاء جمل وصلية تجمع أقوالا متنافرة مرصوصة مع بعضها جنباً الى جنب وفى هذا شاهد على أمانة الجامعين واحترامهم للكتاب المنزل ولكن كان الأجدر بهم ألا يفعلون ذلك خدمة للتاريخ ومسايرة للروح التى أوحت بوضع الكتاب خصوصاً وأنه ليس من المرغوب فيه وجود النسخ والتناقض فى كتاب كهذا . وقد حاولت أن أنظم السور قدر الامكان وفقاً لتسلسل نزولها واعتمدت على رأى فيل Weil فى كتابه محمد الرسول Mohamed der Prophet وتطبيقاً للتاريخ المتداول عن سيرة محمد نفسه . كذلك اهتممت بما كتب ميور Muir فى حياة محمد Life of Mohamet وكذلك ما كتبه نولدكه Noldeke فى كتاب تاريخ القران Geschichte der Qeran ويلاحظ الانسان تبايناً غريباً بين السور الأولى والتالية والأخيرة

ترتيب السور حسب التنزيل

٩٦ العلق
١١٣ الفلق
١١١ النصر
٩٢ الليل
٩٧ القدر
٩٥ التين
٨٢ الانفطار
٧٧ المرسلات
٨٣ المطففين
٥٣ النجم
٧١ نوح
٢٦ الشعراء
٤٣ الزخرف
٢٥ الفرقان
٤١ فصلت
١٤ ابراهيم
٢٩ العنكبوت
٣٥ فاطر
٢ البقرة
٤٧ محمد
٦٥ الطلاق
٥٨ المجادلة
١١٠ النصر
٧٤ المدثر
١١٤ الناس
١٠٨ الكوثر
٦٨ القلم

٨٦ الطارق
١٣٠ العصر
٨١ التكوير
٧٨ النبأ
٦٩ الحاقة
٧٠ المعارج
٧٦ الانسان
١٥ الحجر
٧٢ الجن
١٧ الاسراء
٤٥ الجاثية
١٢ يوسف
٣١ لقمان
٧ الاعراف
٩٨ البينة
٣ آل عمران
٥٩ الحشر
٢٢ الحج
٤٩ الحجرات
٧٣ المزمل
١ الفاتحة
١٠٤ الهمزة
٩٠ البلد
٩١ الشمس
٨٥ البروج
٨٤ الانشقاق
٨٨ الغاشية

٥١ الذاريات
٥٥ الرحمن
٤٤ الدخان
١٩ مريم
٦٧ الملك
٢٧ النمل
١٦ النحل
٤٠ غافر
٤٢ الشورى
٤٦ الاحقاف
٦٤ التغابن
٦١ الصف
٣٣ الاحزاب
٤٨ الفتح
٩ التوبة
٩٣ والضحى
١٠٩ الكافرون
١٠٧ الماعون
١٠٥ الفيل
٨٠ عبس
١٠١ القارعة
١٠٠ العاديات
٨٩ الفجر
٥٢ الطور
٥٤ القمر
٥٠ ق
٣٨ ص

٢٣	المؤمنون	٩٤	الانشراح	٣٦	يس
١٨	الكهف	١١٢	الاخلاص	٢١	الانبياء
٣٠	الروم	١٠٢	التكاثر	٣٢	السجدة
٢٨	القصص	١٠٦	قريش	١١	هود
١٠	يونس	٨٧	الاعلى	٣٩	الزمر
٦	الانعام	٩٩	الزلزلة	٣٤	سبأ
٦٢	الجمعه	٧٩	النازعات	١٣	الرعد
٥٧	الحديد	٧٥	القيامة	٨	الانفال
٦٣	المنافقون	٥٦	الواقعه	٤	النساء
٦٦	التحريم	٣٧	الصافات	٢٤	النور
٥	المائدة	٢٠	طه	٦٠	الممتحنة

وانك الى السورة رقم ٥٠ من النسق المبين أعلاه (سورة ق رقم ٤٥ على النسق المتبع) تجد الروح الشعرية متغلبة وفيها التهديد مختصراً ولكن عندما تزداد سطوة محمد تجده كثير الانذار عنيفاً فى حملاته مع عدم الاهتمام الى اتباع النسق الشعرى فقد فقدنا الشاعر حين برز النذير الذى حاول بسط نظريات اجتماعية وقد ذهبت ذكرى السماء وجهنم من طريق قص قصص اليهود

ثم قصص المسيحيين . وانك لتجد فى السور المدينية وعددها ٢٩ صراحة لم نعهدها من قبل فيها نضال من اجل المبدأ الجديد . وانك لتجد الذى كان فى مكة مقنعا ناصحا قد انقلب فى المدينة مشرعا غازيا يملى وجوب اطاعته معتمداً على اسلحة خلاف قلم الكاتب الشاعر . ففي المدينة لم يجد الشعر له مجالا بل قد حل النثر مكانه مع ادماج بعض مقطعات شعرية هنا وهناك وقد كان فى مكة يدفع عن نفسه الشاعرية ولكنه فى المدينة كاد ان لا يحاول هذه المدافعة

ونقابل فجأة مع الدعوة الى طاعة الله مع طاعة (رسوله) ورضاء الله مع رضاء (رسوله) مجتمعة معا وقد كانت دعوته سابقا منحصرة فى الله ، وانك لتجد الدعوة لذاته جلية فى السورة (٩ التوبة) الآية ١١٨ و ١٢٩

واعتقد ان أول ما يدور بخلد قارىء هذا الكتاب انه إبتدأه بروح الباحث

وراء الحقيقة ثم انقلب حاثا على اتباع تعاليم مخصوصة ثم الى مشرع ومقنن كذلك من السهل ملاحظة ان نسق القرآن قد اهتم فيه بايجاد تأثير فى سامعه وليس على قارئه ومنه مواقف فجائية تجبر السامع للتروى ويمكن ان يقال ان نسق القرآن هو كالآتى :

نزول جبريل بالوحى والنبى حوالى الاربعين من عمره بينما كان مسيحيا الى جبل حراء القريب من مكة تلى ذلك (الفترة) حيث انتظر هبوط الملك مرة ثانية وقد قضى ثلاث سنوات لم يجمع فيما حوله سوى اربعين مؤمنا كانت اولاهن امرأته خديجه وكان اهمهم خليفته ابو بكر

ثم قام النزاع بينه وبين المكيين وتبع ذلك ردح من الزمن حدثت فيها الرؤيا الثانية فقام يناضل الوثنية بشدة الامر الذى ادى لهجرة الحبش ثم التفت بعد وقت اخر الى القصص المسيحية واليهودية واظن أنه احتاج لزمن لنفهم مبادئهما قبل ان يشير اليهما . تبع ذلك اسلام عمر عام ٦١٧ ب . م ثم الرحيل الى الطائف عام ٦٢ ب . م ولمحاولة اقناع الحجاج المدنيين فى مكة وجوب اعتناقهم للاسلام ثم نشره فى مدينتهم . وحدثت فى هذه السنة حادثتا الاسراء والمعراج وتبع ذلك صدور امره بالمهاجرة الى المدينة وكان ذلك فى ابريل ٦٢٢ ب . م وتحوى هذه المهاجرة خبر التجائه مع ابى بكر فى الغار وكان ذلك فى ٢٠ يونيو سنة ٦٢٢ ب . م ثم عقب ذلك معاهداته مع القبائل المسيحية فوقعة بدر وموقعة احد ثم اتحاد اليهود والمشركين ضده ٦٢٧ ب م وما تبع ذلك من حصار المدينة ثم معاهدة الحديبية وارساله الوفود الى خسرو انوشروان ملك العجم (فى نفس السنة) والى حاكم مصر والى ملك الحبش داعيا الى الاسلام ثم محاربته للقبائل اليهودية ومنها قبيلة خيبر ثم ارسل وفوده الى هرقل والى سوريا ثم حجه للكعبه سنة ٦٣٠ ب م وهدمه لاوثانها وتسليم نصارى نجران وعيله والطائف واتته الوفود مستسلمة من حضرموت واليمن ثم تأمين الحج فكل هذه النقط تساعد على تنظيم السور نظاما تاريخيا انما ما يسبب التعب حقا هو وضع الآيات المستقلة الموضوعة لمناسبات فى مواضيعها الحقيقية ويجوز ان محمدا نفسه قد ضم ايات سابقة باخرى لاحقه فى مناسبات خاصة لرغبته فى التخفيف من تأثير قوة السابقة .وهذه الفترة هي التى اكثر فيها من ذكر الغفران والاشارة الى العذاب المقبل

ومن الغريب ان حوادث محمد نفسها لم تذكر فى القران الذى لا يحوى الاشارة

بسيطة عن اثنين من اتباعه كذلك النص لم يحو اسم محمد الا خمس مرات مع انك تجد جبريل يخاطبه بقوله : اقرأ : ويا أيها المدثر : كثيرا (راجع السورة ٢ر١٥ و ٥ر٢٤٦ على وجه الخصوص)

ومن المعقول انهم لم يهتموا بجمع تاريخ محمد ولا اقواله الا بعد مايقرب من قرن من الزمن وقد جمع ذلك فيما بعد مما هو متداول بعد ان مزج باغراض وغايات وقد اختلقوا اقوالا وقصصا نسبوها اليه وحاولوا تفسير القران مستندين عليها وذلك لخدمة بعض اغراض رمى اليها الامويون ، العباسيون

وقد ظهر فى عهد الخليفة الخامس ثلاثة أئمة لا يزالون المعتمد الذى نستند اليه فى التثبت من اخبار واقوال محمد . ولا يمكن أخذ اقوالهم قضية مسلمة لانها كانت ترمى لاثبات آراء فقهية معينة وكانت تحاول طمس حق على وخلفائه فى الخلافة وكذلك حشوا ضمن ما جمعوه بعض معجزات لم يذكرعنها القران شيئا . هذا اذا لم تقل بان القرآن صريح فى نفى حدوث اية معجزة . ويجب على المسلم ان لا يسلم بصحة حديث او سنه الا اذا تنوقلت عن مصادر امينة مع موافقتها . لروح النص . ولكن هناك اشياء لا يمكن التثبت منها اذا عدنا لمعانى القران الا بالتأويل

واول من كتب عن محمد رجل اسمه الزهرى ماتوفى سن ٧٢ عام ١٢٤ هجرية ولم يبق من آثاره شىء الا ما ذكر فى كتب خلفائه عنه وقد اعتمد على عروة المتوفى سنة ٩٤ وكان من اقرباء عائشة زوج النبى

وتبعه ابن اسحق احد مستمعيه ومات سنة ١٥١ هـ وهذا الذي كتب تاريخ محمد للخليفة المنصور وبقيت لنا اثار منه بنى عليها ابن هشام تاريخه وقدمات هذا الاخير عام ٢١٣ هـ

ثم كتب الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ تاريخا وصل الينا مختصر عنه بقلم الكاتب

وكتب الطبرى تاريخ العرب وقد مات سنة ٣١٠ هـ وله حوليات عن محمد فهؤلاء الكتاب القدماء هم المصدر الذى نأخذ عنه معلوماتنا عن حياة محمد وليس من العلم فى شىء الاعتماد على رجل مثل ابى الفداء الذى نقل المتواتر وفند مايصح تفنيده منه

ولكن من السهل ملاحظة التطابق الكائن بين قصص القرآن و بين التلمود العبرى مثلا واستنتاج التحوير الذى اوجد فى بعض القصص . وكذلك نجد تطابقا بين قصص النصارى العرب وبين ما ذكر فى القرآن

وقد امتنع الناس أخيراً عن الشك فى تنزيل القرآن . ولكن حال حياة محمد قال المكيون إن القول قول شاعر وانه حديث ساحر (سور ٣٦ و ٢٥ و ١٧) وانه مجموعة أقاويل كاذبة وزعموا أ سليمان القارسى هو الذى أفهم محمداً فكرة النعيم وجهنم المذكوره فى الزند افستا (كتاب الزرادشتيين) وان راهبا مسيحيا اسمه سرجيوس (بحيره) هو الذى أفهمه روح المسيحيه وقد يكون غيره من المسيحيين وخصوصا العبيد منهم من ضمن من أفهموه بعض ما علمه . ويقال إن امرأته خديجه وقريبها ورقة كانا مسيحيين . هذا بخلاف وقوف أتباعه على تعاليم المسيحيه واليهوديه . كذلك كان بعض العرب من معتنقى هذه الاديان . ويجب لا ننسى بأن محمدا قد رافق عمه ابى طالب مرتين فى رحلاته ولاشك أنه قد اتصل فى كل مرة ببعض اتباع المسيحيه الشرقية

يجدر بنا هنا الاشارة الى انه كان فى عصره وقبله بعض سكان مكه من الباحثين مثل زيد واميه (الطائف) وورقة وكانوا متذمرين من تعاليم الوسط الدينيه لما رأوه من مميزات المسيحيه واليهوديه فحاولوا ايجاد بعض تعاليم ارقى ومن ضمن اتباع محمد يمكن تسمية أثنى عشر رجلا بالاقل كانوا ينتمون الى الحنيفيه التي تقول بالاله الواحد وتعتبر انها من ذريه ابراهيم مؤسس دينهم وقد صرح محمد أنه من الحنيفيه (وليس الحنيفية) (النحل ١٢٠) - (راجع الحنيفية فى الفهرست الموجودة منه نسخة خطية فى مكتبة باريس تحت رقم ٨٧٤) - ويعتقد علماء الاديان ان نسخة الفهرست هذه كانت ملكا للخليفه المأمون وفى هذه النسخه يسمون الحنيفية الصابئة وهم اصحاب صحف ابراهيم فمن هذه الصحف نقل محمد قصتي عاد وثمود ومن المعقول ان محمدا كان من اتباع الحنيفية ثم خرج عليها ودعى الى الاسلام وقد قيل ان ورقة كان تابعا لمحمد حتى خرج عن الحنيفية فتخلى عنه ويظهر ان محمدا قد خلط ما بين تعاليم الادريين Gnostics بالمسيحيه وظنها منها ولذلك رغبة منه فى التقرب من اليهود انكر حادثة صلب المسيح ودعى اليهود الى السليم بحقيقة المسيح كما ذكرها هو فى كتابه وانه رفع الى السماء كما رفع بعض انبياء اسرئيل

وكانت الصابئه تتجه صوب بيت المقدس فى صلاتها وهذا ما كان يفعله محمد فى المبدإ لمدة ١٢ سنة وكذلك الغسل كما هو معروف فى الاسلام اصله صابئى وانك لتجد فى (سورة ١١ / ١٠٥) نبذة طويلة منقولة عن الكتاب المقدس حرفيا

بخلاف نبذ قصيره اخرى موجودة هنا وهناك كذلك راجع (التثنية ٢٦/٤١-١٧ بطرس اول ٥/٢) بالسورة (١٤/٥٠) والسورة (٥/٧٣) يوحنا (٧/١٥) ومتى (١٤/٣٦ ويوحنا ٧/٢٧) فى لفظتى امى والساعه

حقيقة لم يكن الكتاب المقدس قد ترجم فى ذلك العهد ولكن هذا لا يمنع من أن العرب النصارى واليهود كانوا واقفين على محتوياته وهذا الذى دعا محمداً الى الاهتمام بنقل القصص دون بقية التعاليم نقلا مطولا

وقد ذكر محمد فى موقع واحد (الاحقاف/١٠) أن أحد اليهود كان شاهدا على رسالته كذلك راجع سورة (٦/٢٠ و٢/١٣ و٩٨) وسورة (٢٥/٥ و٦)

ومع كل ما سبق لا يمكن لنا اتهام محمد فى اخلاصه للعمل على انتشال قومه من عبادة الاوثان إذ كان له دافع روحى قوى للجهر بما جهر به مقتنعا انه انما ينفذ ارادة الله .

وقد أزاد نجاحه من يقينه ، والا لما وقف وجها لوجه امام الاضطهاد دون ان يتقهقر

حقيقة كانت بلاد العرب مستعدة لاقتبال آراء جديدة قبل قيام محمد بدعوته وكانت النظريات موجودة لا ينقص الا جمعها والجهر بها فالاسلام كان ضرورة لابد من وقوعها

وقد ساعدت محمداً استقامته وأمانته على الحلول فى المحل الذى تمكن من ملئه بنجاح حتى أصبح أحد الذين كان لهم أثر عظيم فى رفع شأو الاخلاق والايمان. وقد كان حقا رجلا عظيما بكل ما فى الكلمة من معنى وقد سهلت له الظروف النجاح فى مهمته فمن الغبن أن يقوم بعض رجال من الغرب لمحاولة النيل من عمله العظيم واتهامه بأنه . . . وكل ما يمكن للمسيحى أن يقوله عنه أنه مخطىء والخطأ لا ينفى العظمة وقوة الاخلاق

كذلك يجب الاعتراف بأن القرآن جدير بالاهتمام لما حواه من النظريات العالية والارشادات القيمة . فهو الروح الذى غير تلك الامة الفقيرة الجاهلة الى أمة ذات مدنية زاهرة بسطت جناحها على منطقة تحد غربا باسبانيا وشرقا بحدود الهند فقد انقلب الرعاة البسطاء ما بين طرفة عين الى مؤسسى امبراطورية عظيمة مرصعة بالمدن الكبيرة وهم الذين جمعوا المكاتب القيمة . وهل من ينكر العظمة التى وصلت اليها الفسطاط وبغداد وقرطبة ودلهى ؟ وللقرآن مقام محترم كقانون راق نسبيا لعصره وكهاد دينى وكمعل لاسم الله فى وسط كان يعبد الاوثان

ويجب أن لا تنسى أوروبا أنها مدينة لهذا الكتاب ولهذا النبي بشمس العلم التى أطلت على أرجائها فقشعت ظلمات القرون الوسطى وكفى القرآن فخرا أن يحوى كلاما مثل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

مترجمة

ع . ع



أغانى بليتيس

— ١ —

حياة بليتيس

قال بيرلوتى :

ولدت بليتيس فى مستهل القرن السادس قبل الميلاد ، فى قرية قائمة على شطوط ميلاس ، نحو شرق بانفيلى . وهذه بلدة محزونة واجمة ذات كدة من آجامها اللفيفة ، تعلوها جبال طوروس بكثبان جسام تتفجر من بينها الينابيع . وعلى متون الهضاب بحيرات مالحة رحبة . أما الوديان فكانت مليئة بالسكون

وكانت بليتيس بنت رجل يونانى وامرأة فينيقية . ويستبان أنها لم تعرف أباها ، لأنه لا يلمح فى ذكريات طفولتها شىء من ذكره . فربما كان ميتا قبل مجيئها الى الوجود . ولذلك أسمتها أمها باسم فينيقى من بعده

فعلى هذه الارض الخالية كانت تعيش عيشة ساكنة مع أمها وأخواتها ، يسكن قريبا منها أتراب لها صرن صديقاتها . وفوق منحدرات طوروس النابتة كان الرعاة ، كل مساء ، يغنون على الرباب لقطعانهم

ومنذ يصيح الديك ، فى الصباح ، كانت تقوم الى مربط البهائم فتوردها الماء ثم تحلب ألبان الشياه . وإن حبسها المطر فى النهار كانت تظل فى الجينيسه (١) فتغزل بعرناسها الصوف . وكانت اذا صفا الوقت تركض الى الجنائن فتلعب مع لداتها الف لعبة كما تحدثنا عنها

وكانت بليتيس تؤامن بالجنيات وتوق لهن بحرارة ، فتقدم اليهن الذبائح حتى تكاد تكلمهن ، وكما يظهر ، أنها لم تراهن أبدا ، وإنما تتعلل بأن شيخا رآهن من قومها وأصيبت فى آخر حياتها الريفية بغرام ملأها حزنا ، نعلم عنه القليل ، وتكلمت هي عنه طويلا . وقد انقطعت عن انشاده منذ صارت بئيسة . وحين صارت أما تركت

---

(١) بيت الحريم عند اليونان

طفلتها وهجرت بانفيلى لأسباب مكتومة ، ولم تعد أبدا الى أرض ولادتها

ثم لم نلبث أن نجدها فى ميتيلين ، فقد أتت من طريق البحر بشواطىء آسيا الجميلة وكانت فى السادسة عشرة كما تدل بحوث المسيو « هيم » الذى اكتشف بعض العلم فى تاريخ حياة بليتيس من بيت شعر يشير إلى موت بيتاغوس (١)

وكانت جزيرة ليسبو ، فى ذلك الزمان ، بؤرة العالم ، فى منتصف الطريق بين آتيك الزاهية وليديا الجميلة . وكانت قاعدتها أسطع من أثينا وأفسد من سارد : تلك هى ميتيلين المشيدة على مشارف يحف بها البحر تقابل شطوط آسيا . ومن أعالى المعابد يرى فى الافق خط أثارينه الابيض وهى ثغر بيرغام

وشوارع هذه المدينة ضيقة تغص بالناس : فمن معشر عليهم برود موشحة ، وآخرون بأقمصة مطرزة أرجوانية . ومن فئة بنعال صفر لهم لباس يتدلى مؤخره ، يسحبونه وراءهم على التراب . والنساء يدلين من آذانهن أقراطا من اللؤلؤ منضود على حلق من الذهب كبير ، وفى معاصمهن أساور سميكة من الفضة يعلوها بروز . والرجال بذاتهم ، يتضوع العطر من شعورهم اللامعة . وكانت أكعاب اليونان عارية تحيط بها خلاخيل ذات اجراس لطيفة ، ومنها ماهو ملتو كالثعبان يخفق مع الاقدام . أما نساء اسيا فلهن خلاخيل واسعة رقيقة تنزل الى وجوه الخفاف . وكان المارة يجلسون جماعات أمام دكاكين يباع فيها الشتات . كالبسط الملونة القاتمة ، واللبد المرقم بخيوط مذهبة ، وجواهر الكهرباء والعاج . فحياة أسواق ميتيلين وبيوتها لا تنقطع ولو دب الفجر فى الظلام ، فليس عندهم وقت يسمى ساعة متأخرة من الليل لا يسمع فيها من الابواب المفتوحة ، أصوات القصف والمزاهر ، وجلبة الرقص وصياح النسوة

وبيتاغوس ، نفسه ، شاء أن يصلح قليلا من هذا الفجور الدائم ، فوضع سنة منع فيها الزامرات الصغار أن يغنين فى مآدب ليلية . ولكن هذه السنة ، كغيرها من اللواتى يدعين تغيير مجرى العادات الطبيعية ، فاتها ما كان يجرى دون الستور

وإن يئة أزواجها يقضون لياليهم بين الخمر والراقصات ليحتم القدر على زوجاتهم . أن يتقاربن وأن يجدن بينهن ، عن عزلتهن ، سلوى . فأتى لهن من ذلك التدله بهذه

---

(١) أحد الحكماء السبعة من الاغريق ولد فى ميتيلين (٦٥٠ - ٥٠٩) قبل الميلاد

الاهواء اللذيذة ، التى وضع أسماءها يونان القديم . وكانت ، رغم ما يخالج الرجال شكل منها أهواءاً صادقة أكثر منها عهرا وفضيحة

وكانت سابفو إذ ذاك فاتنة . عرفتها بليتيس فهى تتكلم عنها باسم بسابفو الذى كانت تعرف به فى ليسبو ، ولا ريب فى أن هذه المرأة المعجبة هى التى علمت البانفيلية الصغيرة من الغناء بالقوافى والايحاء إلى الأجيال الآتية أن يحتفظوا بذكريات أحبابهم

ومن النكد أن ترى بليتيس تذكر نزراً عن هذه المرأة التى لا يعلم من خبرها شىء ، فأسفاً ! على وجهها الجميل الذى أوحى إلى بليتيس عذب الفنون . لكن بليتيس تركت لنا مراثى كثيرة بكت فيها صديقة لها شابة فى سنها ، عاشت معها، اسمها منازيديكا ونحن نعلم اسم هذه الفتاة من قبل ، من بيت شعر لسابفو تصف فيه جمالها الرائع. ولكن فى هذا الاسم ريبة ويبرغ أوشك أن يفكر أنها تسمى منايس فالآغانى التى ستتلى عما بعيد تحمل على هجر هذا الافتراض . ومنازيديكا تظهر أنها كانت فتاة رقيقة حلوة ، من أحدى الأناسى الفاتنين الذين رقوا حتى عبدوا، تعظم محبتهم مازهدوا عما يستحقون والحب الصرف يتأبد ، أنما حب بليتيس لها دام عشر سنين . وسننظر اليه كيف تغير بخطيئة بليتيس ، وللحب غيرة تقع على كل شىء .

ولما شعرت بليتيس ألا شىء يمسك بها فى ميتيلين إلا الذكريات المحزونة، عزمت على سياحة ثانية : جاءت إلى قبرص ، وكانت جزيرة يونانية فينيقية مثل بانفيلى ذاتها ، فبعثت فى ذاكرتها منظر بلادها الأولى .

وهناك بدأت بليتيس حياتها المرة الثالثة ، بحالة يصعب جداً تصديقها لولا تذكر ما كانت عليه الشعوب القديمة من عبادة الحب وبالغ اللذات . فغوانى آما ثونت (١) لم يكن كغوانينا مخلوقات منحطات منعزلات عن كل بيئة دنيوية ، بل كن فتيات يمتن إلى أحاسن عائلات المدينة . منحتهن آفروديت سحراً وملاحة ، فكن يقدمن لعبادتها جمالهن كالقرابين . فكل بلدة تملك مثل قبرص هيكلا مترعاً بالغوانى كانت تعنى مثلها، باحترام كثير، بهذى النساء .

---

(١) بلدة قديمة فى قبرص اشتهرت بعبادة أودونيس وفينوس

وكان للجمال عندهم ، سيادة عليا ، فسيرة « فرينى » (١) الفريدة ، مثلما جاءلنابها آثينى (٢) قد أوجدت فينا نحوها فكرة احترام . ولم يكن حقاً أن إيبيريد (٣) كان بحاجة أن يضعها عارية ليعطف عليها حكام الآريوباج (٤) . ولكن جريمتها كانت كبيرة فانها قتلت .

ودفع هذا الخطيب عنها نزق أعلا قميصها وكشف عن نهديها الكاعبين، واستماح القضاة الشفاعة : « بألا ينفوا بالراهبة ووحى أفروديت الى الموت » .

وكل الغوانى كن يخرجن متلفعات بمآزر من الحرير رفيعة يرى منها كل تقاطيع أجسامهن البضة . ولكن فرينى على العكس ، كانت عادتها أن تستر حتى شعورها بثوب كبير يلبسه نساء تانغاز (٥) ولم ير أجنبى ساعديها ولا كتفيها ، ولم تبدالبتة تستحم بين كة الحمامات العامة . ولكن حادثا غريبا جرى ذات يوم : ذلك انه كان يوم الأعياد فى إيلوزى (٦) يحضره عشرون الف نفس أتوا اليها من كل بلاد اليونان فكل هذا الجمع كان على الشاطىء حين تقدمت فرينى إلى الموج فخلعت ثوبها، وحلت زنارها ونزعت عنها القميص ، ثم حلت شعورها ودخلت فى الماء وكان بين الناس براكزيتيل الذى اتخذ من جسم هذه الآلهة الحية تمثالا لافروديت دوكنيد وآبيل (٧) الذى ظنها اناديومين.

إن هذا شعب عجيب يرى الجمال العارى فلا يهيج له هزءا ولا خجلا !

تلك هى سيرة حياة بليتيس التى أخذت بسحرها . وقد أحبت صديقة منازيديكا إذ كنت أترجم هذه الأغانى الدقيقة ولا ريب أن حياتها كانت عجيبة وآسف انه لم يتكلم عنها من قبل كما يجب وإن المؤلفين الأقدمين ، الذين عاشوا بعد موتها لم يعلموا عنها

---

(١) غانية كان يتخذها النحات براكزيتيل مثالا لفينوس

(٢) كاتب يونانى من العصر الثالث الميلادى ولد فى مصر.

(٣) خطيب يونانى شهير معاصر لديموستين قتله آنتيباتير

(٤) المحكمة العليا بأثينا

(٥) بلد بين اتيك وبيوتى

(٦) بلد فى اتيك

(٧) مصور يونانى مشهور صور الاسكندر

الانزرا . وقسطى على أفكار هافيلوديم مرتين، ولم ـ كر حتى اسمها . وانى أراهن رغم شائبة سيرتها ، أن يستطيع أن يجد المرء السرور فى تفاصيل تقدمها هى لنا عن الحياة التى عاشتها كنعانية ، لقد كانت غانية ، وليس فى ذلك من بأس و أغانيها الاخيرة تشعر بانها جمعت الى إلهامات الفضيلة ضعة ووهنا ولكنى لا أود أن أعلم مافضيلتها .فقد كانت تقية دينة ظلت محبة للهيكل طيلة ما كان يسر أفروديت أن تمد بشباب أشد عابداتها الصالحات . و قالت إنها انقطعت عن الكتابة يوم انقطعت عن أن تكون معشوقة و يصعب أن نقبل أغانى بانفيلى بانها اكتبت حين كانت فيها فكيف تسنى لراعية صغيرة على الجبال أن تعلم وزن هذه الاشعار حسب القوافى الصعبة من اللسان الايونى؟ فاقرب الى الحقيقة أن بليتيس لما هرمت كان لها سرور أن تنشد لنفسها ذكريات طفولتها البعيدة . و انا لانعلم شيئا عن الزمن الاخير من حياتها . ونجهل حتى فى أية سنة ماتت

أما قبرها ، فعثر عليه المسيو . ج هيم فى باليو ـ ليمسو على حافة طريق قديم ،غير بعيد عن خرائب آما ثونت . وهذه الخرائب أوشكت أن تبيد منذ ثلاثين عاما . وربما كانت حجارة البيت الذى عاشت فيه بليتيس ترصف اليوم شواطي ءبورسعيد. أما القبر ، فكان تحت الرغام ؛ حسب عادة الفينيقين وقد أفلت من أيدى لصوص الكنوز

دخل اليه المسيو هيم من بئر ضيق ملآن ترابا . فصادف فى أسفله حائطا فيه باب عالجه حتى كسره ،فاذا قبو رحيب منخفض ـ مفروش ببلاط من الكلس وله أربعة جدران مغطاة بصفائح من الانفيوليت الاسود نقشت عليها بحروف كبيرة قديمة كل الاغانى التى ستقرأ شيئاً منها ؛ ماعدا الثلاث كتابات القبريه التى اكتشف بواسطتها الضريح

هناك كانت تبدأ صديقة منازيديكا فى تابوت من الفخار نقش على ظهر غطائه تمثال وجه المائدة الجميل :فشعرها مصبوغ بالسواد وعيناها نصف مفتوحتين مكحولتان كانما هى رحية ، وو جهها عليه ابتسامة خفيفة كانت تنشأ من خطوط فمها وشفتان لا يعلم سحرهما ، خصتان رقيقتان إحداهما متصلة بالاخرى ، وكانما هى سا كرتهم باطباقهما

وحين كشف عن القبر ، ظهرت على الحالة التى وضعتها بها يد تقية قبل أربع وعشرين قرنا . وقنانى عطر كانت تتدلى على الأرض وأحداهن، رغم هذا الزمن المديد ، ما زالت عطرة . ومرآة الفضة المصقولة التي كانت ترى بليتيس نفسها فيها، كانت هناك. والمرود

الذى كانت تسحبه بالكحل الأزرق بين أجفانها ، وجدفى مكانه - وتمثال صغير عار لأستارتى .

هنه تجاليد أبدية غالية ماتزال هيكلا عظمياً ، عليها حلى من جواهر الذهب ، مبيضة كالثلج ، ولكنها جد واهنة ، ففي الوقت الذى تمس فيه ، ستحور هشيما .

امثال من اغانى بليتيس

الشجرة

قد تعريت كى أفاخر دوحـــة بجمالى وجسمى العريان
ثم عانقتها بفخـــذى دلالا وتمشت نعلى على الاغصان
وأنا فوقها ، ولكن تقينى حانمات الأوراق حر ذكاء
قد جعلت الغصن الندى حصانا وترنحت فوقه ، فى الفضاء
سر منى . فرشني قطرات سال منه كلؤلؤ ، فوق صدرى
ويدي عطرت ، وإبهام رجلى صار كالورد ، من أزاهر حر
حينا الدوحة الجميلة ماست من نسيم ، أحسست بالروح فيها
فلثمت الغصون ، وهى رطاب وشددت الفخذين منى عليها

أغنية رعوية

أنشـــدينى أغنيــــة رعوية وأعبدى بان رب ريح المصيف
أنا أرعى القطيع مثل سلينى تحت زيتونة ، بظل لطيف
وسلينى تنام فوق الحشيش ثم تعدو ، أو تمسك الصرصورا
أو تلم الازهار والعشب أو تغسـل فى السلسبيل وجهاً نضيراً
وأنا أصطفي لمغزلى الأصـــواف من أظهر الشياة الشقر
وطوال الساعات أغزل فيه أو أري فى السماء تحليق نسر
قد مشى الظل فاصر فى قفة الزهر اليه وحقة الألبان
وأعبدى بان واهب الريح فى الصيف وقولى أغنية الرعيان

كلام الأم

غسلتنى فى ظلمة البيت أمى ثم فى الشمس ألبستنى إزارى
واذا فى الدجى خرجت لضوء البـدر شدت وعقدت زنارى
« نبهتنى : لا تنظرى من كوانا والعبى وارقصى مع الصبيان
واتركى النصح من نساء أيامى وأحذرى من مقالة الشبان
« رب ممسى يجىء شخصك فيه يتخطى إليك أعتاب بابك
وسط حفل من عازفين بآنون ومن زامرين حين أصحابك
« حينا تذهبين ، تلك العشية يابليتو ، فلى أمر الشراب
قدح للضحى وآخر للظهر وللعيد ثالث كالصاب »

زكى المحاسنى



التطور اللا الهى (١)

بقلم شارلس سمث

رئيس الجمعيه الاميريكية لنشر الالحاد

لم تنم قائمة للناس بعد طرح فكرة دوران الارض على بساط البحث إلا على فكرة التطور فاصبح كل المتدينين أن من المعارضين للفكرة الجديدة و إن من المحاولين تطبيق التعاليم الدينية عليها . و بالرغم من أن هذه الفكرة تقاوم من رجال الدين وتضطهد من المتشرعين ، فانها تدرس فى المدارس العالية والكليات فى الوقت الذى هى فيه مكروهة تاريخ التطور: التطور نظرية قائلة بأن كل أشكال الحياة قد ارتقت عن حالات بدائية .

وقديما لاحظ فلاسفة اليونان مثل طاليس وانكسيمندر وهرقليطس وأمبيذقليس ولو بطريقة مبهمة حركة التطور فقالوا بنشوء الحى من اللاحى وبقاء الانسب و بعلاقة لانسان بالحيوان . ولارسطو رأى فى تغير الانواع . وقد علم بها ملحدو العهد القديم ، ليوسيبس العظيم وديموقريطس وابقراط ولوكريشيوس الشاعر اللاتيني

ولكن لسوء الحظ برزت المسيحية وهي كارهة لكل ماهو عقلى محبذة للايمان فهربت الفلسفة من طريقها مرتمية فى أحضان العرب ولكنها ارتدت الى موطنها الاوروبى ثانية عن طريق اسبانيا بعد أن تقلص النفوذ الكهنوتى وذلك بعد مدة طويلة تكاد تقرب من ١٠٠٠ عام هى عهد أوروبا المظلم ، وكان الدين فى هذه المدة الكلمة العليا فاضطهد العلم أعظم اضطهاد وقد ظهر فى ظلمة القرون الوسطى رجال أهمهم كوبرنيكس وغاليليو وبرونو أولئك الذين صرحوا بأن النجوم ليست غير شموس وأن الأرض ليست مركز العالم كما كانوا يظنون وظهر بعد ذلك فانينى فقال بوجود درجات للحياة و قد خلص كوبرنيكس بموته من الاضطهاد. أما غاليليو فقد تاب واستغفر ولكن جوزى كل من برونو وفانينى بالحرق حيا وهكذا انتصر القساوسه . ثم ظهر بيكون وديكارت وليبنتز وهيوم ، فمسوا حقيقة فكرة التطور وتبعهم بافون فرأى الحقيقة متجلية ولكن خوفه من القسس أجبره على أن يكذب ، الامر الذى وصم تاريخه كما وصم تاريخ غاليلى بوصمة

غير مستحبة وا كتشف لابلاس النظرية السديمية القائلة بأن السيارات قد تطورت عن ضبابة نارية . ثم اكتشف يل من الصخور أن العالم قديم وانهى جوته وارسموس داروين وخلافهما إثبات نظرية التغير كما كانت تدعى . وتبع هؤلاء لامارك الذى يصح بحق تلقيبه بموجد فكرة التطور، نهاجم بشجاعة فكرة الخلق الممتاز وثبات الانواع ، وكان ذلك فى العام الذى ولد فيه داروين الشهير فاصبح لامارك والحالة هذه موجد فكرة امكان إثبات تسلسل الانسان من القردة . وبعد ذلك بعشرين سنة جمع شارلس داروين براهينه المثبتة لفكرة التطور سنة ١٨٥٩ وطبعها فى كتابه أصل الانواع

ثم ظهر بعده هيكل الملحد فوضع ماتوصل اليه لامارك وداروين فى نسق بسيط ورسم شجرة النشوء التى لاتزال مقبولة للآن

ولم يقف القساوسة مكتوفى الايدى ولكنهم حاولوا التشويش وأخذوا جانب العلماء المحافظين ومن هؤلاء العلماء فيرشو فقد أبان ضرورة عدم ذكر تسلسل الانسان من القرد عند تعليم التطور (حتى لا يتأتى عن هذا اضطراب خطير فى النظام الحكومى)

ولكن بالرغم من كل ذلك اعتنق العالم العلمى فكرة التطور فى أقل من نصف قرن فالتطور هو من بنات أفكار ملحدى اليونان القدماء وقد أحياه فيما بعد ملحدو الفرنسيين

كيف ثبتت نظرية التطور

(١) علم طبقات الارض : كان هذا العلم أول معول أخذ فى هدم الاعتقادات الكتابية باكتشافه بين طبقات الاحجار ما يعزز فكرة التطور ففي كل طبقة من طبقات الارض نجد متحجرات للحيوانات والنباتات التى عاشت فى ذلك العصر وكلما ذهبنا فى الطبقات العليا وجدنا آثار الحيوانات الراقية فالارقى وأخيراً عثرنا على بقايا الانسان البدائى ، فاذا تطلعت من أدنى الى أعلا تجد سلسلة النشوء متجلية بين الصخور

ويقف رجال الدين أمام هذا الاثبات فاغرين أفواههم . كيف لا وليس فى مقدورهم الادعاء بأن القائلين بالتطور هم الذين استحدثوا هذه الاشياء . ولكن بعض أذكيائهم قال أن الله غضب على خلائقه فجعلهم حجارة وهذا كل ما يقولونه ، ويتجاهلون وجود الترتيب الكامن فى بطون الصخور بنسق يبدأ بالمنحط وينتهى بالراقى ، وهذا مالم يجرأوا

أن يلفقوا له قصة . ولكنى أقول بالنيابة عنهم بأن الله قد بدأ بسخط الحيوانات الدنيا ثم التفت الى ماهو أرقى فأرقى ! أليس هذا كلام منطقى؟

(٢) تكوين الأجنة : تمر بالجنين أدوار تبدأ بالنطفة التى تقذف فى الرحم فنجده متخذاً شكل السمك تارة وله ذنب أخرى ، ومغطى بالشعر طوراً . كذلك نجد للجنين قلبا مقسما الى قسمين كالسمك وبعد ذلك نجده مقسما إلى ثلاثة أقسام كالزواحف وأخيراً إلى أربعة أقسام كبقية اللبونات . وبالطبع واجب علينا استنتاج شىء من مشاهدة أن أجنة الانسان كأجنة الدجاج ، تشابه فى مراحل من حياتها أجنة الاسماك

كذلك يلاحظ أن كل الانواع المتشابهة فى الوقت الحاضر تكون أقرب لبعضها فى حالة تكونها ولو أن أجنة جميع اللبونات والطيور والزحافات تتشابه مع بعضها لدرجة كبيرة . ويجب ملاحظة أن أجنة الانسان والقردة تتشابه حتى الشهر الرابع ، فلماذا تستغرب انحدارنا عن القردة ذوات الاذناب فى حين أنه قد مر زمن كان فيه كل منا بذنب .

(٣) الزوائد : فى الانسان أكثر من ١٠٠ عضو لا فائدة منها . وكلها موجودة فى الحيوانات الدنيا . أليس للمرأة آثار من العضو التناسلى فى الذكر أما يدل ذلك على سبق اجتماع أعضاء تناسل الجنسين فى الفرد الواحد

(٤) تماثل التكوين : من السهل ملاحظة التشابه الموجود بين يدى الانسان وأرجل الكلب وجناح الوطواط وزعانف القيطس

(٥) الاستيطان : يلاحظ أيضا تشابه صفات الحيوانات المقيمة فى نفس المنطقة فاذا وجد جبل أو بحر يفرق بين منطقتين يكون حائلا بين تشابه الصفات فى المنطقتين المفصولتين . لم يكن حتى عهد قريب فى استراليا حيوانات راقية فكان الكانجارو أرقاها كلها ولم يوجد هذا الحيوان فى غير استراليا لأنها كانت جزيرة غير متصلة بغيرها من الارضين الاخر

(٦) الانواع المستحدثة : قد أفلح الانسان فى ايجاد أنواع جديدة عن طريق الانتخاب فمثلا أوجد أكثر من ٢٠٠ فصيلة من الحمام لوكانت برية لما ترددنا فى اعتبارها اسرا مستقلة . هذا ما يفعله الانسان فى بضع سنين ، فكيف تنكر أثر الانتخاب الطبيعى فى آلاف وملايين الاعوام

(٧) تسلسل العضويات : ليس هناك حد فاصل بين الانواع والفصائل والأسر فكل منها متصل بمثيله اتم الاتصال وحتى لم تتمكن من التفريق تماما ما بين الحيوان والنبات . وهناك نوعان من الحيوانات قنافذ الماء Echidna و خلد الماء Duckbill فكلاهما يبيض فى نفس الوقت الذى يرضع فيه صغاره ، كذلك نرى السمك الطيار يرتفع فى الجو حوالى ١٠٠ يارده و سمك الفرخ المتسلق الهندى Climbing perch (اللوت) يأبى البقاء دائما فى الماء فيزحف على الارض ويتسلق الاشجار

(٨) تاريخ الاعضاء :- ولكل عضو من جسمنا تاريخ فالاذرع والارجل نشأت عن زعانف الاسماك . وارجل الطيور و الحراشف نشأت عن الزحافات وعن الاسماك و بعض بقايا الاسماك المنقرضة كان لها اسنان فى فكيها كما كان لها ذيول طويلة واجنحة ذات اطراف ظفرية . وأما الجناح فهو رجل اماميه . وقد كان القيطس يوما ما يسير على الارض باربعة أرجل وهو لا يزال من الحيوانات اللبونة وليس من الاسماك . وكان للحصان خمسة أصابع ،كان جسمه فى حجم الثعلب وهو الآن يسير معتمداً على ظفر أصبعه الاوسط . ولبعض الثعابين آثار أرجل فهل ورثوا ذلك من أصلهم الذى اغوى حواء

يقول داروين ان أسرة القردة المسماة سيمياذا simiadae انقسمت إلى عائلتين عائلة القردة الحديثة والعائلة القردية القديمة ومن الاخيرة تسلسل الانسان . وقال هيكل من الكائنات الشبه قردية هبارية (ليمورية) lemurs برز خط مر على فصيلة الميمون baboons فالقردة الراقية واخيرا إلى الانسان

وما على المكذب إلا إجراء التجربة الآتية وهى أن يحقن نفسه بدم أى نوع من الحيوانات فى حين نحقن احد الملاحدة بدم أحد القردة لنرى من من الاثنين يظل حياً وأنا ضامن أن رصيفى الملحد ، هو الذى سيتمتع بالحياة دونى ؟

ومع كل فان الانسان لم يستقم بعد خصوصا وهو يسير. وما الذى يسبب احتياج الطفل لمدة كى يتمكن من ان يسير مثلنا و ما السبب فى نزول الفتق وما السبب فى أن فى الطفل ميلا غريزيا للتسلق بل ما السبب فى وجود نساء لهن اكثر من ثديين وان يكون لكل ثدى عدة حلمات ، مثلهن فى ذلك مثل الحيوانات الدنيا ؟

وكيف تسلمون ايها السادة المتدينون بان الصينيين والزنوج وبيض أوروبا قد

تسلسلوا عن رجل وامرأة فى مدى ٦٠٠٠ سنة ولا تسلموا بالتنوع الشامل فى ملايين السنين . ان من السهل ملاحظة التشابه الموجود بين الانسان والقرد لإنه أكثر جلاء من التشابه الموجود بين كلب الصيد والكلب المتوحش ، وهو الامر الذي لا تنفونه . فلو أصررتم على أن الانسان خلق على صورة الله فكونوا صريحين وقولوا ان القرد قد خلق على نفس الصورة أيضاً

(٩) الحلقات الضائعة :- وقد اكتشف الباحثون آثاراً من بني آدم المنقرض اقرب شبهاً من القردة إلى الانسان . مثلا انسان نياندرتال Neanderthal man الذى اكتشف ١٨٥٦ ورجل جافا Gava man ١٨٩١ الذى احتار العلماء فى الحكم عما إذا كان رجلا أو قردا

(١٠) الانتخاب الطبيعي :- هذه النظرية لها خمس عوامل

(١) التنوع : ليس هناك تطابق بين أى فردين من النبات أو الحيوان

(٢) التوالد المتكاثر : المولودات تكون غالبا أكثر من التى تبقى . راجع نظرية ملتوس Malthus القائلة بأن تكاثر الحيوانات يتم على نسق ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ فى حين ان تكاثر الطعام يتم على نسق ٢ و ٤ و ٦ و ٨ و ١٠

(٣) التناحر على البقاء :

(٤) بقاء الانسب . الناتج عن التناحر لاجل الطعام والمكان فيموت الضعيف واما القوى فيبقى . فالطبيعة تقتل العاجز عن الاندماج فى المحيط وأما الذين يندمجون فهم الاقوياء

(٥) وراثة المميزات المستحبة (الصالحة) . اذا تمكن فرد له مميزات مخصوصة من البقاء فيكون أصل شجرة تتوارث هذه الميزة وبتتابع الزمن توجد فصيلة تبعد شيئا فشيئا عن تلك التى نشأ منها ذلك الأصل

فاذن يمكننا أن نستنتج مما سبق ان ماذكر فى التوراة كله خطأ فلم يخلق الله آدم ثم خلق من ضلعه حواء وليس الانسان وحده بالذى خلق على صورة الله والتعليم الدينى ولاشك مجموعة خرافات تلقن للاولاد لاجل ان تمنعهم من الوقوف على الحقيقة . وللقسس العذر فى أن يغضبوا لان العلم قد هدم كل مايعرفونه ولذلك اصبحوا يجهلون مايجب أن يقولوه

الخرطوم ط . ه . حنين

انكار الشخصيات التاريخية

لكل عظيم من العظماء البارزين فى التاريخ شخصيتان . شخصيته الحقيقية التى يحاول كل بحاثة أن يشارفها و يتعرف ملامحها ويستطلع دخائلها ليصدق فى تصويرها و يجيد فهمها . وشخصيته المتصورة فى خيال الانسانية العام . ولا خلاف فى أن الشخصية الثانية هى التى أثرت فى حركة التاريخ وسير الحوادث ، وصارت جزءاً من حياة الانسانية جمعاء . فهى التى تستثير العطف أو تبعث الكراهية والنفور ، وحولها تحوم طوائف الذكريات الحلوة والمرة . وهذه الشخصية الوهمية تتبوأ مكانا عاليا بين الحقائق التاريخية ، ولا سبيل الى انكارها وتجاهل تأثيرها لأنها عنصر من عناصر التاريخ الفعالة ، وعامل من عوامل تكوينه . وأكثر العظماء الذين لا نمل ترديد ذكرهم ، ولا نسأم الاشارة الى أعمالهم ، إنما تمثلهم بالصورة التى رسمها الخيال العام ، ولونتها التقاليد المتوارثة . ونفس هذه الصورة هى التى نستشهد بها فى أحاديثنا ونتخذها مضرب المثل فى الخير والشر والاساءة والاحسان جيلا بعد جيل

وهناك شخصيات أخرى هى برمتها من مولودات الخيال . أو إن شئت فقل هى من مولودات الخيال الفردى لا خيال الجماعات مثل (هملت ودون كيشوت وروبنسن كروسو ومدام بوفارى ونورا) وهي مع ذلك حقائق تاريخية لانها قد صارت عنصرا فعالا فى التاريخ وتركت أثرا فى حياة الجماعات . ولا يستطيع التاريخ أن يتجاهل مظهرها الحى وأثرها البين .

وكل قوة أثرت فى التاريخ ، وتدخلت فى حياة الجماعات هى حقيقة تاريخية سواء أكانت هذه القوة مصدرها الوهم أم حقيقة الواقع . كما أن كل حقيقة لم تؤثر فى التاريخ ولم تتصل بحياة الانسانية المتعاقبة فهى حقيقة ، ولكنها غير تاريخية . لذلك لا ينبغى أن يكدر أمننا ، و يحرك حفظتنا ذلك البحث الذى يقوم به المنقبون فى التاريخ عن حقائق الشخصيات التاريخية لان نتائج غوصهم هذا لا تعفى على أثر تلك الصورة ، ولا تزيلها من التاريخ ، لانه قد اثبتها فى ديوانه ، وسطرها فى سجلاته . وانما تنقيبهم هذا اذا صحبه

التوفيق سيعين على خلق صورة أخرى جديدة تلعب دورها ، وتؤثر فى المستقبل البعيد تأثيرها . وليس ذلك التنقيب بالعمل العقيم . ولو لم يكن له من الأثر الصالح سوى تنبيه حسب الحقيقة المطلقة فى نفوسنا ، ومكافحة الباطل مهما تأثل مركزه . وعظمت سطوته وبعدت فى الماضى جذوره ، لكفاه ذلك سمو مكانة ونزاهة قصد . ولا يحسن بنا أن نتلقى نتائجه بالانكار العجول ، والمقاومة العنيفة ، لاننا لا نخسر به شيئا . واذا خسرنا به شيئا فإنما نخسره لنسترده ، ونهدمه لنبنيه . ولكن من الحق أن نتلقى نتائجه فى تحرز وحيطة ، لان لامثال هذه البحوث فتنة مغرية ، وخلابة شيطانية اذ تحرك فى نفوسنا روح الهدم ، ونزعة الفوضى الكامنة وراء كل نظام اجتماعى . ولقد كشف البحث التاريخى حقيقة كثير من الشخصيات التى كانت تشغل فى النفوس مكانة عالية وهى غير جديرة بها . وانما خدع الناس عن حقيقتها ماخلعه عليها الخيال العام من الرواء وما جنها به من عاطر السير . وأخرج من مجاهل النسيان كثيرا من المواهب المنكورة والعبقريات المهملة

من أمثال تلك الشهرات المزيفة التى فضحها البحث التاريخى شهرة السيد فى تاريخ اسبانيا . فقد كان حتى منتصف القرن التاسع عشر مضرب المثل فى الشجاعة والنبل والاستبسال فى الدفاع عن الوطن والدين . وقد أثبت التحقيق التاريخى انه كان رجلا افاقا لا تختلج فى نفسه عاطفة قومية ، ولا يحركه غرض نبيل . وأنه لم يقف فى حياته الى جانب مبدإ ولم ينصر فكرة وانما كان ديدنه التقلب واشباع انانيته . وكانوا يظهرون شارلمان فى مسوح القديس ، فاذا هو رجل بعيد عن انموذج المسيحى ينساق مع طموحه ويعمل لحساب انانيته

وقد اتخذ فريق من الباحثين تضارب آراء المؤرخين وتناقض الروايات التاريخية حجة الى انكار وجود بعض الشخصيات المشهورة . وكان فيمن احتواهم هذا الانكار هومر وسقراط وسكيامونى البوذا والمسيح وموسى وشك البعض فى شكسبير وشايعهم على ذلك جماعة من الولوعين بتصيد الغرائب ، ورصد المفاجآت . وقد امتاز فى السنوات الاخيرة من بين الادباء والباحثين الدكتور طه حسين بالتوسع فى مذهب انكار الشخصيات ، والذهاب به الى أقصى الحدود التى تسمح بها الاحوال الراهنة . وقد كان الباحثون قبله يكتفون فى ذلك بالاشارة العارضة ، واللمحة الدالة ، ويحتفظون

فى مؤخرة بحوثهم بشيء من الشك كأنهم كانوا يخشون ان يؤخذوا على غرة . أما الدكتور طه فقد أخذ أكبر قسط ممكن من الحرية ، وتوسع فى شرح آرائه وبسط مذهبه ، وقوى ظهره ، ومد فى حجته ، اتجاه بحوث المستشرقين صوب التشكيك فى شتى مناحى تاريخ العرب سواء أفى الجاهلية أم الأسلام . واذكر فيمن تناولهم الدكتور بانكاره امرىء القيس والمجنون اما عن امرىء القيس وخلق قصته على مثال تاريخ عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقد أحسن الاستاذ الرافعى تفنيد الاحتمالات التى ارتآها الدكتور ولمست اصبعه موضع ضعفها . وقد بنى الدكتور شكه فى شخصية المجنون على تناقض الرواة فى أخباره من ناحية وعلى استحالة تصديق بعض هذه الاخبار من ناحية أخرى . وأرى ان للمجنون شخصية وان كانت غير واضحة كل الوضوح لما نسج حولها من أقاصيص . وبعض الحوادث المدونة فى سيرته تلتئم تمام الالتئام مع الاشعار التى أعرب فيها عن عواطفه وصور بها شعوره . وهناك شبه وحدة تدل على ان هذه القصائد المشجية تنصب من نبع بعينه وانها فيض نفس استطارها الحب وكظها شجوه . فليختلف الرواة ماشاء لهم الخلاف فان أمامنا طائفة من الاشعار لها ميزتها وعليها طابعها . ومثل هذه النفس التى فعل بها الحب أفعاله وعلاها كل هذا العلو، لانستبعد عليها أن تنفر من الناس ، وتتحاشى لمامهم ، وتأنس بالوحدة تستروح بها من دائها المخامر ، وعواطفها الملحة . ومازالت الوحدة والاستفراد ملاذ الكل من غلبته عاطفة كبيرة ، واستولى عليه شعور قوى . وتراه يردد فى اشعاره فكرة أن عقله قد شرد واختلس ، وأصبح مذهوبا به كل مذهب . وتلمح من اتجاه خواطره إلى هذه الناحية أنه جاد فيما يقول ، وأنه يصف حالة نفسية تغشاه وتسمع فى كثير من أشعاره تسائل الحائر اللهيف ونغمة اليائس الوجيع الذى يرميه اليأس الى أبعد قراراته فى حين يسمو به الحب إلى أعلى سماواته

وقد يستطيع الراوية أن يزيف الأخبار ويسرج الاكاذيب ولكنه لايقوى على أشعار نفسه قوى العواطف ، وعنيف الوجدانات ، إلا إذا كان قد تقمص روح المجنون وأصبح هو نفسه ، مجنون ليلى ، كما تقمص شكسبير روح عطيل وهملت . وهى قوة دراماتيكية نادرة لم يرزقها إلا أفراد قلائل فى تاريخ الادب العالمى . ومن العسير أن نؤمن بتوفرها فى جماعة الرواة فى الادب العربى وما الذى عاق الادب العربى

إذن - وهذه معذرة رواته - عن خلق الدراما والتوسع فى الشعر القصصى والأدب الروائى ؟ وإذا كان أمثال هـذه القصائد من عمل الرواة وكان لهم من معاناة الحفظ والكد فى جمع الاخبار مايصرفهم عن الانقطاع للخلق والابتكار فاى معجزة من المعجزات الادبية كان يأتى بها الشعراء المتوفرون على الشعر لو عالجوا هذا الفن وأوقفوا عليه ملكاتهم والصفة البارزة فى الشعر العربى هى صبغة الشعر الغنائى الشخصى ويصعب علينا أن نؤمن بتوفر موهبة الدراما فى الرواة مع حرمان الشعراء الخلص منها

والارجح عندى أن هناك نواة من الصدق فى قصة المجنون ، وهى شخصيته الاصيلة . وقد جاء الرواة فجمعوا مانسجه الخيال العام من الاقاصيص حول تلك الشخصية ، وهنا مانفسر به كثيرا مما يروى عن (عنترة والمهلهل وسيف بن ذى يزن) وكلهم من الشخصيات الثابتة تاريخيا ، ولاشك فى وجودها إلا إذا تناولنا بالشك تاريخ العرب فى جمله وتفصيله ، وهدمنا الثقة بالرواية من أساسها . وحطنا فى ليل من الشك مظلم لايزحزح ظلمته النقد ، ولايسفر فى داجيته التحقيق . وقد نسج الخيال الشعبى حول ميلاد البوذا خرافات كثيرة ، وأضاف الى حواشى سيرته طائفة من موتق الاخبار ومستبدع الاخيلة . ولكننا خليقون أن نستبين محياه خلال تلك التظاليل البهيجة ومن بين الاطار الجميل الموشى بالرسومات والصور . وأرجح أن عظم تأثير شخصيته فى نفوس الشعب هو الذى أثار الخيال الشعبى وملأه بالتهاويل كما أن شهرة عنترة بالشجاعة وماعرف عن بلاء المهلهل فى حرب البسوس وما أذيع عن المجنون من قوة العاطفة وصدق الحب جعل الخيال الشعبى يبالغ في أخبارهم أعجابا بهم ، واستعظاما لذكراهم . وعمل المؤرخ هو أن يقاص عنهم هذه الظلال الكثيفة الضخمة ، ويبرز لنا من ورائها حقيقة شخصيتهم مستعينا على ذلك بطول الغوص والتنقيب وقوة الحكم وصدق التصور . وقد ذهب الأب جون هدروين - من كبار علماء القرن السابع عشر ومن المتأثرين بفلسفة ديكات - إلى إنكار التاريخ فى جملته ، وزعم أن الرهبان هم الذين كتبوا التاريخ المعروف فى القرن الثالث عشر ، ونسب اليهم الكتب المعزوة إلى ليفى واوفيد وغيرهما ، واثارت أراؤه الغريبة كثيرا من المناقشات الجدلية فى أوائل القرن الثامن عشر . وارجو أن تكون جهود المتشككين الجدد أبقى ثمرة وأعود بالفائد على البحوث التاريخية من جهود الاب هدروين ؟

على أدهم

ابحاث زراعية علمية

الهواء والمناخ وعلاقتهما بالزراعة

الهواء المحيط بالكرة الأرضية : يلتفت اليه فى الزراعة من وجهتين : الاولى ، طبيعية . والثانية . كيماوية . وهذا الهواء فى حالة خلوه من بخار الماء يكون تركيبه بالنسبة الآتية من هذه الغازات

أولا . أوكسيجين بنسبة ٢٠٫٩٠ فى المائة

ثانياً . أزوت « ٧٩٫٠٦ «

ثالثا . ثانى أوكسيد الكربون ٠٤ و.

وربما توجد فيه مواد اخرى اهمها بخار الماء ووجوده يكون بمقادير تختلف مع درجة الحرارة ومتوسط وجوده بنسبة ١٫٤٠ فى المائة

أما فائدة الازوت فهي تلطيف تأثير الاوكسجين الى حد تمكن به الحياة؛ لان الاوكسجين وثانى أوكسيد الكربون بواسطتهما تكون الحياة ، بحيث تفقد بفقد احدهما.

اذا فجميع النباتات والحيوانات فى حاجة الى التنفس الدائم والا أصبح فى حالة العدم. وكيفية التنفس هو جذب الاوكسجين الى داخل الجسم الحى كى يختلط بالمواد الاخرى فتتولد الحرارة ثم يكون الاستعداد الحيوى

والحياة هى تلك القوة الناتجة عن هذا الاستعداد وبغيرها لا توجد هذه الحياة ولذا ينشأ الاستعداد فى جميع الاجسام بتناول المواد المغذية وبتأكسد الاجزاء العضوية منها باحتراقها فى جسم الحيوان والنبات الا فى حالات قليلة جدا ولذا يجب على كل زارع أن يلم بمعنى الاحتراق

فالاحتراق هو اتحاد الاوكسجين بمادة أخرى فمثلا لو اتحد الحديد مع الاوكسجين نشأ عن ذلك الصدأ والحرارة فى وقت واحد

ولو اتحد الاوكسجين مع كربون الخشب ينتج من هذا الاتحاد ثانى اكسيد الكربون والحرارة أيضا ، وهو تارة يكون سريعاً وتارة يكون بطيئاً . فالاحتراق السريع ينتج

حرارة هائلة فى وقت قصير بحيث تكون درجة الحرارة مرتفعة وربما كان مصحوباً بلهب . اما البطىء فيكون درجة الحرارة فيه منخفضة وربما كانت غير محسوسة فلو احترقت قطعة من السكر او من النشأ فى الهواء او الاوكسجين الخالص نشأ عنها حرارة مرتفعة . واذا تغذى الحيوان والنبات بمقدار هذه الكمية من السكر والنشا ، تولد عن تأكسدها فى هذا الجسم الحى كمية من الحرارة تساوى كمية الحرارة التى تولدت فى الحالة الاولى الا أن الاحتراق يكون ابطأ ودرجة الحرارة أقل ولا يحتاج احتراق السكر والنشا فى جسم الحيوان أو النبات الا الى حرارة تزيد قليلا عن درجة حرارته الاعتيادية. أما فى الهواء فلابد من لهيب حار حتى يبتدىء الاحتراق وهذه القوة التى بها تحترق الاجسام أو تتأكسد بحرارة منخفضة هى إحدى خواص الحياة . فمن الاحتراق تتولد الحرارة وهذه الحرارة فى غير النبات والحيوان يمكن أن تستعمل لادارة آلة بخارية أو لعمل آخر .

ومن الاحتراق البطىء تلك الحرارة التى تتولد من تعفن المواد العضوية اذ أنه فى بعض الاحيان ينقلب هذا الاحتراق سريعا كما يحصل فى بعض أكوام السماد المحتوية على كمية عظيمة من المواد العضوية وبها يحترق الكوم . ومن نتائج احتراق المواد العضوية تكوين ثانى أوكسيد الكربون فهو ينشأ عن تنفس الحيوان والنبات وعن النار مادامت موقدة ومع هذا لا يزداد مقداره كثيرا فى الهواء الجوى ، الا فى الاماكن المحصورة وذلك لانه غذاء للنبات يمتصه على الدوام من الهواء ليتكون به

فاذا دخل فى النبات تحلل الى أوكسجين يرجع للجو وكربون به يتكون جسمه الصلب فثانى أوكسيد الكربون الذى يأخذه النبات من الجو يعوضه تنفس الحيوان والنيران والتحلل . والأوكسجين الذى يفقده الجو بالحيوان يعوضه النبات . وأما ما يأخذه النبات من مواد الارض فيرجع اليها من الاجسام الميتة من حيوان ونبات والمواد البرازية للحيوان ورماد النيران

وفى الجوكميات قليلة جدا من الأزوت على حالة النوشادر ومركبات الآزوتيك والآزوتوز ومركبات عضوية أخرى تسقط كلها على الأرض فى مياه المطر والندى . وهى غذاء مفيد للنبات لوجود الازوت فيها ولكنها فى الهواء قليلة جدا وتختلف

باختلاف الازمان والامكنة فقد دلت تجارب (روثا مستيد) بانجلترا على أن نسبة هذه الكمية تعادل نحو ٤٠ ر ٤ أرطال من الآزوت لكل فدان فى السنه ، وهـذا المقدار يحتوى على ٤٠ ر ٢ ، رطلين على حالة المركبات النوشادرية ، ورطل على حالة الازوتات ، ورطل على حالة الازوت العضوى

وبما أن الامطار فى مصر قليلة جدا ، فالازوت الذى تكتسبه الارض من هذه الامطار يكون قليلا . فقد جمعت الامطار وبتحليلها وجد فيها من الآزوت ما يعادل أربعة وتسعين جراما لكل فدان (خمس رطل أو يزيد قليلا) وهذا المقدار مكون من ٦٠ ر ٥٧ جراما على حالة المركبات النوشادرية و ٤٠ ر ١٧ جراما على حالة الآزوتات والآزوتيت و ١٩ جراما على حالة الآزوت العضوى . وبما أن هذه المقادير قليلة جدا فيمكن صرف النظر عنها لاسيما اذا نظر الى ينابيع الازوت الارضي . أما الغبار والدخان فانهما مضران كل الضرر بالنبات فى حالة وجوده فى الجو بكميات كثيرة .

المناخ وعلاقته بالزراعة ـ الاحوال الطبيعية للجو كالضوء والحرارة والرطوبة والريح تؤثر فى النبات والحيوان وسنفصل ذلك بايجاز . ويستحسن أن نبدأ أولا بالكلام على تأثير الزراعة فى المناخ . فالزروع تكون طبقه على سطح الارض تمنعها من تأثير أشعة الشمس وتنقص التبخر السطحى للارض وتخفض درجة الحرارة ولكنهـا تزيد الرطوبة فى الهواء الجوى ويجب أن يلاحظ أن الماء الذى تفقده الارض المنزرعة بالتبخر السطحى وتبخر النبات يكون أعظم بكثير مما تفقده الارض الخالية من الزراعة وتأثير الغابات فى جو مصر موضوع يحتاج الى بحث كثير فهواء الاحراش أكثر رطوبة وبروده من هواء الاماكن التى لازرع فيها غير أنه لم يكن هناك دليل قاطع ولا برهان ساطع يثبت أن كثرة الاحراش تزيد كمية الامطار وعلى أى حال فليس من المحتمل أن كثرة زراعة الاشجار فى قطر زارعى خصب مثل القطر المصرى تحدث تغيرا محسوسا فى جوه

أما الحرارة الشديدة والبرد القارس فكلاهما يهدد حياة النبات . ومتى كانت الحرارة على الدرجة المناسبة لكل نبات كان أكثر استعداداً لامتصاص غذائه وكان هذا الغذاء أحسن تمثيلا لحياته ولذلك ترى أن نمو أزرار الاشجار فى فصل الربيع يكون

عظيما نظرا الى ارتفاع الحرارة لدرجة مخصوصة تمشيا مع هذا النمو المطرد

وأيضا فانها ضرورية جدا لانبات البذور بمعنى أنها اذا لم ترتفع الى الدرجة المخصوصة فان جنين النبات لا ينمو

أما فى المناخ البارد فان البذور تنبت ببطء وفى الوقت نفسه تكون عرضة للتعفن والتلف . وأما الحرارة الزائدة فانها تعوق أو تقف نمو النبات ولذلك فان الحبوب التى يتأخر زراعتها عن موعدها قد تموت أو تنضج عاجلا بحرارة فصل الصيف قبل أن يتم ادراكها . وعلى العكس من ذلك قصب السكر فانه لا يكون بنورا إلا فى الاماكن الجنوبية من القطر المصرى حيث توجد هناك الحرارة الكافية . لذلك وبالنسبة لاختلاف المحاصيل فى احتياجها للحرارة اختلفت المزروعات باختلاف الفصول وارتفاع درجة الحرارة يزيد نمو الكائنات الحية فيها وأيضا يساعد على التغيرات الكيماوية فى الارض . فعمل الدريس مثلا يحتاج لحرارة مرتفعة ليجف بها البرسيم الاخضر بسرعة . والا كان عرضة للتعفن .

والحيوان وان استطاع مقاومة التغيرات العظيمة لدرجة الحرارة الا ان الغرض منها له تأثير مضر . وحرارة الصيف لسبب افرازا هائلا فى عرق الحيوان فتنخفض به حرارة جسمه الاعتيادية وهذا يؤثر فى المجموع العصبي تأثيرا رديئا وكلما قربت درجة الحرارة من الصفر كان النبات اكثر قبولا لامراض الصقيع

فبرودة القطر المصرى لا تفعل اكثر من أن تقف نمو اكثر النبات مؤقتا ومع كل فبعض الخضر كالبطاطس والطماطم تتأثر غالبا بالبرد فاذا ادفئت بالتدريج استعدت خلاياه لامتصاص الماء ونجت منه بسرعة

اما اذا دفئت فجأة كأن سقطت عليها اشعة الشمس مثلا مباشرة ففى ذلك الوقت يكون تبخر الماء كثيرا - ويموت النبات فى الحال . وعلى ذلك فان النبات المصان من أشعة الشمس وكذا النبات المسقى حديثا يندر تأثره بالبرودة . والبرودة فى فصل الخريف غالبا تمنع القطن من تمام نضجه وأما الصقيع فيتلف قصب السكر باحالة مادة سكره القابل للتبلور إلى غير قابل له .

فاذا كان نمو النبات يتوقف على درجة حرارة معينة فان ادراكه التام يتوقف أيضا على عدد مخصوص من الايام بدرجة معينة من الحرارة بمعنى أنه إذا ضرب

عدد الايام التى بين الزرع والادراك فى متوسط درجة الحرارة للايام المذكورة فحاصل الضرب هو وحدات الحرارة اليومية لادراك النبات وهذا العدد يكاد يكون ثابتا لكل نبات

تأثير الرطوبة . وللرطوبة فى الهواء تأثير شديد فى حياة الحيوان والنبات فزيادتها عن المعتاد وقلتها عنه يستويان فى الاضرار بحياة النبات . ونموه فى الهواء الجاف بسبب ازدياد التبخر من الارض والنبات، فيحتاج الزرع والارض لرى أكثر وعلى العموم فمن المفيد أن يكون الجو فى حالة جافة قبيل ادراك الزرع غير أنه إذا ارتفعت الحرارة فى مبدإ النمو فوجود مقدار من الماء فى الهواء تساعد على نمو النبات

والمحاصيل فى مصر جميعها يتوقف ريها على النيل الذى يأتى اليه من الامطار الساقطة فى ينابيعه ومن ثم يكون اعتبار المطر قليل الأهمية فى مصر للزراعة

ان الايام الغائمة عادة تكون حارة رطبة لان فى السماء ماء كثيرا يمنع الحرارة أن ترتفع فى الجو و يمكن أن يتكون الندى ليلا اذا لامس الهواء الرطب سطوحا باردة كاوراق النبات وهو فى مصر أكثر أهمية من المطر لان له تأثيرا فى العمليات الزراعية كحصاد النبات الذى جاوز يبسه الحد فانه يكون سهل الحصاد (المضم) خصوصا فى صباح الايام الناديه أما الدراس فلا يكون إلا إذا زال الندى كما أنه لا يصح أن ترعى الماشية البرسيم اذا غطاه الندى، وانما ينمو ورق الزرع وينتشر النبات على الارض وتكون الخضر والثمار أجود فى الجو اذا كان رطبا والمطر فى زمن تزهير أشجار الفاكهة والمحاصيل الاخرى يمنع تلقيح الازهار وانتاج الثمر .

اما تأثير ضوء الشمس وحرارتها فهما مفيدان ولو ان كثيرا من النبات لا يمكنه النمو والوجود فى ضوء الشمس الشديد. فضوء الشمس والحرارة هما ينبوعا الاستعداد الذى هو منشأ الحياة وعن اشعة الشمس ينشأ الاستعداد لنمو النبات ويتصعد الماء وتتحلب الامطار وعنه أيضا ينشأ الاستعداد الكامن فى الفحم الحجرى فقد شوهد أن الحرارة تتولد من الاحتراق أى من إتحاد الأوكسجين مع بعض الاجسام الاخرى وبالعكس من إستخدام الاستعداد لفصل الاوكسجين عن جسم آخر

كما ان النبات يأخذ ثانى اوكسيد الكربون من الهواء الجوي فيحلله ويحفظ كربونه لتكوين جسمه ومنشأ الاستعداد المستعمل فى فصل الاوكسجين هذا هو اشعة الشمس، والا لم يمكن النبات تكوين مادته واذا فلا حياة .

والضوء الشديد يؤخر نمو النبات ، فتراه يذبل ويقف نموه وقت الظهيرة . ولكنه على العموم يزيد فى عملية التبخير وامتصاص الغذاء فى النبات وربما كان سقوط الضوء على سوق النبات مقويا لها فالسوق التى يصل اليها قليل من الضوء تكون ضعيفة وقابلة للرقود ، بمعنى أنه لو تكاثف القمح او الشعير او البرسيم مثلا على بعضه حرمت اسافل سوقه من الضوء الكافى لتقوية خلاياه فتميل على الارض غالبا ويصيبه شيء من التلف. وكذلك نبات المراعى والكتان والخس والكرنس وامثالها يكون نباتها نكدا (رقيقا) فى حالة ما اذا حجب سوقها عن الشمس :

وأما تأثير الريح والنسيم الخفيف عادة . احد اسباب الصحة والحياة الجيدة فانه يجدد لاوراق النبات بتحريكها مقادير متتابعة من الهواء ياخذ منها مواده الغذائية

وبتجدد الهواء يستطيع الحيوان أن يعيش فى أماكن مقفلة من غير أن يتأثر من ثانى اوكسيد الكربون الذى يخرج منه بالتنفس

وبما ان الهواء يكون واسطة فى تلقيح النبات فانه مع الاسف يكون واسطة فى نشر الجراثيم والامراض النباتية واذا كان جافا حارا زاد فى التبخر فانهك قوى النبات والحيوان

والريح الشديد يسبب ضررا كثيرا او قليلا بما يسقط من ثمرات الزرع فتنقص المحاصيل لسبب ذلك

ويجب الاحتراس الشديد من رى الغلال والذرة اذا اشتدت الريح لأن الماء يفكك الارض ويخلخل جذور النبات فيرقد الزرع . وكذلك الرمل الذى تذروه الرياح الشديدة على الزروع يحدث فيها جروحا تضربها اذ تدخل فيها أصول الامراض بسهولة ؟

عبد المجيد سيد احمد

الكتب المقدسة فى الميزان

بقلم شارلس سمث

رئيس جمعية نشر الالحاد الامريكية

إلى العالم العاقل نقدم هذا المستند فاذا ظهر صدقه وجب على الكنيسة أن لا تستمر فى عملها واذا ثبت لدى القساوسة خطؤه فسنمتنع عن مهاجمة الأديان .

الكتب المقدسة عددها سبعة وعشرين وكلها تدعى أنها من أصل إلهى والمسيحيون ينكرون قداسة الستة وعشرين كتابا الاخرى ونحن لا نجرم اذا زدنا واحدا على ما ينكرون قداسته

لليهود والمسيحيين ٢٥٠ كتابا اعتمد منها البروتستانت ٦٦ فقط مع أن ما لم يعتمد لا يختلف فى مادته عن الكتب التى اعتمدت وكان للظروف دون غيرها يد فى هذا الاختيار

وظلت كتب اليهود المقدسة هى وحدها المعمول بها لمدة ١٥٠ سنة بعد الميلاد إلى أن جمع بعدها كتاب العهد الجديد فانتخب ايراناوس Irenaeus عشرين من بين أربعين أو أكثر من أربعين انجيلا وكذلك انتخب جملة من كتابات الرسل والرؤى . فلماذا اختار بعض هذه الكتب دون البعض الآخر ولماذا لم يقتصر الانتخاب على انجيل واحد بدلا من أربعة أناجيل . يجيب أيراناوس على هذا السؤال قائلا « هناك أربعة أرباع للارض وأربعة تيارات هوائية » يالذكاء؟

لم تصر الاناجيل إلى ماهى عليه الآن إلا فى القرن الرابع بعد الميلاد وقد دخلها شىء كثير من الزيادة والحذف ولم تنظم الطبعات الكاثوليكية والارثوذكسية والبروتستانتية إلا منذ وقت قصير وتتألف الطبعة الكاثوليكية من ٢٧ كتابا يقول عنها البروتستانت والارثوذكس انها سخافات بابوية . واعتمد الكاثوليك كتاب الرؤى Revelations فى مجمع القدس عام ١٦٧٢ وانك تجد فى كتابهم المقدس عدة كتب لا توجد فى الطبعة الكاثوليكية . اما مجمع وستمنستر ١٦٤٧ فقد اعتمد ٦٦ كتابا وهى التى يسلم بصحتها

الانجليز والامير يكيون فوالحالةهذهيكون عمرالعهد الجديدالمتداول فى البلادالبروتستانتية أقل من ٣٠٠ سنة . ومن الغريب أن الاعتماد الذى تم لم يحدث بالاجماع فقد رفض كريسوستوم Chrysostom عشرة كتب ورفض لوثر Luther ستة منها وقال كلفن Calvin إن كتاب الرؤى غير معقول الخ الخ

وأما الكتب المعزوة إلى موسى فهو برىء منها . فأولا أن لغتها لا تشابه لغة عصره. وثانيا أنها تحوى خبر موته ودفنه مع اتيانها باخبار أناس خلقوا بعد أن قضى . فهل إذا ذكر فى كتاب يعزى الى وشنجتون اسم لنكولن يكون وشنجتون هو الذى كتب الكتاب واقدر أن آتى لك باثنين وأربعين برهانا على أن موسى برىء من هذه الكتب. فهى قد كتبت بعده باجيال وذلك بعد الاسر البابلى وقد نقلت عن أربعة مصادر وقد عثر على ألواح أشورية تبعد كثيرا فى التاريخ عن التوراة حاوية لقصة الخليقة والتجربة وبرج بابل والطوفان وهى تطابق النص الموجود فى التوراة وكان اسم الرجل الاول فى لسان بابل ادامى Adami ومن الغريب أن اسم آدم وحواء ذكرا فى جزء معين من التوراة ولم يكرر فى جزء آخر

التناقض حث الشيطان داود كى يحصى اسرائيل (أخبار أولى ٢١ / ١١) الله هو الذى طلب من داود ذلك (صموئيل ثانى ٢٤ / ١) فلو صدقت الروايتان يصح الاستنتاج بأن الله والشيطان هما شخص واحد . ومع كل فان الله لم ينتقم لا من الشيطان ولا من داود .ولكنه ذبح ٠٠٠ر٧٠ اسرائيلى لانهم كانوا من ضمن الذين أحصوا

لا تسرق (الخروج ٢٠ / ١٥) انهب المصريين (الخروج ٣ / ٢٢) الشرير يفلح (أيوب ٢١ / ٧) لا يفلح (الجامعة ٨ / ١٣)

الله قادر على كل شىء (متى ١٩ / ٢٦) الله لا يستطيع طرد سكان الوادى لانه كانت لهم عربات من حديد (يهوذا ١ / ١٩)

صنع الصور محرم (الجامعة ٢٠ / ٤) يأمر بصنعها (الجامعة ٢٥ / ١٨)

خطأ وليس تزوير : تبدأ التوراة بجملة « فى البدء خلق الله » وكان الواجب أن تكون « فى البدء خلقت الآلهة » فاللفظة العبرية هى أيلوهيم بالجمع ومفرده أيلوه (راجع صموئيل الاول ٢٦ / ١٩) « اذهبوا واخدموا الالهة الأخر » هذه هى الترجمة الصحيحة

(أشعيا ٧ / ١٤) العذراء يجب أن تترجم أمرأة صغيرة

(لوقا ٢/ ٣٣) « يوسف وأمه استغربا » وصحة الترجمة « أبوه وأمه استغربا » ولكنهم يريدون أن يقولوا بأن الروح القدس هو اب المسيح وليس يوسف

(أيوب ١٣ : ١٥) « ولوكان يقتلنى سأعتمد عليه » وصحتها « سيقتلنى وليس لى مخرج »

(ايوب ١٩ : ٢٥) « اعتراف أن المخلص يعيش » وصحتها « اعرف أن معذبى يعيش »

والفرق بين كتاب الكاثوليك والبروتستانت واضح (متى ٣ : ٢) فى الطبعة البروتستانتية « استغفروا فان مملكة السماء قريبة » وأما الكاثوليك فيقولون شيئا آخر

وأما فكرة التثليث فقد زجت زجا فى المسيحية وظهرت أولا [illegible] فى ز [illegible] ة يوحنا الاولى ٥ : ٧)

فوازير - فى أى يوم خلق الرحمن الرحيم ميكروبات الشلل والكوليرا والطاعون والدفتيريا والزهرى والسل !

هل هو الذى خلقهم أم أن سواه فعل ذلك !

هل كان آدم وحواء يعرفان هذه المخلوقات !

من كان والد يوسف ! يعقوب (متى ١ / ١٦)هلى Heli (لوقا ٣ ٢٣) !

الله مرن موسى على عمل عطر كل من يقلده يموت (الخروج ٣٠ — ٣٤ : ٨)

أخرج داود لبناء الهيكل ذهب وفضة أكثر مما تحويه خزائن أميركا وانجلترا فى الوقت الحاضر (الاخبار الاولى ٢٢ / ١٤)

أصبحت الثعالب شعلا من النيران (القضاة ١٥ / ٤)

كان هناك ليل ونهار قبل أن توجد الشمس (التكوين ١)

عند مامد هارون يده امتلأت أرض مصر بالضفادع ، والسحرة فعلوا كذلك فزادوا الطين بله (الخرج ٨/ ٦ - ٧)

ترجع الشمس عشر درجات الى الخلف ليتمكن حزقيا من عمل لبخة من التين (الملوك الثانى ٢٠ /٧ - ١١)

أبناء الله يطؤون بنات الناس فيلدون مردة (التكوين ٦ : ٤)

هذا مع ملاحظة أن صحة « أبناء الله » هى « أبناء الاله »

يدعو المسيح على شجرة التين لانها لم تحمل ثمرا فى مارس (مرقص ١١ - ١٢ - ١١)

الرحيم هو الذى يقتل كل بكر فى مصر (مزامير ١٣٦ : ١٠)

جسد يختفى فى الجو (لوقا ٢٤ : ١٥) أسأل أحد الفلكيين أو لندبرج أين مقره

الروح تلد طفلا (متي ١ : ١٨) الام عذراء (متى ١ : ٢٢ - ٢٣)

يقتل الوباء جميع مواشى المصريين (الخروج ٩ : ٣ - ٦) ثم تصاب المواشى بخراجات وجروح (٨ : ١٠) ثم يموت أغلبهم من الثلج (١٩ : ٢٥) ثم يندثروا مرة أخري بيد الملاك المدمر (١٣ : ١٥)

أليست هذه معضلة ولكن ليس هذا فقط بل يموت الخيل موتة أخرى (١٤ : ٩ د ٢٧ : ٨) فلماذا ينتقم من العجماوات عدة مرات متابعة لاعمال اقترفها أصحابها

كان يموت فى حروب القبائل اليهودية من جيش واحد ٥٠٠٠٠٠ (الاخبار الثانية ١٣ : ١٧) هل يمكن أن يموت حتى ١٠٠ ١ من هذا العدد فى ذلك العهد

العلوم الدينية السماء سقف جامد يحمل خزانات من الماء (التكوين ١ : ٨) نوافذ السماء فتحت (التكوين ٧ : ١١) السماء جامدة مثل المرايا الذائبة (أيوب ٣٧ : ١٨)

الارض لها أساس (مزامير ١٠٤ : ٥) وأعمدة (صموئيل أول ٢ : ٨) وأربعة أركان (الرؤى ٧ : ١)

قوس قزح عهد من الله (التكوين ٩ : ١٣) مع أنه وجد منذ أن وجدت الامطار والشمس

دجاج بأربعة أرجل (لاويين ١١ : ٢٠)

يوشع يوقف الشمس والقمر (يشوع ١٠ : ١٣١٢) قال لوثر عن كوبرنيكس Copernicus أن المجنون يريد أن يقلب علم الفلك رأسا على عقب : ألم يعلم بان يوشع قدر على إيقاف الشمس وليس الارض

حيوانولوجيا جديده !!! (العنقاء : التثنية ٣٢ : ٣٣) بيض الديك يفقس ثعبانا هائلا (اشعياء ١١ : ٨)

اللغات لم تتطور ولكنها خلقت لايقاف تمام بناء برج بابل (التكوين ١١ : ٦ — ٩) مع أنه ذكر خطأ فى الفقرة السابقة ، أنه كان لكل واحد لغته ، رؤية المواشى لعصى مخططة يجعل نتاجها مخططا (التكوين ٣٠ : ٣٧ —٤٢) لم يبق أثر للاعتقاد بالوحم فى الوقت الحاضر الابين العوام

فى حين ينكر القس فكرة التطور يسلمون بامكان سخط امرأة الى عمود من الملح (التكوين ١٩ : ٢٦)

يختبر المسيح امراضا سببها الشيطان (لوقا ٤ : ٣٣ — ٤١) ويقول ان الثعابين والسموم لاتؤذى المؤمنين (مرقس ١٦ : ١٨) كان يطبب بالايمان كما يفعل مشعوذو اليوم ومن يدرى فقد يكون هؤلاء أيضا الهين ونحن نكر عليهم ذلك

، هل بينكم مريض . . . لندعو له الطبيب اذن ، لا . لا . لاتقل ذلك لئلا تلحد فمن الواجب على المؤمن أن يأتى بمن يرقيه (يشوع ٥ — ١٣ : ٥) فليتبع الاباء المسيحيون هذه النصيحة ليتخلصوا من مرض الدفتيريا

خلقت الارض فى ستة أيام . . . . يقول البعض ستة مراحل . . . ! فالمرحلة معناها يوم فى عرفهم !

قال المسيح برجعته فى حياة بعض سامعية (متى ١٦ : ٢٨) اين هم فالمسيح لم يقم بعد

قصة التكوين مزدوجة (راجع ١ و ٢ و ٣ تكوين ثم (راجع باق ٢ تكوين) ففى الأولى تعلم ان الاشجار خلقت قبل الانسان وفى الثانية انها خلقت بعده . وقد ذكر فى واحدة ان الرجل والمرأة وجدا فى نفس الوقت، وفى الأخرى انها وجدت بعده ثم لاحظ انقطاع الاتصال بين ٢ ر ٣ و ٢ ر ٤ من التكوين

قصتان للطوفان (تكوين ٦ و ٧) وتكوين (٨) فى (٧ : ٢) الحيوانات الطاهرة هى التى دخلت السفينة سبعة سبعة وفى الأخرى دخلته مثنى مثنى (٧ - ٨ : ٩)

إيجاد قصة طوفان امرشابه حرق بيت لأجل قتل الفيران الموجودة فيه . ومركب طولها ١٥٠ ياردة وعرضها ٢٥ وارتفاعها ٢٥ (التكوين ٦ : ١٥) تسع أزواجا (أو أسباعا أو رباعا) من كل شىء يدب وكان للسفينة ثلاث طبقات حين لم يكن

لها غير نافذة واحدة اتساعها ٢٧ أنشا لأجل التهوية (تكوين ١٦) ألم تكن غرفة كلكتا السوداء أرحم بكثير من هذه السفينة

ارتفع الماء٥ ونصف ميل فوق أعلا قمة من الارض (تكوين ٧ : ١٩) فاين وصل احتفظ ثمانية أنفس باكبر عدد من الوحوش المختلفة الم يكن هذا أكبر سرك رآه العالم — فاين وضعت اطنان اللحوم التى قدمت طيلة هذه المدة لتلك الكواسر لما ترجم الاسقف كولينزو Colenso التوراة للسود المتوحشين لم يسبب اندهاشهم شىء اكثر من هذه الفقرة الأخيرة وقد قيل بهذه المناسبة شعر ترجمته كما يأتى :—

« قال زولو من الكفار لاسقف الناتال هل تعتقد أيها المغفل بذلك فتراجع الاسقف الملحد وهو يقول : أبدا لا أصدق فقصة الطوفان خرافة »

الوصايا العشر بثلاثة صيغ :الاولى تجدها فى الخروج ٢٠ والثانية فى الخروج ٣٤ والثالثه فى التثنية ٥ وكلها تتعارض ومع كل فليس للوصايا الاربع الأولى معنى اخلاقى وقد حض الله الناس على خرقها كلها ماعدا الأولى التى تحض على التسليم بانه الله لا شريك له ،ولا يجب القسم به ولا عمل تماثيل له وانه غيور . فقد أمر بالسرقة (خروج ٣ : ٢١ — ٢٢) بالقتل (خروج ٣٢ : ٢٧) بالزنا (يوشع ١ : ٢) وباقتناء مقتنى الغير (التثنية ٢٠ : ١٠ : ٧) . ما الذى فعله يهوذا بالثلاثين قطعة من الفضة ردهم الى رئيس الربانيين (متى ٢٧ : ٣ — ٥) اشترى بهم حقلا (الاعمال ١ : ١٨)

فلو اختلف أربعة شهود وناقضوا بعضهم كما فعل رسل المسيح الاربعة — أصحاب الاناجيل — لحكم عليهم القاضى بالسجن

أما خطبة الجبل (متى ٥ : ٦ : ٧) فلا تحوى شيئا جديدا وما يصح ان يقال عنه جيد فيها ليس بالاصيل . لا تقاوم الشر (٥ : ٣٩ — ٤٢) عدم التبصر (٦ : ١٩ — ٣٤) الاعتماد على الصلاة (٦ : ٦) كلها منافية للنظام الاجتماعى فتفكير المسيح فى هذه الخطبة لم يصب فالخطبة اذن موضوعة ولم تتل أبداً

كيف يستخفون بالعقل : من شجرة الخير والشر لا تأكل (تكوين ٢ : ١٧) حكمة العالم ليست فى نظر الله غير غباوة (كورنثين أول ٣ : ١٩)

نحن مغفلون لاجل خاطر المسيح (كورنثين أول ٤ : ١٠)

انتبه كى لايفسدك شخص بفلسفته (الكولوسين ٢ : ٨)
قال مارتن لوثر يجب أن نسحق قوة التفكير فى المسيحيين كافة

الحض على الاستعباد

اللاويين ٢٥: ٢٤-٦ الخروج ٢١ : ٢ - ٦

جواز بيع الرجل لبنته الخروج٢١: ٧

يصرح الله بالسبي التثنية ٢٠ : ١٠ - ٢٥

مصرح بضرب الرقيق حتى يموت الخروج٢١ : ٢٠ — ٢١

التصريح بتمغ الرقيق بالحديد الحامى : الخروج ٢١ : ٦

كذلك حض العهد الجديد على الرق · تيموتى ٦ :١ الطيطاسيين ٢ : ٩
الايفاسيين٦: ٥ بطرس أول٢ : ١٨

ولم تبدأ الثورة لتحرير العبيد الا على اثر تقويض الثورة الفرنسية للدين وكان أكبر المعارضين لتحرير العبيد فى أميركاطائفةالاخلاقيين الدينيين فالحزب الاميركية كانت مستعرة بين الملحدين الطالبين تحرير العبيد وعلى رأسهم لنكلن وبين المؤمنين وعلى رأسهم جفرسون

السحر ـ لاتترك ساحراً يعيش (الخروج ٢٢ : ١٨)

واعتماداً على هذهالنصيحة النهبية قتل وعذب مئات الآلاف من الخلائق وظل ديوان التفتيش يحرق المظلومين ثلاثةاجيال متأثرا بهذه الوصيةالانسانية حتى انه احرق ٤٠٠ شخص فىطولوز فى يوم واحـد . ألم تكن جان دارك ضحية لهذه الوصية الذهبية

تعدد الزوجات ـ كان بطاركة العهدالقديم متعددى الزوجات ولم يمنع العهد الجديد التعدد وفى عهده كان التعدد فاشياً بين المسيحيين وقد اقتبس المسيحيون فكرة القصر من الرومان الوثنيين وليس من مهد المسيحيه

وافق لوثر على التعدد لغرض هنرى الثامن عليـه ونتج عن ذلك انه طلق زوجتين وقتل زوجتين

كلام مهذب ـ راجع التكوين ١٩ و٣٨ و١٦ و٢٦ و٣٩ و ٣٠ و٣٤ و ٣٩ والعدد ٣١ وصموئيل الاول ٢٥ صمويل الثانى ١١ و١٣ والقضاة ١٩

اقرأ كتاب روث واسير و اناشد سليمان واللاويين ١٥و١٦: ٣٣
اشعياء٣٦ ١٢حزقيال ٤ :١٢-١٥ وصموئيل اول ٢٥ . ٢٢
بحد كلاما مبتذبا مليئا

الاضطهاد ـ للرجل أن يقتل ابنته وأمرأته وابنه وصديقه إذا اختلف احدهم معه فى الدين (تثنيه ٢٣ . ١٦ ١٠) كذلك الغلاطيين ٥ : ١٢يقول « أود لو أزيلوا أولئك الذين يناهضوك » وقدنفذ ديوان التفتيش بامانة هذه الحكمة . الموت للسحرة (الخروج ٢٢ : ٣٠ الموت للزانى (لاويين ٢٠ : ١٠) الموت لمن يأكل الشحم (لاويين ٣ ١٦ - ١٧) الموت لمن يقترف ٢٢ جريمة مذكورة وهى مخالفات بسيطة . اليس ذلك القانون رمز للعدالة

يقتل ايليا ٤٥٠ قسيساً لانهم اختلفوا معه فى وجهة النظر الدينية (ملوك أول ١٨ : ٤٠)
انثانية ـ ترك اليشع الذئاب يقطعون الاطفال الذين ضحكوا من صلعه (ملوك ثانى ٢ : ٢٣ ر- ٢٤)

تحريض على ضرب الاطفال بالقضبان (أمثال ٢٣ـــ ٢٤)
تحريض على سرقة محتويات اعشاش العصافير من أجل أطالة الحياة التثنية ٢٢ : ٦-٧
الاستبداد ـ القوة السائدة مستقاه من الله . كل من يقاومها يستحق اللعنة (الرومانيون ١٣ : ١) الحض على الاستسلام (مزامير اول ٢: ١٣ - ١٤)

البطارقة: تهجم ابراهيم على خادمته (تكوين ١٦ :٤) ويطردها مع ابنها الى القفر (٢١: ١٤) يعرض لوط بناته للغوغاء (تكوين ١٩ : ٨) يعقوب يغش اخاه (تكوين ٢٧ :٩) يحرض موسى على قتل نساء وأولاد ابرياء ويقول لاحد الرؤساء ان يستبقى لذاته العذارى الذين لم يمسهم رجل (العدد ٣١ ر١٧ - ١٨) كان يشوع جزاراً لاقلب له. اقرأ يشوع ٦و١٠و١١

قطع صموئيل اجاج قطعاً بفأسه أمام الرب (صمويل أول ١٥ :٣٣) قتل داود الناس بالمناشير وباسياخ الحديد وبالبلط. هكذا فعل بكل سكان واطفال امون Ammon (الاخبار الاولى ٢٠ :٣) يعذب المساجين (صموئيل الثانى ١٢ : ٣١) يذبح ويعذب ٢٠٠ فلسطيني ويشترى امرأة بجلودهم (صموئيل أول ٢٨ :٢٧) كان يسرق ويقتل

صموئيل أول ٢٧:٨ — ٩ وينهب (٢٥ : ٨) يكون لذاته حريما (صموئيل الثانى ٥—١٣) يقتل أسرى مؤاب (صموئيل ثانى ٨ : ٢—٤) يقتل أوريا hairh ويستحوذ على زوجه (صموئيل ٢ : ١١) يؤجر عذراء كى تدفئه فى شيخوخته (ملوك أول ١: ٢—٤)

يقتل ابن يعقوب الشيشميتين Schechemites ويسرق نساءهم (تكوين ٣٤) أمة تذبح من بكرة أبيها (التنبه ٢ و ٣٤) مذبحة أولاد ونساء ورجال (تنبه ٣ و ٦) مذبحة الاهالى المسالمين (القضاة ١٨ : ٢٧)

أكل لحوم البشر — أرمياء١٩ : ٩ تثنيه ٢٨ : ٥٣—٥٧ المراثى ٤ : ١٠ ملوك ثانى ٦ : ٢٨ — ٢٩

لن تكونوا أحياء اذا لم تأكلوا لحم ابن الانسان وتشربوا دمه (حنا ٦ : ٥٣) العطف الالهى — ذبح أبكار المصريين فى منتصف الليل (الخروج ١٢ : ٢٩ : ٣٠)

يقتل الطفل ليعاقب أبوه (صموئيل ثانى ١٢ : ١٤ — ١٨) يقتل الناس لانهم لايعبدونه (الخروج ٢٢ : ٢٠) راجع صموئيل أول ١٥ : ٢ — ٣) قال الله ، اذهب واقتل قبيلة أمالك Amalek واهدم كل مالهم ولا تبق على شىء اقتل الرجل والمرأة والطفل والرضيع ، كل ذلك لانهم أخطأوا فى حق اليهود قبل ذلك باربعمائة سنه

يحرض الزوج الذى يشك فى امرأته أن يسقيها ماء مالحا ليتأكد عفتها فاذا اظهرت علامات التأذى كانت مجرمه (العدد ٥ : ١٢ — ٢٧)

لان الناس نظروا الى قوس الرب قتل ٧٠ و ٥٠ نفسا (صموئيل ٦ : ٩) قابل الله موسى راغبا قتله ولكنه افتداه بغلفته (خروج ٤ : ٤٢ - ٢٦) هدد اليهود بالعذاب ولكنه رجع عن رأيه عندما ذكره موسى بأن المصريين لاشك يسخرون منهم (العدد ١٤ : ١١ - ٢١)

يحرض على الذبح (تنبيه ٢٥ : ١٧)

أخلاق المسيح — الذى لايؤمن ملعون (مرقص ١٦ : ١٦

هؤلاء سيذهبون الى حيث يذوقون العذاب الدائم (متى ٢٥ : ٤١)

ابعدوا عنى أيها الملاعين الى العذاب المقيم (متي ٢٥ : ٤١)

سيلقون فى جهنم فى نار لايضعف أوارها (مرقص ٩ : ٤٥)

الضحايا الانسانية — قانون الهى لتقديم قرابين آدمية (لاويين ٢٧ : ٢٨ — ٢٩)

لذلك ضحى أهالى مدينة للرب (يشوع ٦ : ١٧) ارميا ٧ : ٣٠ — ٣١ ناحوم ١٠ : ٣٥ — ٣٦

انظر أيضا حزقيال ٢٠ — ٢٦ ميخا ٦ و ٧ (القضاة ١١ : ٢٩ — ٣٩)

(صموئيل ثانى ٢١ : ١ — ١٤) (تكوين ٢٢ : ٢)

آراء طريفة — الأمومه جريمة خصوصا اذا كان المولود بنتا (لاويين ١٢ : ١ — ٥)

العذارى والباتلات ارفع شأنا من الامهات (متى ١٩ : ١٠ — ١٢)

وفى (كورنثيين أول ٧ : ١) يحسن بالرجل أن لايمس امرأة . كذلك اقرأ لآخر الاصحاح من نفس الكتاب . فى السماء ١٤٤٠٠٠ رجل اطهار لم تفسدهم النساء (رؤى ١٤ : ١ — ٤)

حرص المسيح على عدم الطلاق (مرقص ١٠ : ٢ — ١٢ لوقا ١٦ و ١٨)

يجب استعباد المرأة لان حواء قد غشت (انثيماوتيين الاول ٢ : ١١ : ٤)

اقرأ أيضا (تثنيه ٢١ ر ١٠ - ١٤ و ٢٤ ر ١ - ٣ العدد ٣١ ر ١٨ و (الايفاتيين ٥ ر ٢٤)

أيتها النساء اخضعن لازواجكن: القولوسيين ٣ ر ١٨

ارادتك مقيدة بزوجك فهو الذى يحكمك تكوين ٣ و ١٦

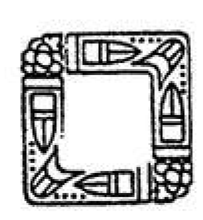
الاعداد ٣٠ كورنثين: أول ١١ : ٣ : ٧ : و ١٤ ٣٤ ٣٥ وبطرس أول ٣ ١)

قال المسيح لامه أيتها المرأة ماذا تريدينى ان أفعل بك (يوحنا ٢ : ٤)

للرجل أن يطلق المرأة اذا لم تسره (تثنيه ٢٤ : ١)

راجع التكوين ٣ : ١٦ أيضا (و ٢٢ ٢٠ - ٢١) واقرأ القضاة ٥ : ٣

ساؤ باولو — بندلى البيلونى



أحدث الآراء فى الذرة

للاستاذ أمين ابراهيم كحيل الحائز لدرجة الشرف فى علم الكيمياء ومؤلف كتاب
خلاصة الكيمياء الحديثة

بقى العالم العلمى بعد دالتن قرناً كاملا من ١٨٠٣ الى ١٩٠٣ يعتقد أن ذرات العناصر فروض نظرية ، لا يمكن معرفة أبعادها المطلقة ، وانها كتل مصمتة غير قابلة للتجزئة والانقسام ، وأن الكون المادى اذا حلل الى أبسط دقائقه الممكنة وجد مركبا من نحو ٩٠ نوعا مختلفاً من الدقائق هى ذرات العناصر المختلفة . ولكن ابحاث الخمس والعشرين سنة الاخيرة لاسيما المختص منها بالتفريغ الكهربائى والمواد المشعة والخطوط الطيفية أحدثت انقلابا خطيرا فى الآراء السابقة سنتكلم عليه فى هذه العجالة

ملخص الانقلابات الحديثة

لقد أصبح الآن مقررا أن الذرات ليست فروضاً نظرية كما ظن قبلا بل هى دقائق حقيقية تتركب منها العناصر فعلا

ثبت أيضاً أن الذرة ليست كتلة مصمتة كما ظن قبلا بل هى مجموعة جوفاء تكاد تكون فارغة كالمجموعة الشمسية

ثم ثبت ثبوتا أكيداً أن ذرات العناصر المختلفة غير مختلفة فى مادتها الاولية كما كنا نعتقد قبلا بل أن جميعها من أصل واحد

كذلك ثبت بالبحث أن ذرات العنصر الواحد ليست متساوية فى الوزن كما قال دالتن بل أن ذرات العنصر الواحد قد تكون خليطا من ذرات مختلفة فى الوزن ومتحدة فى الخواص

كذلك الذرة مستودع كهربائى لا يستهان به

أضف الى ماتقدم أن العناصر الكيميائية ليست غير قابلة للتحول كما كنا نعتقد قبلا بل ثبت ثبوتا لايأتيه الشك أن ذرات العناصر قابلة للتغير

أضف الى الانقلابات السابقة انقلابا أعظم وهو أن المادة غير قابلة للبقاء بالمعنى

المعتاد بل قد تتحول الي طاقة عظيمة وهذا المذهب يجعل المادة مظهرا من مظاهر الطاقة المتنوعة

هذه هى الآراء أو الانقلابات الحديثة التي نريد الكلام عليها . ومنها نستنبط أهمية الموضوع وأثره فى الآراء والنظريات السابقة التى كنا نعتبرها بديهيات وحقائق ثابتة لايمكن نقضها أو التصدى لتخطئتها بحال من الاحوال . ولايمكن الكلام عليها بالتطويل والايضاح التامين لان كلا منها يحتاج الى فصل خاص فضلا عن أن بعضها لايزال فى طور الطفولة والحداثة

الذرات موجودة فعلا وليست فروضاً نظرية

لقد كانت كيمياء الامس قائمة على فرض وجود الذرات . وأما كيمياء اليوم فقد قائمة على وجودها فعلا

ولقد أصبح مقررا أن الذرات وان كانت متناهية فى الصغر فهى حقائق تتركب منها المادة حقائق تمكن العلماء من ادراكها وعدها ووزنها وقياس حجومها وتعيين سرعتها ورسم مساراتها رسما فوتوغرافيا

وليس معنى ذلك أن عين الانسان أتيح لها فى السنوات الاخيرة رؤية الذرات أو الجزئيات منفصلة الواحدة عن الاخرى ، فهذا كان وسيظل ضربا من المحال إلا اذا تغيرت العين البشرية باخرى تحس بتموجات ضوئية أقصر القصرة مما يتأثر به عصبنا البصرى ، ولكن مايتعذر رؤيته بالعين لايتعذر على العقل استنباطه ، والاستنباطات التى يحكم العقل العلمى بوجوب وجودها بعد تمحيص المشاهدات العلمية الصحيحة هى خير مايركن اليه فى فهم أسرار الكون

إن أول خطوة لاثبات وجود الذرات وجوداً فعليا تنحصر بداهة فى إيجاد طرق لتعيين أوزانها المطلقة أو احصاء مايوجد منها فى وزن معين من المادة .

ولقد وجد العلماء بالاستنباط الرياضى المبنى على نظرية حركة الغازات لمكسول وكليسيس وفالز أن ثابت افوجادرو أو عدد الجزئيات فى جرام جزىء يعادل ٦ر٢ × ١٠ ٢٣ وهذا الحساب لا يعتبر دليلا على وجود الجزئيات والذرات لانه مبنى على فرض

وجودها ، ولكن الشيء الهام ان ثابت افوجادر وهذا أمكن الوصول الى معرفته بطرق عملية متنوعة وكان الناتج فى جميعها واحدا

فقد وجده Perrin بدرس الحركة البرونية ٨ ر ٦ × ١٠ ٢٣

ووجده Plank بدرس الضوء المنتشر فى الغازات ٥٤ ر ٦ × ١٠ ٢٣

ووجده Millikan بقياس شحنة الالكترون ٠٦٢ ر ٦ × ١٠ ٢٣

تدل هذه الاتفاقات دلالة جلية على أن الجزئيات والذرات اجزاء موجودة فعلا

هذا وقد تمكن العلماء من ادراك فعل الذرة الواحدة ورسم مسارها رسماً فتوغرافياً فقد وجد السر وليم كروكس بجهاز بسيط يسمى Spintherscope (منظار الشرر) ان ذرات الهليوم المنبعثة من الراديوم والمواد المشعة اذا صدمت لوحاً مغطى بكبريتور الخارصين أحدثت شررا متغيرا . كل ذرة تحدث شرارة واحدة يمكن رؤيتها بالعين .

هذا والكلام على الذرات من حيث عددها وكتلها وحجومها يتضمن أرقاماً ضخمة يضل فى ادراكها العقل وكثيراً ما يستعمل العلماء تعبيرات وصور متنوعة لايصالها الى فهم الناس . يقول الدكتور استون فى خطبة القاها فى ٤ مايو سنة ١٩٢٤ انه اذا أخذ ديسيمتر مكعب من الرصاص وقطع بحيث ينقسم الى ثمانية مكعبات متساوية ضلع كل منها يساوى نصف ضلع المكعب الاصلى . ثم قطع كل من المكعبات الصغيرة الناتجة بالطريقة عينها الى ثمانية مكعبات متساوية . ثم كررت العملية ٢٨ مرة فانا نصل فى نهايتها الى ذرة الرصاص . ويقول أيضاً اذا ثقبت زجاجة مصباح كهربائى مفرغة بثقب يسمح بدخول مليون جزىء من الهواء فى الثانية فان الضغط داخل الزجاج يصير معادلا للضغط الجوى خارجها بعد ٤٠٠ مليون سنة

الذرة ليست أصغر جزء من أجزاء المادة . وحدة المادة

لقد اكتشف الطبيعيون فى نهاية القرن الماضى ان الكهربائية ذرية ، بمعنى انها تتركب من دقائق صغيرة أصغر من ذرات المادة وهذه الدقائق صنفان . دقائق سالبة وقد اكتشفت أولا وقد تمكن العلماء من فصلها واسمها الكترونات (Electrons) ودقائق موجبة واسمها بروتونات (Protons) . والالكترونات هى التى تتألف منها اشعة المهبط والاشعة (ب) للمواد المشعة ويمكن الحصول عليها من جميع المواد

وكتلة الالكترون الواحد تعادل ١ على ١٨٢٠ من ذرة الايدروجين . وأما البروتونات الموجبة فكتلة الواحدة منها تعادل كتلة ذرة الايدروجين وأما حجمها على مايقال فأصغر من حجم الالكترون . فلو ملأنا ١ سم٣ بالبروتونات وحشكناها فيه حشكا لوسع (مليون) ٨ برتون منها .

فالذرة المادية مجموعة مؤلفة من اعداد متساوية من هذه الدقائق المختلفة فهي ليست آخر جزء من أجزاء المادة كما ظن قبلا بل آخر الاجزاء التي نصل اليها هي الالكترونات والبروتونات . فالالكترونات والبروتونات هي الحجارة الاولى التي بنت بها الطبيعة ما فيها من ذرات العناصر . ولهذه النظرية شأن كبير لانها توضح لنا وحدة المادة وفيها من الحقائق ماغير قواعد العلم الاساسية فدخلت بها الفلسفة الطبيعية طورا حديثا .

حقا إن هذا الانقلاب خطير فالكهربائية التي كانت منذ قرون لعبة علمية في أيدي مكتشفيها قد قدر لها أن تكون هي أصل المواد . لقد انتزعت الكهربائية من المواد المحسوسة ذلك الأثر المحسوس لها وتعذر علينا إثبات وجودها . فأنت والهواء والارض والماء والنحاس والذهب والفضة والصخور وجميع المواد التي توجد في الارض والسماء تتركب من الكترونات سالبة الكهربائية وبروتونات موجبة الكهربائية سابحة في بحر من الاثير تتخلله خطوط قوى كهربائية ومغناطيسية

الذرة مجموعة فارغة كالمجموعة الشمسية

قلنا إن ذرة كل عنصر تتألف من عدد متساو من البرتونات والالكترونات ونقول الآن إن هذه الدقائق غير متلامسة في الذرة بل بعيدة بعضها عن بعض فالذرة مجموعة فارغة لها نواة مركزية تتألف من بروتونات ملتصقة ببعض الكترونات ويتحرك حول هذه النواة في سطوح أو أفلاك خارجة عدد من الالكترونات وحجم هذه الدقائق لا يعتبر شيئاً مذكوراً بالنسبة للحجم الكلي للذرة

فلو كبرت الذرة حتى صارت كقبو البرلمان فلست ترى فيه الالكترونات الا كرؤوس الدبابيس وأما البرتونات فيعجز البصر عن إدراكها عجزه عن إدراك دقائق الغبار المتطاير في الهواء . فهذا ينبئك أن الذرة مجموعة فارغة كالمجموعة الشمسية وما

يقال عن حدودها الكروية يقصد بها نهاية أفلاكها التى تتحرك فيها الكتروناتها الخارجية

يقول المستر Harkins أستاذ الكيمياء بجامعة شيكاغو أن حجم الذرة الكلى يعادل حجم نواته مليون بليون مرة ، أى أن حجم النواة بالنسبة لحجم الذرة أصغر كثيراً من حجم الشمس بالنسبة للمجموعة الشمسية جميعها . وعلى هذه النظرية يصح اعتبار معظم الاجسام فراغا . ويقول السر أو لفر لودج انه إذا ضغطت جميع الدقائق الكهربائية التى تتركب منها مادة جسم الانسان حتى صارت ملامسة لبعضها البعض تلامساً تاماً فانها تشغل ١ على بليون من حجم الجسم الكلى فالرجل الذي يزن ١٧٠ باوندا تشغل مادته جزءاً صغيرا من المليمتر المكعب . أما باقى الجسم ففراغ تتخلله خطوط كهربائية ومغناطيسية

تفسير بعض الظواهر الغامضة بالالكترونات

من الامور الثابتة أن الالكترونات موجودة فى كل مكان . وبها يفسرون كثيراً من الظواهر الطبيعية الغامضة

فيقال مثلا أن الشفق القطبى (Aurora) الذى يحدث أحيانا فى جو الاقاليم الشمالية سببه الكترونات منبعثة من الشمس ومتحركة فى خطوط القوى المغناطيسية الارضية

كذلك يفسرون الفرق بين الاجسام الموصلة للكهربائية والاجسام العازلة لها بقولهم ان الكترونات المواد العازلة مرتبطة بنواياتها ارتباطا محكما فلا تنتقل من ذرة إلى أخرى بينما فى المواد الموصلة تكون بعض الالكترونات حرة أو مرتبطة ارتباطا ضعيفا يسهل نقلها من ذرة الى أخرى فى طول الموصل . والتيار المكون من أمبير واحد عبارة عن مرور ٣ ر ٦ × ١٠ ^١٨^ الكترون فى أى مقطع من الموصل فى الثانية

وتلك الالكترونات المتحركة فى الأسلاك عند انتقالها تصطدم بالذرات فتحدث فيها اهتزازاً يظهر فى صورة حرارة فى السلك وأحيانا كما فى المصابيح الكهربائية يكون ارتجاج الالكترونات شديدا فينتج ضوء

يقول المستر مليكان أستاذ العلوم الطبيعية بجامعة شيكاغو إذا أردنا أن نعد الالكترونات التى تمر فى الثانية فى مصباح كهربائى قوته ١٦ شمعة فقط يلزم أن نأتى بسكان شيكاغو وعددهم ٢ مليون ونصف ونأمرهم أن يعدوا جميعاً فى وقت واحد بسرعة عددين فى الثانيه ونتركهم يعدون ٢٠٠٠٠ سنة ليل نهار (٢٤ ساعة فى اليوم)

فيكون مجموع ماعدوه جميعاً فى هذا الزمن معادلا لعدد الالكترونات التى تمر فى الثانية فى مصباح كهربائى قوته ١٦ شمعة فقط

هذا ومعظم الظواهر الاشعاعية من الأشعة (ح) وأشعة رونتجن التى تعادل أطوالها الموجية أجزاء من بليون من البوصة الى أشعة التلغراف اللاسلكى التى تقدر أطوالها الموجية بالأميال ومابينها من الأشعة فوق البنفسجية والأشعة الضوئية والأشعة الحرارية منشأها جميعا ارتجاج الكترونى

عدد الالكترونات الخارجية فى الذرة العدد الذرى

قبل وضع نظرية بناء المادة الكهربائى كان المعتقد أن النهب يتركب من ذهب والفضة من فضة والكلور من كلور والايدروجين من ايدروجين أما الآن فالمعتقد أن جميع العناصر تتركب من الكترونات وبروتونات . غير أن ذرة النهب تختلف عن ذرة الفضة فى كتلة النواة وعدد الالكترونات المتحركة حولها

وأبسط الذرات تركيباً ذرة الايدروجين فهى تتركب من نواة مركزية مؤلفة من بروتون واحد يتحرك حولها الكترون واحد

تأتى بعدها ذرة الهليوم وتتركب نواتها من أربعة بروتونات والكترونين ويتحرك حولها الكترونان سياران فهى أشبه بمجموعة شمسية تتركب من شمس يتحرك حولها كوكبان

تأتى بعدها ذرة الليثيوم وتتركب من نواة يتحرك حولها ٣ الكترونات سيارة ثم التلريوم ٤ والكربون ٦ وهكذا

ويطلق العلماء على عدد الالكترونات السيارة التى تتحرك حول نواة الذرة بالعدد الذرى للعنصر

والعدد الذرى من الصفات المميزة للعنصر فهو أهم كثيراً من وزن العنصر الذرى. فالخواص الطبيعية والكيميائية للعناصر كالخطوط الطيفية والشوق الكيميائى والتكافؤ وغيرها تعين بالأعداد الذرية وليست بالاوزان الذرية كما ظن قبلا

وترتب العناصر حسب الاعداد الذرية كالآتى

الايدروجين ١ الهليوم ٢ الليثيوم ٣ التلريوم ٤ البورون ٥ الكربون ٦ والازوت ٧ والاكسجين ٨ والفلور ٩ ثم النيون ١٠ والصوديوم ١١

والمغنسيوم ١٢ والالومنيوم ١٣ وهكذا حتى نصل الى أثقل العناصر وهو اليورانيوم ٩٢

ولا تزال ٥ عناصر اعدادها الذرية ٤٣ و ٦١ و ٧٥ و ٨٥ و ٨٧ لم تكتشف بعد وقد كانت من سنة واحدة ٦ اكتشف واحد منها العام الماضى وهو الهافنيوم ٧٢ اكتشفه العالمان كوستر وهفسى فى كوبنهاجن

وتتراوح سرعة الالكترون حول النواة بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠٠ ميلا فى الثانية

فحسب هذا الترتيب الجديد يوجد ٩٢ عنصراً ولا يمكن لنا أن نتصور وجود عنصر فى الكون أخف من الايدروجين الا اذا أمكن انقسام الالكترون والبروتون الى أجزاء أصغر منهما وهذا مالم يقم عليه أدنى دليل للآن . ولكن ليس من الخطأ اعتقاد وجود عناصر فى الكون أثقل من اليورانيوم لم تكتشف بعد ، وكثير من العلماء يبحثون عن عناصر من هذا النوع ويعتقدون بوجود غاز خامد عدده الذرى ١١٨ . وربما نجحوا فى اكتشاف أو بناء بعض من هذه العناصر فى المستقبل

انقسام بعض الذرات من تلقاء ذاتها تحولات العناصر المشعة

لم يتمكن العلماء للآن من بناء ذرات من ذرات أخرى أبسط منها كما ذكرنا ولكنهم شاهدوا العملية العكسية . أى انهم شاهدوا إنقسام بعض الذرات ذات الاعداد الذرية الكبيرة إلى ذرات ابسط منها شاهدوا ذلك فى العناصر المشعة اليورانيوم — والراديوم — والثوريوم — والاكتنيوم . الا أن هذا الانقسام يحدث من تلقاء ذاته من غير أن يكون للكيميائى أو الطبيعى سلطة عليه . وهذا الانقسام الذرى يحدث بشدة . فالذرة فى الحقيقة ونفس الواقع تنفجر كما تنفجر القنابل وتخرج منها بعض بروتونات والكترونات فى صور الاشعة (ا) و (ب) بسرعة تعادل الاميال فى الثانية ولنضرب لذلك مثلا بذرة اليورانيوم

هذه الذرة أثقل الذرات المعروفة وعدد الالكترونات السيارة فيها ٩٢ فهى غير ثابتة تماما . وإذا مالاحظناها زمنا كافياً شاهدنا انفجارها وخروج دقيقة مؤلفة من ٤ برتونات والكترونين من النواة هى الدقيقة (ا) وخروج الكترونين منفصلين من الدقائق (ب) . وتتحول الى ذرة عنصر آخر عدد الكتروناته السيارة ٩٠ اسمه يورانيوم س . وهكذا بعد زمن تنفجر ذرته وتخرج منه دقيقة (ا) وتتحول الى عنصر عدده الذرى ٨٨ هو عنصر الراديوم ويستمر الانقسام حتى نصل الى عنصر عدده

الذرى ٨٢ هو عنصر البولونيوم الذى اذا فقد أشعاعه تحول الى رصاص واذ مانقص العدد الذرى حتى صار ٨٠ نتج الزئبق واذا مانقص الى ٧٩ نتج الذهب وهكذا!

انقسام ذرات بعض العناصر بمقذوفات ذرية

ذكرنا فى البند السابق أن ذرات العناصر المشعة تقذف ذرات هليوم (الاشعةا) بسرعة تعادل ١٠٠٠٠ ميلا فى الثانية . ولهذه الدقائق طاقة حركة هائلة فقد شاهدنا أن باصطدامها بحائل مغطى بكبريتور الخارصين تحدث شرراً ضوئياً تصور مايحدث لو صدمت هذه الدقائق نواة ذرة أخرى مثل ذرة الازوت مثلا التى تعادل كتلتها كتلة ذرة الايدروجين ١٤ مرة . أن ذلك أشبه بتصادم شمسنا بشمس أخرى كتلتها ربع كتلة شمسنا وسرعتها ١٠٠٠٠ ميلا فى الثانية فلا شك أن أقل ماينشأ عنه انقسام ذرة الازوت

ولقد سلط السر ارنست أرثر فورد وابلا من الدقائق (ا) على الازوت فكان بعضها يمر فى ذراته لانها مجوفة من غير أن يصطدم بالنوايات ولكن بعضها (واحد فى كل مليون) كان يمر بالنواة فيقسمها الى ذرة من الكربون وذرتين من الايدروجين وتمكن من كشف الايدروجين المتكون وأثبت أن نواة عنصر الايدروجين توجد فى ذرات كثير من العناصر كالازوت والفلور والصوديوم والالومنيوم والفصفور ومعظم العناصر ذات الاعداد الذرية الوترة (الفردية)

ذرات العنصر الواحد غير متساوية فى الوزن. النظائر (Isotopes)

قال دالتن فى نظريته أن ذرات كل عنصر متشابهة ومتساوية فى الوزن .

وبعد دالتن بعشر سنوات (١٨١٣) ظهر عالم انجليزى يدعى Prout وقال أن ذرات جميع العناصر تتركب من مادة واحدة هى الايدروجين . فاذا أخذنا برأى كل من دالتن وبروت كانت جميع الاوزان الذرية اعداداً صحيحة باعتبار ذرة الايدروجين وحده . وهذا ما كان يعتقده بروت فكان يقول إن الاوزان الذرية يجب أن تكون أعداداً صحيحة وما الكسور الا نتائج خطأ تجريبى ولكن اعادة التحليل الكيميائى أثبتت أن الاوزان الذرية لكثير من العناصر أعداد كسرية فالكلور ٣٥ر٥ والسلكون ٢٨ر٣ والمغنسيوم ٢٤ر٣ والنيون ٢٠ر٢ وهكذا لذلك رفض العلماء الاخذ بمذهب بروت

واذا تأملنا جلياً فى نظرية تركيب الذرات من الكترونات وبرتونات نجدان هى الإ مذهب بروت فى ثوب آخر لانها ترجع جميع العناصر الي أصل واحد ثم ان هذه النظرية تنفىوجود أوزان ذرية كسرية .(أى بها كسور) الأمر الذى لايتفق مع النتائج الكيميائية :

اذن فكيف نوفق بين نظرية تركيب ذرات العناصر من بروتونات والكترونات وبين الاوزان الذرية الكسرية لبعض العناصر كالكلور والمغنسيوم والسلكون كما ذكرنا

لقد أزال السر تومسن والدكتوراستون العالمان الانجليز يان كل غموض وكشفا لنا عن أسرارطبيعية لم تدر فى خلد أحد منا وذلك باكتشاف مايسمى النظائر التى غيرت نظرية دالتن

لقدأثبتالدكتوراستونبفحصالاشعةالموجيةبجهاز يسمىMass Spectrograph ان ذراتبعضالعناصرغير متساوية فىالوزن فالكلور مثلا الذى وزنهالذرى٣٥ر٥ ماهوالاخليط من عنصرين أوكلورين متشابهين تماماً فى الخواص ووزن أحدهما الذرى ٣٥ ووزن الآخر ٣٧ ويوجدان فى الغاز المعتاد بنسبة ٣ من الأول الى١من الثانى وهذا يجعل متوسط الوزن الذرىالمعين بالطرق الكيميائية ٣٥ر٥ ويسمىكل نوع من الكلور نظير ، جمعها نظائر ، وأول من أطلق عليها هذا الاسم Sody واسمها بالانجليزية Istopes وذلك لتشابهها فى الخواص واشغالها مكاناً واحدا فى الترتيب الدورى للعناصر

كذلك السلكون الذىوزنه الذرى ٢٨ر٣ يتألف من نظيرين وزنهما ٢٨، ٢٩ والمغنسيومالذى وزنه الذرى٢٥ر٢٦مخلوطمن ٣نظائر أوزانها ٢٠، ٢٢، ٢٧ والنيون الذى وزنه الذرى ٢٠ر٢ مخلوط من نظيرينوزنهما ٢٠، ٢٢ والكربون مخلوطمن٦ نظائر والتصدير من ٨ على الاقل وهكذا ويقال انهم تمكنوا من فصل نظائر النيون والكلور والزئبق

نستنبط من هذه الحقائق الحديثة أن الاوزان الذرية الحقيقية لذرات العناصر أعداد صحيحة بالنسبة الى الاكسجين ١٦ ويسمى هذا بقانون الاعداد الصحيحة Whole Number Role ولقد أزال هذا القانون كل عقبة فى سبيل وحدة المادة وأثبت أن الطبيعة قد بنت جميع الذرات من وحدات واحدة هى الالكترونات والبرتونات .

اليزيديه

جماعة من الناس يقطنون قرب الموصل ويوجد عدد منهم فى سوريا ويدعى بعض الباحثين ان اسمهم مشتق من لفظة (يزدآن) فيكون أسمهم (الالهيين) ولكن ينسبهم البعض الي مدينة يزد الفارسية فهم حسب زعم هؤلاء طائفة مجوسية أصلا ويدعى غيرهم بانهم قد دعوا كذلك لانهم ينتسبون الى يزيد بن معاوية ، وفريق يقول بل هم بقايا فرقة الاباضية اتباع يزيد بن أبي أنيسه . ولكني أرى صواب رأى أحمد تيمور المثبت فى كتابه « اليزيدية » فى أنهم كانوا طائفة صوفية اسلامية تتبع طريقة خاصة (الطريقة العدوية) ثم غلوا فى شيوخهم غلوا كبيرا حتى أوصلوهم الى درجة الالوهية . كذلك اعتقد شخصيا أنه لم تكن للعرب (ثقافة) يعتدبها فلم يكن فى مقدورهم والحالة هذه اكتساح ثقافات الامم التى استعبدوها فبقيت كل أمة بعقلية ومعتقدات تتفاوت عن بعضها ولكن قد ارتدت كافة الامم المغلوبة على أمرها برداء الاسلام إما لكى تدفع شرا عن نفسها أو كى تجنى من ورائه خيرا لها . وحدث من الامتزاج بين الامم المختلفة امتزاج فى المعتقدات والعقليات تكيفت زبدها الى مايسمونه المدنية الأسلامية

فليس من البعيد اذن أن تكون اليزيدية مزيج من الاسلام والزرادشتية والمسيحية بدرجة عظيمة ويكون للميول السياسية التى جاشت فى صدور بعض الزعماء دخل فى انتسابها ليزيد بن معاوية كما سنبين ذلك بعد . ليس فى الامكان الجزم بتعاليم هذه الطائفة فهى سريه ولكن الاخبار التى جمعها الباحثون — ولو أن فيها تناقض وشئ كثير من التحريف والغلو — تعطيك ولو فكرة مبهمة فيها شئ من الصحة

ينسب المسلمون الى اليزيدية اباحة الزنا عند حصول التراضى، وتمكين اليزيديين شيوخهم من نسائهم. ولكن المطلع على كتابات المسلمين يجد انهم يرمون جميع الطوائف الاسلامية الاخرى بهذه التهمة مثل الدروز والنصيرية والاسماعيلية ومن المؤكد

ان الاولين لايتبعون هذا النظام وكذلك لم يثبت ان الاخيرين يزاولونه . وكذلك يدعون ان اليزيدية تصف آلهها بالصفات البشرية من أكل وسير ونوم وقد يكون قولهم هذا ناتج من اعتقاد اليزيديين بالتناسخ

وهناك بعض ادعاءات قد يكون لها نصيب كبير من الصحة مثل عدم اهتمام اليزيديين بالصلاة لقولهم بان طهارة القلب أوجب منها، ومثل تفضيلهم الشيخ عدى عن محمد نبي الاسماعيليين (المسلمين) ولكن ما الذي يمكننا استخلاصه من قول كتاب المسلمين من ان اليزيدية تنكر القرآن والشرع ويبدلونهما باقوال أحد شيوخهم، فخر الدين ، الملقب بخالق الانسان والحيوانات وذلك عند ما نواجه قول غيرهم بان اليزيديين يحتفظون فى بيوتهم بمصاحف يطمسون فيها لفظة الشيطان. بل كيف نصدق القول الاول فى حين نسمع انهم يحاولون السير طبقا لاحكام القرآن عند اكتفائهم بصيام ثلاثة أيام من رمضان اعتماداً على « للحسنة عشرة أمثالها » أى ٣ أيام صيام × ١٠ حسنات = ٣٠ يوماً صياماً ؟ فو الحالة هذه يمكننا أن نؤكد فقط بان اليزيديين يفسرون القرآن بغير ما يفسره به السنيون

يقال إن مؤسس هذه الطائفة هو الشيخ عدى (أو عادى) وكان أحد ثقاة متصوفة المسلمين ويختلفون فى الرجوع بنسبه . فمنهم من يرجعه الى مروان بن الحكم ومنهم من يرجعه إلى الحسن البصرى ومنهم من يرجعه حتى الى عدنان وبعضهم يقول إن اسم شيخهم هو شرف الدين أبو الفضائل الملقب بالهادى وحرف لقبه الى (آدى) السريانية وهذه انقلبت عادى (وعدى) .جمع الشيخ حوله نفراً فى مدينة (لالش) التى تبعد عدة كيلومترات عن الموصل ومات فدفن مكان مذبح دير كان للنساطرة هناك ويزعم البعض أن هذا الدير كان للقديس أدى (أو آدى)

فلما مات الشيخ عدوه اماماً ولم يلبثوا إلا قليلا حتى اعتبروه نبياً وأخيراً اختلفوا فيما إذا كان إلهاً أم لا. فيقول بعض اليزيديين إنه إله . ولكن يقول البعض الآخر منهم بأنه قد ساهم الله فى ملكه فاختص الآله بحكم السماء واختص شيخهم بحكم الارض . وهناك من يقول منهم بكل تواضع : بل كان الشيخ الوزير الأكبر الذى لا ينفذ الآله أمراً إلا بمشورته

وتبع ذلك أنهم أخذوا يسجدون ا (اللالش) معبدهم المنسوب الى مدينة لالش وهو كعبتهم وسادنها في الوقت الحاضر أكبر شيوخهم مقاما وأركزهم علما

وهناك من الرواة من ينسب اليهم الاعتقاد بأن الله قد أرسل هذا الشيخ — قبل أن يخلق آدم — من أرض الشام الى ناحية لالش ومعنى هذا القول أنهم يعتقدون فيه الرسالة أو النبوة

ويتبرك الزيديون بتراب حرمهم (اللالش) فيعملون منه كرات صغيرة يحتفظون بها ويأكل العروسان شيئاً منه وقت الزواج ، كما وانهم يملأون فم الميت به قبل دفنه

أما القائلون بانتساب اليزيدية إلى يزيد بن معاوية فلهم استنتاج معقول يتلخص في أن يزيد هذا قد رمي بالاستهتار والمروق فغالى البعض في اتهامه وذمه ، الأمر الذي نتج عنه وقوف البعض في صفه . وربما كان شيخ اليزيدية أحد المحسني الظن بيزيد ، بفكرة أن الاشاعات السيئة قد روجها عنه أعداؤه بعد قتل الحسين . فغالى اليزيديون بعدئذ في هذه الفكرة إلى أن وضعوا يزيدهم هنا ضمن آلهتهم السبعة

هناك معضلة أخرى هي كيفية دخول الشيطان في عبادة اليزيديين . أولا يسلم المسلمون بنظرية سقوط ابليس أثر رفضه السجود لآدم ، وبنظرية كونه كان قبل سقوطه ملكا ، إن لم يكن من كبار الملائكة . والمتوارد بين المسلمين أنه كان رئيسهم وأكبر خزنة الجنة . فلم لا يكون اليزيديون قد أضافوا إلى ماسبق أنه خلق يوم الاحد وهو أول أيام الخلق ؟

وليس يبعيد على (الفلسفة) الاسلامية انشاء طريقة تفكير كهذه ، إن رفض ابليس السجود عمل في محله لانه قد رفض السجود لغير سيده (إ آله) وبذلك لم يشرك وظل دون غيره الموحد الأوحد فيجب عليهم والحالة هذه تقديسه ،

. ولكن يجب أن تتذكر أيضاً الرهبة التي تتواجد من مجرد ذكرى الشيطان بين الفطريين — وحتى بين عامة العصر الحالي — وأن تتذكر أيضاً ان الزرادشتيه قالت (بآلهين) اله للخير وآخر للشر فلم لا يقتبس الزيديون هذه الفكرة فيزعمون ان الله لا يفعل الا الخير ، وانه لايفعل الشر أبدا ولكنهم لايلبثون حتى يجردوا الله عن القدرة على اقتراف الشر (أليست هذه فلسفة ؟)

وكان ابليس أصل المصائب والشرور يخيفهم بالطبع فراموا أن يتزلفوا إليه ليأمنوا .

شره (بخلاف الله الذى لم يكن فى مقدوره أذاهم فتركوه جانبا) فهل يستبعد أن لا يقتصروا على وصف ابليس بالشر ويصفونه بعمل الخير أيضاً ؟ بهذه الطريقة التحولية انحصرت عبادة (تزلف) اليزيديين للشيطان — دون الله الذى لا ينكرون وجوده .

وبلغت بهم درجة الخوف الى عدم ذكر اسم الشيطان ولا حتى ما يشتق منه هذا الاسم أو ما يماثله من الألفاظ فرمزوا له بالطاووس (الطير الدجاجي المعروف) فيقولون إذا أرادوا ذكره ، طاووس ملك . ولبعض الباحثين رأي فى هذه التسمية فيقولون ان اللفظة المقصودة هى تاءوس Taös اليونانية ومعناها (الله) فلما وجدوا تشابهاً بينها وبين اسم الطاووس اتخذوا الطاووس لهم رمزا

ولانهم يعتقدون فى التناسخ عبدوا الكواكب بعد أن اتخذوها أولا مثاوٍ لكبارهم وآلهتهم بعد أن يفارقوا هذه الحياة الدنيا

كتب اليزيديين المقدسة

(١) القرآن مع التحريف والشرح المخالف لشرح السنيين له

(٢) الجلوه كتاب الله الذى يبين لهم فيه قدرته وصفاته وينبئهم بأن هذا الكتاب دون غيره لم يحدث به تغيير ولا نسخ

(٣) مصحف رش (الكتاب الاسود) وهو بمثابة (سفر التكوين) عند اليزيديين وفيه بيان عن كيفية الخلق مع القول بان اليزيدية هم نسل آدم وحده فى حين ان بقية الأمم من نسل آدم وحواء . وفيه قصتان للطوفان أولاهما قصة طوفان نوح والثانية قصة طوفان حدثت منذ سبعة آلاف سنة فقط ظهر فى أول كل ألف منها إله . وأول هؤلاء الآلهة السبعة (طاووس ملك) وثانيهم (يزيد بن معاوية) والثالث شيخهم عدى (عادى) ورابعهم أحد شيوخهم (شمس الدين حسن) المدعو (دردائيل) ويلقبونه بالبصرى وهو الذى ينتظرون رجعته . وأما أسماء آلهتهم الثلاثة الباقية فلم أتمكن من ضبطها . وأهم هؤلاء السبعة الطاووس . وأما مراتبهم لديهم فدون مرتبة الله . أتى كل منهم بشريعة فرق فيها بين الحرام والحلال وأبان بها الواجب عليهم اتباعه خلال ألف سنة من يوم هبوطه

هذه هى الخلاصة المضطربة التى تمكنت من استنتاجها مما قرأته وقد رتبتها على نسق أعتقد انه فكرة ولو مبهمة عن دين هذه الطائفة السرى

عمر عنايت

من اساطير الاولين

أصل « القبلة »

أسطورة قديمة

الشاطىء الذى تلجأ اليه المرأة عند ما تعصف عليها رياح الغيرة ، وتثور بها عواصف الضعف .

وهي سلاحها أمام الرجل تشهره ، فيستسلم لها الجبار ، ويضع قلبه وسلطانه موضع الوطء من قدميها .

وهي الروح الخفية وانها من أمر ربى . . .

تلك هى . . . القبلة !!

التى تحدثنا عن أصلها الاساطير (Mythology)

لما عملت الآلهة على الانتقام من ذلك الجبار الذي ضرب بأوامرها كثيراً عرض الحائط ، لما رأى من قوة قلبه ، وضخامة جسمه ؛ ما ذكرناه فى أسطورة منشأ الحب فشطرته الى جسمين . وفصلته إنسانين يبحث كل منهما عن الآخر حتى يلتقيا فيمتزجا . . . كانت المرأة ذلك الشطر الثانى وكان الرجل الشطر الاول

ولكن هذا الشطر الاول كان محتفظاً بكثير من قوته الأولى ما يقربه على استضعاف الشطر الثانى . والتسلط عليه

فذهبت المرأة الى جوبيتر Jnpiter تشكو أمرها اليه وقالت :

أيها الاله العظيم . لقد منحت الرجل قوة يجاهد بها أمام الآساد . وعزما يجتاز به الأنجاد والوهاد ؛ حتى أصبح سيداً مطاعا وربا على جميع الكائنات . بينما حرمت المرأة من ذلك . فهبها من روحك ما تدفع به عنها شره . ومن قوتك ماتقابل به قوته وجبروته

هبنى يا إلهى سرا يحار أمامه ويظل عارفا عجزه فلايتطاول على الآلهة

ففكر جوبيتر طويلا . وأمر المرأة ان تنصرف قائلا :

لقد منحتك كنزا لا يفنى ... لا يفل ومتاعا لا يسرق. منحتك ... يكلفك شيئا.
منحتك القبلة . . . !!

ومنذ تلك الازمنه القصية والعصور السحيقة، وللمرأة قبلتها تضعها على جبين الجبار فتسلبه قلبه : وتدوس جبروته بأقدامها
القلوب عروشها : والرءوس قوائمها

وكم فى تاريخ المرأة من صرعى القبل . . . ملوك واقيال ،صعاليك وأوشال !!
فلك الهناءة بما أعطيت ، ولك فى القلوب الملك والسلطان مشدود الاساطين مدعم البنيان : يهزأ بكل ملك وسلطان

أيتها المرأة ... !!

حسن كامل الصيرفى

أذكريني

أذكريني عندما يبدو القمر فاضحاً فى الليل سر العاشقين
وابعثى فى الضوء مابين الشجر قبلة تحيي تعلات الغبين

***

أذكريني كلما هب النسيم حاملا شوقى اليك فى السحر
تلك أنفاسى بمثواك تهيم لاتبالى ابن يغدو المستقر

***

أذكريني حينما تبكى السماء وحدتى مذبت مهجوراً فريد
ان منك الذكر مدعاة الشفاء رغم بعدى، رغم هجرانى المديد

***

أذكريني وقتما يعلو الخرير ويموج الماء حنقا فى الخضم
ذا أنينى واضطرابى يستثير رحمة حتى من الصخر الاصم

حبيب الياس

خواطر

سيتفق الورى فى الدين يوماً ... اذا دانوا بتزكية الضمير
قشور الدين قدحجبته عنا ... فهل نسعى الى نزع القشور
مسالك ديننا ملئت صخورا ... تعوق (السالكين) عن المرور
قد اختلف الورى دينا ولكن ... تساووا فى المآثم والشرور

***

أرى بين الورى والحق نهرا ... وليس عليه جسر للعبور
أيا نهر الحقائق أنت تجرى ... ونحن نحوم فوقك كالطيور
أرى حول الحقيقة ألف سور ... ويعجز معولى عن هدم سور
وليس بكاشف من سار توا ... فرب الكشف منحرف المسير
يروم العقل كشفاً للدياجى ... وليس لديه غير ضئيل نور
تضاءل وهو لا ينفك يطفى ... بأهواء المحبة والنفور
لعقلك كل يوم ألف سهو ... وما ينفك عقلك فى غرور
تسير وأنت فى نوم عميق ... فلست بآمن خطأ العثور
تصدق كل أمر مستحيل ... اذا ماقيل عن رجل شهير
كذا الأعمى يصدق عن قصور ... باكذب ماادعت عين البصير
وان لم تسمع الاذنان صوتا ... فما تدرى البشير من النذير
توقع أن تصاب بداء عقل ... متى غذيت بالرأى الفطير
يروم المستشير صواب رأى ... فهل هو آمن خطأ المشير
أترجو من أمورك فتح باب ... وقد ضاعت مفاتيح الأمور
أترجو الطبخ فى تكثير نار ... ولم تك موقداً تحت القدور
وأرضك بعد لم تحرث لزرع ... ففيم تجد فى نثر البذور
ولولا أن تكون صغير نفس ... لما خدعوك باللقب الكبير

خدعت تخلت انك صرت ليثا   غداة دعيت بالليث الهصور
جلست على سرير من خيال   وتوشك ان تميل مع السرير
ترى طيشاً بعقلك لا يداوى   فتخفى الطيش فى مشى الوقور
أعصرى أنت عصر «النور» لكن   ورثت جميع «أوهام » العصور

***

يسير الحق مقترباً لكوخ   ولكن لا يمر على القصور
رأيت الحق يهضم ضمن قصر   ويرعى فى حمى الكوخ الحقير
إذا ما دوحة فسدت أصولا   فليس لها سوى قلع الجذور
وكم صبر يدوم الظلم منه   وكم ساد الجزوع على الصبور
إذا ماما ت فى قوم شعور   فما يحييه يوماً نفخ صور

***

وقفنا فى الحياة بسفح طود   وأعلى الطود يقذف بالصخور
يخادع بعضنا بالجهل بعضا   فنفنى الوقت فى حب الظهور
شغفنا بالرياء فكم فقير   يجوع ويرتدى ثوب الحرير
وكم مثر يدلس فى غناه   فيبدو لابسا ثوب الفقير
بوهم المجد والشرف افتتنا   فأبنا منه بالوهم الكثير
وما شرف الانام على سواهم   وكل الكون ذرات الأثير
وما شرف العلو على هبوط   ومأوى الدر أعماق البحور
تفيض وجوهنا بالبشر وداً   وربك عالم ما فى الصدور
وليس الصلح بين الناس إلا   مصالحة البغاث مع النسور

***

سيعبر شرقنا للغرب يوما   ويبلغ نسلنا أقصى الحبور
ونسحق فى التطور أى سحق   فلسنا فى العبور سوى جسور
تفرنج بالنهى والعلم قوم   وكم غر تفرنج « بالصفير »

***

سحرت مع النجوم فمر ليلى   ولم تكمل أحاديث السمير

أرى الاحياء تجهل منتهاها ... فماذا علم سكان القبور
وما علم النهاية مثل رمس ... فسله فقد سقطت على الخبير
وهل يجدى ندى الاسحار زهرا ... اذا أودى به لفح الهجير
دخلنا معمل الدنيا ورحنا ... نكد وليس نعلم بالاجور
كأنا بعض آلات بأمر ... يدرن وما اتفقن مع المدير
لقد كنا نعاف الاجر حقا ... لو ان الامر فى كف الاجير
اذا لم يملك المرء اختيارا ... فما التقصير إلا كالقصور
أعاف لهم غدا تعبي وأجرى ... على أن لاأحاسب فى (النشور)
أحاذر فى (الحساب) من ارتباكى ... لرؤية وجه (منكر) أو (نكير)
فكم لى فى (الحساب) من اشتباه ... بعلم (الجبر) أو عد (الكسور)
فما أنا فى الحساب بذى اقتدار ... ومالى غير إلمام يسير
ستضعف حجتى خوفا فهل لى ... محام ثم ذو عزم خطير
يدافع عن حقوقى وهو راج ... لأجر الشكر لا المال الوفير
فان هو فاز فى الدعوى أهبه ... جميع أجور ذا العانى الاسير
وان خاب الدفاع فسوف أرجو ... سماح رئيس محكمة غفور
فيعفو عن خطاى بلا رجوع ... الى التميز أو حكم الوزير
وليس لمجلس النواب دخل ... ليحكم دون فكر للقدير
فاخرج ظافرا وأصبح مالى ... سوى (الله) المهيمن من نصير
وادعو قد كفتنى نار حزنى ... عن الاحراق فى نار السعير
أأشقى فى حجاى ورب بله ... تنعم بين جنات وحور

***

رياض الشعر لاتعطيك زهراً ... إذا لم تسق من نهر الشعور

النجف الأشرف : — (السيد أحمد الصافى)

مستقبل مصر

بين ملك داود ، وأمبراطورية قيصر

كتب الأستاذ «عمر عنايت» فى العدد الفائت ، من «العصور» عن المدنية اليهودية المستقبلة . وكان مما عرض له ، فى هذا الموضوع تأثر مصر بهذه المدنية، عن طريق مجاورتها الأكيدة لمستقرها المركزى بعد الحرب العظمى ، وقد أسلفته جهود الصهيونية المنظمة ، وما يسعدها من مجاراة التيارات السياسية لها .

وإذ كان كاتب هذه السطور ، قد دعته طائفة من المناسبات القوية إلى طرق هذا الموضوع أثناء اشتغاله الطويل بالصحافة . وإذ كان مما حز فى نفسه ،أن يرى الالتفات إلى خطورته ضائعاً فى غمار الجدل الجارى حول الحوادث اليومية ، على تفاهة الكثير منها، فانه ليسره اليوم أعظم السرور أن يرى «العصور» تفتح صدرها ، لمن يعالجه بتلك البراعة ، وبعد النظر اللذين عالجه بهما الاستاذ «عنايت» . ويرجو أن يسمح لسان يعلن أن عامل المجاورة يأخذ مصر من ثلاثة الاقطار المحيطة بها وليس من فلسطين وحدها

بيد أنه لما كانت المسألة السودانية خاضعة للعمل السياسى .وبعبارة أدق واقعة تحت تحفظة من التحفظات البريطانية التى لم يتناولها الحل .. فأننا سنستبعد الكلام عن تأثر «القاهرة» «بالخرطوم» — إن صح هذا التعبير — لاسيما أننا ممن يرون أنه مهما يكن من عنف التيارات السياسية الرامية الى فصل الجنوب عن الشمال ،فان السودان لايمكن أن يخلص من اعتبار أنه المهجر الطبيعى للذرارى المصرية المتكاثرة .

وإذن فالأمر ينحصر فى التأثر المصرى بالمثل الصهيونى فى فلسطين من ناحية الشرق ، وبالمثل الرومانى فى طرابلس من ناحية الغرب . ولقد قدر لنا أن نرى رغم الصفة البدائية لهذين المثلين ،كيف تمكنا فى خلال مدة وجيزة من الاعراب عن سطوتهما على وادى النيل ؛ فتقدمت «برقة» صوب الشرق ، وانتزعت (جغبوب) كعبة الصحراء . ولم تقدم الصهيونية أقدام الفاشستية فعلياً ، ولكنها وجدت أناساً من طراز المستر «ودجوود» العضو بمجلس العموم البريطانى يقترحون على مصر

أن تنزل لفلسطين عن شبه جزيرة طور سينا . وزعيما مثل المستر ، وزمان ، يشير فى غضون خطبة له الى أن أمام الصهيونية مساحات أخرى فى الجنوب الغربى ،تكفى لاعاشة مئات من الالوف . . وراحت بعد ذلك كله . توفد أساتيذها وأحبارها الى الطور ليقوموا بتنقيبات عن التركة الموسوية هناك حيث كان التيه،وكان المن والسلوى وحيث يقال ان بعض المهندسين اليهود تمكنوا فى خلال الحرب العظمى — إذ كانوا مع الحملة المصرية التى قهرت الصحراء — من استكشاف أن الجدب فى سينا ، ليس إلا أكذوبة فارحة ، وأنه توجد تحت الطباق الرملية بحار للمياه ، ومنابع للخصوبة وأن الرى كان فى الحقيقة تحت أقدام الجيش البريطانى، ولكنه لم يفطن اليه إلا فى وقت متأخر!

ينحصر الامر فى التأثر من هاتين الناحيتين . ولئن كان يبدو أن من الناحية الفلسطينية أعظم نظراً لما تتصف به فلسطين من الصلاحيات الصناعية ، والزراعية والجغرافية ، ولما نسمع به من بداية استغلال هذه الصلاحيات على مثال واسع النطاق، فثمة مشروع ، روتنبرج ، الكهربائي العظيم ، ومشروع البحر الميت الكيمائي الزاخر ومشروع ميناء حيفا، واحتمال انشاء قناة جديدة تقرب قناة السويس بين البحر الابيض المتوسط وخليج العقبة فانه ينبغي ألا نستخف بالجهود التي يبذلها الايطاليون فى طرابلس وبرقة لاعانة المستعمرات الرومانيه فى ليبيا. وحسبنا للاقتناع بأهميتها ان نرى كيف يصارعون القفر الاعظم بوسائل العلم الحديثة ويستنبطون المياه ، ويستصلحون الاراضى الرملية للزراعة ، ويمدون الطرق الحديدية ، ويستزيدون من المناطق الخصبة ، فى القطاع الغربى بمفاوضة فرنسا فى النزول لهم عن القيروان ، ويوعزون لبعض الشركات فى السعى لدى الحكومه المصريه بغية أعطائها امتيازا بتعمير مريوط المتاخمة لبرقه . وقد أقاموا بجملة معارض فى طرابلس وأنشأوا دراسات صحراويه واختص من علمائهم أفراد بالشئون الليبية اختصاصا تبدى فى كثير من المناسبات حتى لم يحجم ، بتيربنواه ،فى روايته (الاطلانطيد) عن أن يسلك فى عداد ضحايا (أتينا) أحد الرحالة الايطاليين!

واذا كان ينقص المثل الرومانى الفاشيستى الذى يحف بمصر من الناحية الغربية استناده الى مقومات صناعيه وزراعيه وجغرافيه لها مثل الخطورة التى لنظيراتها فى

فلسطين فأنه يتخذ من هذا النقص باباً الى المبالغة والتوسع واصطناع الاسباب المتعددة للقوة والنفوذ .

ومن يتابع المنطق الاستعمارى فى مناسباته المختلفه بروما وبنى غازى وطرابلس ويستمع الى خطب « الدوتشه » وعماله فى شمال أفريقية يستيقن أن الحلم الرومانى يقود القوم بعصاه السحريه ، ويرفع أمام أخيلتهم أمبراطورية قيصر وخلفائه الذين كان لهم على مصر سلطان أى سلطان !

• • •

وليس من قصدى أمنع التأثير الآتى مما وراء ليبيا بجانب التأثير المقبل مما وراء سيناء بأن اقلل من أهمية هذا الاخير فأنى — مع الاستاذ عنايت — أرى أنه سيضع مصر أمام امتحان دقيق وأنما جل ما ارمى إليه هو أن أرضى الرغبة فى الاحاطة فالتفت بعد النظر الى المشرق — الى حيث يجرى النشاط الفاشيستى خلف حدودنا الغربية

ولقد يكون من مزايا هذا الالتفات أنه يوحى الينا بالتفكير فيما اذا كانت مصر المستقبلة ستؤخذ بالمدنية اليهودية أم بالمدنية الرومانية

ومما يعين على هذا التفكير تلك الاشاعات التى تردد الفينة بعد الفينة عن احتمال أعطاء أيطاليا انتدابا فى منطقة الليفانت . فان وجود إيطاليا فى سوريا أو على مقربة منها معناه أن حلم هرتز بأرض الميعاد سيصطدم مع حلم الدوتشة بامبراطورية قيصر

بل أن الذين يتتبعون الحالة بدقة يلاحظون من الآن وجود نوع من الاصطدام بين الفاشيه والصيهونية . وقد عزى الى بعض قناصل ايطاليا فى القدس أنهم لا يكلفون انفسهم مؤونة الضرب على ميولهم المضادة للصيهونيين ، ونجمت عن ذلك فى وقت من الاوقات بعض الصعوبات الدبلوماسيه ، بين روما ولندن !

• • •

ومهما يكن من نتائج الموازنه بين المثلين الاسرائيلى السامى والفاشيستى اللاتينى ، فان من الحق على مصر أن تعد لمستقبلها بأزائهما العدة ، وان تعرف وأنها بدون الثقافة الاقتصادية الحقة ستدخل ضدهما فى معركة خاسره ! ؟

عبد الحكيم عبد الله الجهنى ،

الشعر والنقد

تجلنز أم تغرنس فيك شعرى ! ... مجالى الحسن فى الروض الأريض

مزاعم فى انتقاد الشعر تقضى ... بموت النـــقد لا موت القريض

وأية دولة تغـــرى بشوق ... على القبلات من ثغر نضيض

وتبعث فى أشجانى اذا ما ... رمانى اللحظ من طرف غضيض

وأفراحى وأحزانى اللواتى ... تضمنهن أوزان العروض

ومنتزع من النفس انتزاعاً ... قريضى مثل آهات المريض

وأبيات كدمع العين تترى ... وليس تغيض اما قلت فيضى

فان غلبت بواعثها ففاضت ... فليس يزودها ان قلت غيضى

لـــئن حنيت على نار ضلوعى ... فان الشعر ليس سوى وميض

وما اللغة التى يجرى لسانى ... عليها غـــير ثوب للقريض

اذا ما شئت صار الشعر لحنا ... بلا لفظ يبين بلا غموض

أنقاد القريض اذا صدقتم ... ذهبتم بالفنون الى الحضيض

لو ان الشعر ألفاظ ومعنى ... فما هو بالحيض ولا النيض (١)

ولكنا وجـــدناه نفوسا ... على الأوراق كاملة النهوض

ولو أغنى غناء الشعر نثر ... لكان الرأى فيه على النقيض

عبد اللطيف النشار

---

(١) أى لا حس فيه ولا حراك

نجوى وليد

بين يومه وأمسه

أمن السماء هبطت (١) كيف أذن ترى

دنياك اهي حلاوة أم علقم؟

ماذا تركت هناك ! قصاً معتنيا !

فأتيت تكمل فى الحياة وتنعم !

ياليت شعري أى نقص ذاك إن

بك غاية الطورين شر معتم !!

أم هل تركت هناك جنات وبت !

فعلام تنقل للجحيم وتحرم !!

وعلام تهجر كاملا لتشلم

الشر معدنه ، به يتقوم ؟

والله قد جعل الترقى سنة

فى الكون : لاخلف ولا تثلم

يا أيها الطفل المنى بمهده

فيك انطوى سر الوجود الاعظم

لوقلت : ما أمس الذى غادرته

صلوا عليك ، مكرمين ، وسلموا

« الحاجرى »

---

(١) على رأى القائلين بوجود الروح الانسانية قبل هذه الحياة

التجارب الدينية

من الوجهة النفسية

ملخصه عن روبرت هـ . ثاوليس

ان القول بان الدين هو طريقة سلوك او انه مجموعة اعتقادات او انه نظام عاطفي ليس بالتعريف الصائب فالدين هو مجموعة هذه الاقوال فهو سلوك معين مظهره العباده وهو مجموعة اعتقادات تتوقف على اتباع سلوك مخصوص . يستحيل ان يكون الانسان متعبدا اذا لم يسلم بوجود كائن او كائنات يتقدم لها بعبادته . ونحن نريد بهذه المقالة التكلم عن التجارب الدينية أو العواطف التي تلازم هذا السلوك . من المرجح ان لكل انسان تجارب دينية ولو فى مرحلة من مراحل حياته وكذلك متصوفوا المتدينة هم أكثر الناس تأثرا بهذه التجارب فى سلوكهم فان الشعور بالطمأنينة بعد الصلاة اواثر تناول القربان او بعد الحماس الناتج عن الانضمام الى حفلة للذكر كلها أمثلة لهذه التجارب ومنها أيضا الشعور بتجلى الآله . و يحصرهم بعض الحركات الدينية فى الازادة من هذه التجارب العاطفية ، مثل ذلك الفروض الروحية التى تقوم بها جماعات من اتباع الاديان الشرقية كحبس انفاسهم وكالصوم او الانصات الى الموسيقى اوحضور قداس او انارة الشموع او قراءة مقتطفات من الكتابات الدينية بصوت رهيب خافت وعلى مهل

على علم النفس محاولة تفسير هذه الظواهر كما يفسر كل ظاهرة نفسية اخرى مثل ظاهرة الشعور بتجلى الله فى حالة تحكم الوعي الراقى Transcedental consciousness ولكن ليس فى الامكان التعبير عن الحالات الدينية النفسية بالاصطلاحات النفسية العادية التى تطبق على ماهو غير ديني فعلم النفس الديني يرمى الى تطبيق المظاهر على المبادىء الدينية تلك المظاهر التى لها تأثير ملموس على السلوك الغريزى والعواطف وفى الوقت الحاضر لم يعد علم النفس متجها إلى اثبات المدعيات الدينية بل البحث عن أسس المعتقدات وللفرويدية (١) اثر ظاهر فى هذا الميدان بالرغم عن وجود معارضين لايستخف بهم لنظرياته

---

(١) مدرسة الاستاذ فرويد Freud البسيكولوجى الشهير

هناك أسباب لعدد عظيم مما نفكر فيه و نعمله تنتج عن تفاعلات فكرية لا نعيها ولا يتيسر لنا أن نعيها فصوت حركة رقاص الساعة يسمع دون ان نعيه ولكن فى مقدورنا ان نعيه اذا اصغينا اليه بعكس رغبات الاحلام وفلتات اللسان وهى تعبيرات تب منا فجأة دون تفكير واع فهذه امثلة للتفاعلات الغير موعية و التى لا يمكن لنا أن نعيها و من هذه التفاعلات ماهو غير مرغوب فيه فنحاول طرده لا عن وعى ولكن بلا وعي . كل هذا نرى اثره واضحاً فى سلوك الناس وفى عواطفهم دون أن نتمكن من شرحه فاذا ما اشتد هذا التفاعل فى شخص تسبب له عنه الجنون . مثلا

كان المسيو راتسبون يهوديا ثم اعتنق الكاثوليكية واصبح مسيحياً حقاً يكثر من الاختلاط بطائفة القسس . اراد رجل افرنسى تحويله عن دينه وهو فى العشرين من عمره فما كان يظهر ادنى اهتمام لحث الافرنسى . قرأ هذا المسيو ذات مرة صلاة ترفع إلى العذراء فشغلت فكره لعدة أيام . رأى ايضا ذات ليلة فى حلمه صليباً اسود اليس عليه جسد المسيح . قضى النصف الاول من ثانى يوم بحالة عادية تماما ولكن تصادف انه قابل بعد ظهر ذلك اليوم صديقه الافرنسى الذى استمهله وقتا ليؤدى عبادته بكنيسة قريبة . ولما تركه ، فكر اليهودى فى دخول الكنيسة كى يمتع نظره بما تحويه من النفائس وعندما دخل شعر بتأثير عجز فيما بعد عن وصفه ، ملخصه تجلى العذراء له . ولما اتم الافرنسى عبادته عثر على اليهودى منبطحا على الارض يبكى فسر لذلك وسارع باحضار قسيس وهكذا انقلب اليهودى كاثوليكيا و بالفعل شعر بسلام داخلى لاعتقاده بأنه اعتنق الدين الحق . ومع ذلك لم يتمكن من تأويل ما وقع له

هذا مثل للايمان العنيف الطارىء يشرحه علماء النفس بانه تفاعل فكرى غير موعى . فهذا اليهودى كان قد بدأ يقتنع بحقيقة الكاثوليكية دون أن يعى ولكنه كان يطرد هذه الفكرة كلما خالجته دون أن يعى أيضاً فحدث نضال عنيف مستور بين تقاليد وسطه وشعوره من جهة بين هذا التفاعل من جهة أخرى ولكن عملية الطرد هذه (Suppression) أصبحت وقتاً ما فى حالة ضعف انتهزها غير ملتصيره . أما رؤية الصليب فدليل على نفوذ الايمان الجديد إلى قلبه او بالأصح الى ما هو عقله الغير واعى (Unconscious mind) ولم يتأثر به الوعى اليقظ أبداً . وليس امتزاجه بالقسيس فيما بعد غير اندفاع شديد . ومن المشاهد أن التطرف فى الكره قد ينقلب انقلابا

عكسياً وهذا هو الذى حدث بالضبط عندما وعى هذا اليهودى بانه قد وقف على معلومات جديدة وقد تغلغلت فيه دون أن يعرف كيف استأسرته . فهذا قد حدث دون أن يعى ماهو حادث ولا ينفى هذا حدوث التراكم وتبت الافكار قبل ان يثور ثورته هذه

(وبهذه المناسبة التى ذكرت فيها العذراء يقول الملخص أنه يعتقد ان المجال متسع لسرد حادثة وصلت إلى علمه قد يكون لها صلة بالموضوع مع الاعتراف بانه عاجز عن تكييفها على الصورة الصحيحة. كان فتى فى العشرين من عمره أو حول هذا السن يحب فتاة حباً أفلاطونياً فدعاه هذا الحب الى التلذذ من التفكير فى العذراء وطهارة العذراء وجمال العذراء وكان يسبح فى عالم خيالى يصل فيه كل مرة الى تخيل العذراء فى صورة مبهمة ولكنها جذابة فهل كان للعاطفة الجنسية المكتومة تأثير غير موعى عليه ؟ وكان يعيش فى وسط مسيحى وكانت التى يحبها مسيحية تكثر من القسم بالعذراء والمسيح فهل لذلك دخل فى الموضوع ؟ لا يستبعد الملخص انه كان فى الامكان تحويل هذا الشخص الى المسيحية فى حالة ضعفه هـــذه لو انتهز شخص الفرصة وشجعه على ذلك مع ملاحظة ان ذلك الشاب كان ولا يزال يحتقر المسيحية

ولهذه المناسبة أيضا يجدر ذكر رأى لبعض علماء النفس ملخصه ان لشخصية العذراء كما لشخصية المسيح دور عظيم فى أغراء الشبان والشابات على الايمان والورع الطاهر)

يقول ثاوليس ان لغريزه الحب تأثير عظيم على أعمال الناس واحد هذه الأعمال هو الدين فالذين تأثروا به أما يندفعوا نحو الحماس الدينى او يندفعوا إلى اكبار شأن الذى يحبون

قال أحد علماء النفس الأمير يكيين ان الأيمان (الدين) يصل الى ذروته عند ماتجلى على الغبراء صورة نقية تستدعى الأيمان بها كما وان الحب يبلغ ذروته اذا كان الأيمان الدينى فى انقى درجاته وان الذين ليست لهم نظرة طاهرة فى الحب هم أكثر الناس تحقيرا للأيمان .

ليس الأيمان الصحيح الا خيال الحب الدنيوى والقديس ليس الا صورة خيالية

للحبيب (١) فالترنم بحب الله هو لا أكثر من انعكاس للحب الجنسي الشديد الذي يتملك قلب المؤمن. كثير من المتعبدين يحنون إلى اناشيد سليمان (٢) وهي اناشيد غرامية خالصة. كان بلوسيوس Blosius إذا صلى يقول « ياحبيبي، ياحبيبي، ياحبيبي، يااعز الاصدقاء. أيها الحبيب الاوحد، ياقرين الروح يازهرة الحب، قرين روحي انت اشهى لدى من العسل فى أكامة. ايتها اللذة، لذة القلب، ياحياة النفس هدىء النور فى قلبي. مولاى، الهي، يامثلث القداسة، أيها الآله الاوحد، ياأصل السعادة غذنى، أجل غذى نفسى ببركتك المتدفقة (٣) ».

ولسوسو Suso (٤) صلاة مماثلة هى « ياحبيبي انت بالحق لى عيد تتجلى فيه سعادتى الحقة. انت بركة الصيف لروحى وانت ساعة سرورى. انك المحبوب الاوحد الذى لا يفكر فى سواه ولا يحب غيره قلبي الصغير. من أجلك لم أهتم بالحب الدنيوى. ساعدى أيتها الروح الرقيقة الطاهرة من يحبك كى يصل الى الفضيلة وكى يتوغل فى طيبتك الكينة ولا تدعيني أبعد عنك خلال الوقاض فى هذا اليوم الذى هو رأس السنة ».

أما رؤى القديسين فهي لا أكثر من أحلام كالتي تمر على كل انسان عادى ولكنهم يأولونها تأويلا دينياً فقد رأت سيدة حلما ملخصه حفلة ولادة فقالت تصفه « رأيت جسما مخيفاً لا شكل له عمدا طننته مجبولا من وحل لين و إذا فيه ينشأ فجأة مخلوق سوى هو طفل جميل أبيض اللون وبسرعة ارتفع الطفل الى السماء » واستنتجت أن الوحل هو المادة (اللحم) الفانية القذرة ولم يكن الطفل فى عرفها إلا النفس الطاهرة وقالت لم يكن هناك أي تناسق بين بشاعة الوحل وبين جمال الطفل وكذلك لم تلصق بالطفل آثار من نجاسة الاصل (٥) ».

---

(١) أليس هناك صلة بين هذا القول وبين ماتقرأه من الشعر الآلهى لابن الفارض مثلا الذى اختلف الناس فيما اذا كان غزلا جنسيا او غزلا آلهيا ؟

(٢) راجع التوراة (كتاب العهد القديم)

(٣) كتاب الصلوات القلبية جمع ا. بوليني

(٤) راجع تاريخ حياة هنرى سوسو المنقول إلى الانكليزية بقلم ت. ف. نوكس Knox

(٥) تجلى الحب الالهى بقلم جوليان أوف نورتش

وتهتم الاديان كثيراً بالورع و تتجه قوات المتصوف النفسية كلها إلى الله ولذلك لا يجد الحب الجنسي المبغوض منهم لديهم منبتاً خصباً ومن الضروري لنفسية المتصوف ملازمة الو. ع التام . وكل الاديان تحث على الوصول الى المثل الأعلا وعلى الورع ولكنها لا توجب الانقطاع عن ممازجة الغير الامر الذي يعتبر من ضروريات النفس المتصوفه حتى لا يتواجد حائل بينها و بين الاتجاه بنقاء إلى الخالق

حدث أن أرسلت والدة القديس اوف جنزاجا Gonzaga اليه فتاة شرف برسالة وهو فى الثانية عشر من عمره (١) فلم يسمح لها بالدخول وسمعها من شق الباب ثم طلب اليها بعد ذلك الرجوع الى أمه كما وأنه كان يمتنع من الانفراد بوالدته حتى إبان الطعام وقد اتفق مع والده على الطاعة التامة والقيام بكل ما يكلف به دون تردد نظير عدم اجبار والده إياه على مقابلة سيدات (٢)

أما تفسير العلم لهذه القصة فهو امتزاج العواطف الجامحة بحالة البلوغ فهذه هى الفترة التى يكثر فيها عدد الزاهدين فالزهد ملازم للبلوغ المشاب بالعاطفة الجامحة كنتيجة لنمو القوة الجنسية وعدم القدرة على تصريفها اما نتيجة للخجل الزائد أو لعدم العثور على فرد له جاذبية قوية ففى هذه الحالة يتجه البالغ الثائر العواطف بكل قوته الى الله وكثيراً ما يكون اتجاهه هذا مؤقتاً أو يقوده الى الايمان المستمر بالدين فالتدين البلوغى (من بلوغ) قد يذهب أثره ولكنه يكون فى الغالب سبباً فى التدين المستمر ومعنى هذا يفيد اصطلاح (Erotogenesis) أى أن الدين ليس أكثر من سوى ترجمة للشعور الجنسى

وليس معنى ماسبق أن ليس للدين أسباب أخرى فشعور الجماعة الدينى يجبر المرء على متابعتهم. كذلك التنافس النظريات الاخلاقية إذا اشتد تأثير مهم. ولا يصح الاستناد على ماسبق للاستنتاج بانه لا أساس للأديان من الصحة فاذا أحببنا الله على الطريقة

---

(١) تاريخ القديس جوزاجا بقلم مستشر و بحث فى الاختبارات الدينية بقلم وليم جيمس

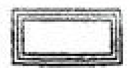
(٢) لبعض العلماء النفسيين رأى مفاده أن بعض هذه الحالات يعود إلى اختلال فى الاعضاء الجنسية أو فى استعدادها ويكون ذلك اما كنتيجة لعدم المقدرة أو الاندفاع نحو الميل الجنسى الذى يعقبه رد فعل عكسى تماماً

التى نحب بها الناس لـ [illegible] على ان [illegible] حب [illegible] نه ناتج عن خطأ تصورى فان ما أحاوله هو فقط استنتاج الدوافع الى الايمان

يعتقد فرويد أن من الاسباب التى تنتج عنها الامراض العقلية عدم القدرة على الثوران النفسى (Libido) الخفى ور .. الرغبة الجامحة للوصول الى الشخص المحبوب وانه من السهل مقاومة هذا الثوران بتحويل اتجاهه الى ما هو مفيد . هذه هى طريقة الاخضاع (sublimation) فالمشاهد أن العقل المتجه نحو الاصلاح الاجتماعي أو إلى الفنون مثلا لا يتضرر إذا أخفق فى الحب

والفكر إذا جنح عن الحقيقة وجد أمامه مجالا واسعا للتخيل الذى يتزايد فيصبح نوعا من الجنون وإذا اندفعت النفس للجرى فى المجارى الدينية لا يمكن تقييدها بنظريات أو مبادىء فتهيم منفردة تحاول الوصول الى نتائج ذاتية وقد يكون جريها هذا سببا فى خروجها من الحياة العاقلة . فاذن نلخص ما قلناه بأن من الواجب على النفسيين درس تحول الحب الانسانى الى تصوف والى ايمان لانه من الثابت أن للغلو العاطفى المسمى تصوفا ولعهد البلوغ تأثير كبير على الدين وذلك نتيجة لعاطفة الحب الانسانى المحبوسة مع الشىء كثير من الغلو ؟

عمر عنايت



الجمال العارى

سألت أفروديت : هل لجمالى ثمن فى الوجود . قلت غرى

فاستراحت من شجوها وتعرت ثم مالت ، كالاقحوان ، أمامى

أى جسم وصنعة فى القاطيع ونهـد وفتنة فى القوام!

فوردت الفتون عباً ولمساً ورويت الصبا بكل حـرام

ضل عن عيننا الوجود فغنانا لنصحو كويد رب السهام

،أيها العاشقون للحسن هبوا للملذات قبـل وفد الحمام

إن سن الشباب يبلى بنة واه ويحيا بالحب والآثام ،

فبكينا على الجمال وأنا سوف نفنى: بلا هوى ، فى الرغام

فاغتنمنا من كل غنم وعمة نا صباباتنا بأقصى الهيام

ليلة . ليتها بغير صباح لم تدع غير ذكرها . كالمنام

قاسيون .

(زكى . . .)

الغريزة واللاشعور

ملخصة عن و . هـ . ر . ريفرز

ملحوظة : يحسن بمن يهتم بدراسة هذا الموضوع الرجوع الى الأصل Instinctand the Unconscious تأليف Rivers طبعة Cam . ١٩٢ لان من الصعب جدا تلخيصه تلخيصا وافيا باللغة العربية

ان الفرق الموجود بين علم النفس الحديث وبينه حسبما كان قبل مرور ربع قرن لفرق شاسع . فقد كنا نسلم بوجوب كائن غريب اسمه الذات Ego محتلا مكانا فى عربة الفكر يسوق مجموعة من الخيل هى الارادة والذكاء والعاطفة والذاكرة وكان التصادم يحدث دائماً بين هذه الخيول. فقد يحدث ان العاطفة ترفض الذكاء أ ومثلا تجمح الذاكرة فيضطر من معها الى ملاحقتها أو أن تجامح الارادة فى بعض الاوقات الى لذع كرباج الذات . وكان عمل الذات منحصراً فى سياسة هذه الخيل لتسير على خطوة واحدة

ولكن علم النفس الحديث ينفى وجود السائق والمسوق والعربة فكلها مندمجة معاً فى وحدة لا تتجزأ وان الأجزاء التى تصورنا فصلها عن بعضها سابقا تسير معاً بموازنة غريبة لدرجة ان حدوث أى تأثير فى إحداها ينتج تأثيراً مماثلا فى الكل

فالجهاز العصبي كله يجتمع معاً فى مملكة تدار من الاعلى فى الوقت الذى تتحكم فيه على ماهو دونها من الاجزاء . ولأجل الوصول الى الحالة الفكرية المرغوبة يجب الموازنة بين المراكز الدنيا الغريزية وبين المراكز العليا العاطفية الراقية من جهة وبين التعقل من جهة أخرى فاذا حدث اختلاف من أيهما اضطرب الفكر . وعندئذ يجب علينا البحث فيما إذا كانت المراكز المتحكمة هى التى ضعفت أو ان المراكز المحكومة هي التى نشطت أكثر من اللازم . فآثار الحمى (المحترقة ، الملوسة) هى نتيجة الاس الثانى كما وان الاصابة باليوراسثينيا - ضعف أعصاب الدماغ - تنتج من الاس الاول وهناك حركة متبادلة بين أقسام الدماغ وبين أقسام الجسد . فالجسم أيضاً آلة

عصوية (فسيو... ...ية بين أجزاء متناسقة لبعدها سيطرة على البعض الآخر وذلك ناتج ... ... الذى يضطر الكائن بأجمعه الى الركون للاتحاد مع التنوع ... ... فى كل من التأثيرات المحيطة بنا ، والاتحاد ...) أيضا ضرورى لتنظيم ... ... وفقا للظروف المختلفة وحيث يجمع كل القوى للعمل ... ... الحالى ... نعرف أن ... الجهاز أو العقلى متنوع والذى ... ... وجود التوحد فكل جزء من الجسم له رد فعل يؤثر على كل جزء آخر إما كيميائيا أو آليا . ... ليس عبارة عن الاجزاء بل وعنها وعن التأثير الناتج من كل جزء على بقية الاجزاء

لقد قطع الجزء المقدم من جسم دودة فنمى ذلك الجزء وصار الى ما كان عليه بنفس القياس الذى كان عليه من قبل ولكن عندما وضعت الرأس فى جو بارد امتنع النمو . وكذلك حدث فى الجزء الآخر الذى لا يحوى الرأس واذا فصلنا الصلة ما بين المخ والفقار فى انسان عادى لا نجد هناك أثرا من الانعكاسات التى تسرى عادة بينهما بل يحل مكانها انعكاسات بنائية تشبه تلك التى نجدها فى ذوات الفقار المنحطة ، والسبب فى ذلك ان ادارة المخ لتلك الانعكاسات تنعدم من بعد الفصل فوجود رجال فى حالة طفولة تامة تنتج عن عدم امكان المخ من التحكم على الاجهزة

يقول ان الحالات العقلية الغير طبيعية ناتجة عن الحاجة الى الموازنة فبدلا من جمع الفكر لشمله لكى يحل مسألة ، يعمل كل جزء منه فى اتجاه مخصوص . والعقل الجيد هو الذى تعمل كل أجزاءه حتى الدنيا منها بنشاط وهى خاضعة تمام الخضوع للمركز الرئيسى فالغريزة السيئة هى التى تثور على النظام الفكرى . وكذلك قل عن العواطف السيئة . يعترض على نظرية فرويد القائلة ، ابحث عن الرغبة الجنسية وراء كل انحطاط ، لأن النضال بين الخوف وبين المراكز الرئيسية هو الاكثر فعلا فى الانحطاط . وقد شوهد تأثير هذا النضال بين الجنود الذين لم يكونوا فى حاجة الى الاجتماع الجنسى مدة الحرب

شفاه الغيد

قصيدة غنائية

شِفاهَ الغيد . . ! كم صعّدت رُوحاً
الى الملإ العلىّ ؟ وكم أرقتِ
دماءً ؟ . . . . خبّرى بالله صبّاً
أروحٌ من سماء الله أنتِ
يقدّسُها الورى تقديس ربٍ
من الأرباب ، ينزعُ ثم يُوقِى ؟
إذا ما كنتِ ذلك لِمَ أرقتِ
دماءً فى الهوى ، ولِمَا سفكتِ
وربكِ أنت بلسمُ كلّ جرحٍ !!
ومُطربةُ القلوبِ بحسن صوتٍ
أم الآلام منبعُها ثغورٌ
تخفّتْ من ورائِك حين بِنتِ !
شقاءٌ فى الوجودِ بُعثتِ قِدَماً
لنا . أم نعمةً خلصتْ خُلقتِ ! ؟
سألتُك ياشفاهُ تخبّرينى
ألاَ ياليت شعرى لو صدقتِ !!

حسن كامل الصيرفى

(الشعر السياسى)

حكومتنا الانتدابية

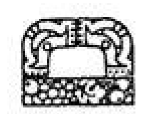
(ألقاها الناظم فى حفل وطنى فى بغداد)

دعْ مُزعجَ اللومِ وخلِّ العتابْ
واسمعْ الى الأمر العجيبِ العُجابْ
مِنْ قصةٍ ، واقصةٍ ! . . . غصةٌ
تُضحكُ ، بل تدعو الى الانتحابْ
قد جاء « جون بول » وهو الذى
يُدعى لدى العصبة بالانتدابْ
وقد تزيّا خادعاً طامعاً
زىّ فتاةٍ من ذواتِ الحجابْ
« فتانةٌ » موفورةٌ بالحُلَى
وكفُّها مُشبعةٌ بالخضابْ
ووجهُها يَضمسُ سحناءَهُ
عنّا ظلامٌ فى سوادِ النقابْ
تمشى العِرَضْنَى فى جلابيبها
مِشيةَ إحدى المومساتِ القحابْ
تختلبُ الناسَ بأوضاعها
وكلُّ مايصدرُ منها خلابْ

قد وَضعتْ تاجاً على رأسِها
يَلمعُ في الظاهرِ لمعَ الشهابْ
يُحسبُ مِنْ دُرٍّ بتمويهِه
وهو اذا حقَّقتَه من سحابْ
كاسيةُ الجسمِ أرقْ الكسى
مُوشيّةُ الثوبِ بوشيٍ كِذابْ
قد غُولِطَ الناسُ بأثوابِها
في أنها من معمل الانتخابْ
وهي لَعمري دُونَ ماريبَة
منسوجةٌ في منسجِ الاغتصابْ
فالغِشُ في لُحمتِها والسَدى
وكل مايدعو الى الارتيابْ
ظاهرُها فيهِ لنا رحمةٌ
والويلُ في باطِنِها والعذابْ
قال جليسي يومَ مرّتْ بنا !
« ماهذه الغادة ذات الحجاب ؟ »
قلتُ له : تلك لأوطاننا
حكومة جاء بها الانتدابْ
تحسُبها حسناءَ من زيّها
وماسوى «جون بول» تحت الثيابْ

مُصابُنا أَمسَى فظيعاً بها
يارَبِّ ما أَفظعَ هذا المُصابْ
تاللهِ قد حُقّ لنا أنّنا
نحثو على الأرؤُسِ منّا التُّرابْ !

بغداد — معروف الرّصافي





يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده
بميدان الأزهر بمصر

وثمن الاربع أجزاء ثلاثون غرشاً صاغاً

الاثار المسيحيه

بين بعض أهالي اليونان المسلمين

بين المسلمين الذين نزحوا من بلاد اليونان الى تركيا حديثاً يوجد حوالي ١٢٠٠٠ نسمة كانوا يقيمون في الجنوب الغربي من مقدونيا ويقول جيرانهم انهم كانوا مسيحيين حتى أوائل القرن التاسع عشر فأجبرهم علي باشا بطل يانينا على تغيير معتقدهم قوة واقتدارا وهم للآن يحتفظون ببعض الخرافات والعادات المسيحية فهم يتكلمون اللغة اليونانية اللهم إلا الذين قاموا بالخدمة العسكرية في الجيش التركي عندما كانت مقدونية عثمانية أما النساء فلا تكاد تجد بينهن من تتلفظ اللغة التركية حتى لايعرفن كيف يقسمن دون تردد أمام المحكمة قبل أداء الشهادة ولكن جيرانهم يطلقون عليهم لقب « البلاجيين » [illegible] ولم يدخل الأذان العربي في جوامعهم إلا منذ أقل من أربعة عقود وكانوا قبلها يصيح المؤذن لهم باليونانية فقط قائلا بالتركية [illegible] هلموا الى الصلاة » ولكن فقهاءهم ألغوا بعض اللغة العربية في [illegible] الاخيرة ومن أسمائهم حسن [illegible] وس ومحمد [illegible] وبينما يخاطبوك يقسمون بالصليب المقدس أو القديس ديمتريوس وإذا احتدم أحدهم في المناقشة لاثبات تركيته يقول لك « أنا تركي وحياة روح القدس » وإذا سبوا قالوا « ياعدو المسيح » وهم يقيمون صلواتهم في الكنائس وكانوا يحترمون الكنائس التي يؤمها اخوانهم المسيحيون ويقدمون الهدايا ويعيدون الاعياد المسيحية الصرفة مثل عيد القديس جورج ويدعون اخوانهم النصارى لمشاركتهم في الاعياد الاسلامية ويقولون ان القديس جورج هذا هو الخضر ويدعون أن مولده يقع يوم ٢٣ ابريل مع انهم لايعرفون ماهو الخضر هذا

كذلك يحتفظون بصور القديسين ويضيئون الشموع أمامها ولكنهم يسمونهم باسماء مختلفة وهم يتزوجون نساء المسيحيين ويتركوهن في دينهن وطريقة دفنهم مثل طريقة الدفن المسيحية فيقرءون قائمة تحوي أسماء موتاهم لاستنزال البركة عليهم ويطردون الشيطان بامرار الصليب على صدر المريض وهم يخطأون في القول بان فاطمة هي العذراء لذلك

يجدون من اللازم أن يبارك لهم الخوجة (الشيخ) مقتنياتهم وعند ما انتشرت الحمى الاسبانية كانوا يتسابقون الى الاديرة لأخذ الايقونات لتحميهم شر الحمى وكانوا بين آن وآخر يقبلونها للتبرك بها ويمنعون عن أولادهم تأثير العين الشريرة بتقليدهم صلبانا وعند ماتضيق بهم الحال يطلبون من الرهبان الصلاة لأجلهم اعتقاداً منهم بأن العذراء تحل معضلاتهم . ومن الغريب أن جيرانهم المسيحيين كانوا ينذرون صيام رمضان أو أي عمل مما يقوم به المسلمون لازالة الشدائد التي كانت تحل بهم فيرسلون أطفالهم للخوجة ليرقيه أو يتوضأون (أو يغتسلون) بماء الجامع المقدس ويولعون فيه الشموع كما يفعل اخوانهم المسلمون ولا فرق في كتابة الأحجبة اذا كانت من صنع قس أو من صنع خوجة وما يسبب الدهش ان عمل كل رجل ديني منحصر في من هم من الدين الآخر ولما يولد الطفل يغطسونه في الماء ويملحونه بدلا من مسحه بالبودرة ويسمون من لا يملح الرأس الغير مملحة ، ويعيدون تغطيس المولود ثالث يوم أمام العائلة ويجمعون نقوطا عليه ويأتون بقميص جديد لم يفتح مكان رأسه بعد وقبل إلباسه للطفل يحرقون مكان الفتحة أمام الموجودين ويلبسونه للطفل بين تصفيق المشاهدين ويوزعون عليهم الخبز والنبيذ ويعطون أول زائرة تدخل المنزل بعد حدوث الولادة قطعة خبز طلبا لنجاح المولود وقطعة سكر ليكون حلوا ويضع صوفات بأمل أن يعيش حتى يبيض شعره ويعطون الأم بصلة حتى يدر لبنها فتأكلها لكي ينهمر دمعها

ملخصة عن الانكليزية



شعر التصوير

الرقيبان الصامتان

SILENT WATCHERS

من تصوير أرثر وارديل (Arthur Wardale)

وَقَفا على الجبلِ المُنيفِ وأرسلا
شَزَرَ العيونِ الكاشفاتِ وهادا

وَقَفا وقد رَبَطَ الودادُ كليهما
رَبْطاً يضاعفه السكونُ ودادا

فتُشاهدُ الأسدَ المهوبَ مُراقباً
مِثلَ القضاءِ يُراقبُ الآبادا !

وبِقُربِهِ أُنثاهُ تنظر مثلما
تبع الوُجودُ إلهَهُ منقادا !

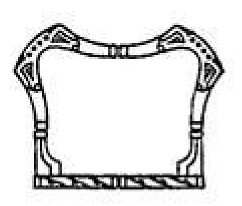
مرأى به الضدان من عطفٍ ومن
روعٍ ، وقد نستملح الأضدادا

وَقَفا وُقوفَ الفنِّ في ظِلٍّ وفي
نُورٍ فلاقَى الفنُّ فيه مُرادا

هذا يصدُّ وذاك يجتذبُ حينما
تلقى الخيالَ مُصوِّراً إيجادا

الظِّلُّ يمتلك النفوسَ مُرَوِّعاً
كالليلِ يمتلك الشعورَ حِداداَ
والنورُ يَبعث بالمشاعرِ ساخراً
كالسِّحْرِ بَدَّلَ بالحياةِ جَماداَ
أرنو الى النَّقْشِ الدَّقيقِ مُعَبِّراً
وأُجِيلُ أصْباغَ الحياةِ مِدادا
وأكادُ أخشى رغم حِسِّي لَفْتَةً
من ذلك الأسَدِ الذي يتَفادَى (١)
وأعُدُّ في حُلْمِي سُكُونَهما النَّدَى
كَرَماً، وقد يُلْفَى البَخِيلُ جَواداً!

ابو شادي



---

(١) يتفادي : يتحامى وينزوي .

شعراء الاسكندريه

« الفجر الاول »

للشاعر العصرى خليل شيبوب

تعجبون اذا قلت لكم أن ذهن المفكر يتمنى ويأمل ويشتهى كقلب الوجدانى . قلب الانسان الذى يعيش بعواطفه . ولكن عجبكم يبطل متى علمتم أن طغيان المادة على الروح فى الاسكندرية جعلنا نتمنى ونشتهى بأذهاننا لا بقلوبنا . ولا نتمنى بقلوبنا إلا فى حدود الاشياء المادية الصرفة . فتتمنى بقلوبنا نحن معشر السكندريين العصريين أن يكون لنا إيراد حسن و « فيلا » أنيقة وسيارة بديعة وأن تكون مضارباتنا فى البورصة موفقة على الدوام وألا يفوتنا شيئاً من ملذات الدنيا . مباح لنا أن نتمنى كل ذلك بالقلب ونجد لنا شركاء وأنصار من الحزب المتصرف الذى ينظر الى الحياة بمنظار « أبيقور » و « الدون جوان » ولكن . . . أمنية تتعلق بالشعر مثلا — نبأ للشعر أنه ليجلب السأم والبؤس ماتنا وهذه « البضاعة » الخاسرة ليس لها سعر ولا « كنترة » ولا ابجانسيات !

— الشعر ! يالله ! ما علمت بهذا الصنف من القطن بعد ! . . لعله من انتاج مزارع يونانى خبير بانتقاء البذرة ! . .

— الشعر ! ورق جديد هذا ! يباع عند من ! من فضلك انظر لنا ماسعره اليوم

— الشعر ! نعم : نعم . أعرف أنها مودة جديدة فى القمصان !

يستحيل عليك أن تتمنى بقلبك أمنية تتعلق بالشعر فى الاسكندرية والتمنى بالقلب معناه الاخلاص . والاخلاص فى ثغرنا وقف على شعر القطن وحده

إذن للمفكر العذر اذا هو تمنى بذهنه

أمنية ذهنية قديمة كنت أمنى بها نفسى فى كل وقت وهى أن أكتب عن شعراء الاسكندرية العصريين نخبة من الشباب الذى ينتهب الاوقات انتهابا للانشاد والاعراب عن عواطف حارة كمينة فى قوالب من النظم تتفاوت فى الجودة

ولما وجدت من نفسى استعداداً لتحقيق أمنيتى الذهنية اخترت أن أبدأ بصديقى الشاعر الوجدانى خليل شيوب .

عجبا كيف أن أمنية ذهنية مجردة تدفعنى الى الكتابة عن شاعر وجدانى ألم يكن من الواجب أن تكون أمنيتي وجدانية أيضاً لانها تتعلق بالشعر و بشعر صديق أشاركه فى كثير من عواطفه وآرائه ومبادئه وتجمعنى واياه جامعة واحدة هى جامعة الادب

أليس من الاثم ألا نفكر فى الذين يحبوننا ونحبهم إلا بأذهاننا وألا نكتب عنهم إلا بأذهاننا دون أن نستملي من قلوبنا التى قد تكون أصدق فى أحكامها وأكثر انطباقا على العواطف المتبادلة بيننا !

أن مسئولية هذا الاثم واقعة على الاسكندرية أنها تعيش بطونها لا بعواطفها وأن المفكر الذى يعيش بعواطفه لا لأجراء وحكم على مخالفة العادة المفروضة ولى العذر عند صديقى الشاعر .

صورته

انت حين تفكر بذهنك فى انسان تقترب من جانب « الرياليسم » اى تصوير الحقيقة ولكنك حين تفكر فيه بقلبك وحده تفرض على خيالك الاشتراك فى تصويره ولقد يكون القلب اداة حسنة فى تصوير الشاعر . هذا اذا اردت أن تكتب للشعر لا للتاريخ . اما ان تقصر ذهنك على تأليف صورة له فهذا لعمرى غاية من ينشد الحق . والحق وجه مليح من وجوه الشعر

عرفت خليل شيوب من عشر سنوات . شاباً جمع إلى الروح العملى ــ روح الاسكندرية التى اختارها موطناً ثانياً بعد سوريا ــ أساليب الشاعر الذى يحيي بعاطفة أو بصورة ليست نموذجا لكل الصور المألوفة أو بمثل أعلى ليس مما يدين به سائر الناس .

هو فى صورته الطبيعية لا يختلف عن سائر الشبان إلا ببريق غير عادى فى عينيه وتهذيب تام فى ملامح وجهه واعتدال فى قامته . هذا إلى تظرف واناقة فى هندامه مجردتين من كل تعمد أما صورته الأدبية فانها تمتاز بالاخلاص . واخلاصه الأكيد فى معاملته لمن يقتربون منه وفى طباعه وبشاشته . اخلاصه لفنه وعمله . اخلاص حتى لذكرى الذين مر بهم سروراً وقتياً فى حياته من الكتب والناس .

والمكتب والناس اثر عظيم فى حياته الروحية . لانريد أن نقول انه قرأ كثيراً لانه تعبير عادى لايدل على الحقيقة التى نبغيها . لقد تعارفنا فى حقبة من الزمن كان شيبوب قد انتهى فيها من الاطلاع على كل بدائع الأدب الأوربى . ومن قبل ذلك لم يفته شيء من ثمار الفكر العربى القديم والحديث .

قرأ ذلك فى أوقات دنت فيه السهرات الممتعة وملاذ المجتمع المشتهاة موفورة امامه . على أنه لم ينس نصيبه منها . فعزز تجاربه عن طريق الاطلاع بخبرة بالحياة الاجتماعية قلما تتم لشاب فى سنه . لذلك كان محدثاً غير مملول ولو طال حديثه يوما لاينقطع . ولكم يسر من يعرفه ان يستكشف ذلك فى شعره وفى رسائله .

وكذلك هى حاله مع الناس . يندر ان يحول الحلم الشعرى عنده دون رؤيته للحقيقة . ان الروح العملى ليطغى عنده أحيانا على شاعريته . واذ ذاك يبدو موظفا كامل الاداة مستجمع الفكر على الدوام . مخلصا فى أداء عمله . وهو عمل قضائى جاف لم يتغلب حتى الآن لاعلى فطرته الشعرية ولا على شعرية خلقه . عمل يفضى به دائما إلى الاتصال بكل الطبقات دون أن يحمله على الأخذ من أية طبقة لاقى تعودات ولا فى التطبع . هو هو دائماً كما كون نفسه وثقف عقله وكما تعود من الطباع التى اختارها وصارت مألوفة منه .

ديوان شعره

لا ندرى من هو ذلك الاديب الذى اراد أن يصف شعر شيبوب فقال انه أشد شعراء العصر اخلاصاً فى غزله . وليس شيبوب شاعر غزل فحسب . هو شاعر الحياة . وبرغم قوة مذهبه الذاتى فى الشعر فانه مصور ماهر لألوان الحياة الشتيتة . ولعله أبلغ شعراء العصر فى اقتطاع صورة من الحياة وافراغها فى القالب الذى يختاره من الشعر . ولو لم يكن كذلك لما عد شاعراً .

ومن يطلع على ديوان شيبوب يلاحظ فى الحال ذلك التضمين العجيب للعواطف الذاتية ومرائى الطبيعة موفقة توفيقا دقيقا بما يكاد يحس به كل انسان .

شاعر وفنان يغلب فنه على شعره وتغلب العاطفة على فنه ومن أجل ذلك حسبه البعض شاعر غزل مخلصا فى غزله . وبعد فالغزل أدنى ما فى شعر شيبوب وإن كانت العاطفة . العاطفة الصادقة المخلصة أسمى ما يمتاز به شعره .

ثم هو موفق فى قوافيه قدر ما هو موفق فى ابتكار المعانى والأوصاف . ومن الممكن ألا يعاب شعره إلا على مايسمى عدم نظام فى التعبير الفنى وهو نظام فى عرف الفن

ويؤاخذ أيضا على ندرة عناية بالتعبير الشعري متى استوى لديه المعنى المبتكر . ان عنايته بالمعنى تفوق حد المعقول .

لانريد أن نتناول نظرية التجديد فى عرف نقاد العصر لكى نطبقها على « الفجر الاول » — ديوان شيبوب — لأن هذه النظرية لاتزال من الابهام الى حد أنه يصعب إدراك غايتها . وليس من أقوال الشعراء المعاصرين دعاة التجديد وامثلته مالم يعسر على القدماء الاتيان بنظيره

وما دامت العاطفة واحدة فى الشعر قديمة وحديثة فن العبث أن نعلق كل الاهمية على التعابير الشعرية المستحدثة . مثال ذلك ان الشعراء القدماء لم يتركوا شيئا للاخلاف فى باب الغزل . اذن لايمكن ان تقدر شاعر بقدر اخلاصه أو عدم اخلاصه فى الغزل . وليس الغزل هو كل شيء فى الشعر . والشعر من حيث كونه فنا انما تنحصر قيمته فى فن الشاعر . وشيبوب من هذه الجهة اقوى فنا من كثير من الشعراء . ولست أجل فى شعره سوى الفن . الفن العظيم الذى يستمليه الشاعر من عاطفة مخلصة أو ايمان مفرط يمثل أو صورة غير عادية

ولا يخلو شعر شيبوب لا من الايمان الذى هو مصدر وحي والهام الشاعر . ولا من الصدق الذى هو عنصر نادر فى الشعر العربى القديم ولا من الفن الذى هو زينة الشعر الحقيقية .

اما التصوير فى الشعر الى التأثر الصادق بالمرئيات فأنه ميزة شيبوب الشاعر والكاتب . والى كل ذلك بلاغة تعبير عن الحياة ولينها وبأسائها وفلسفتها فى روحه الشعرى نزعة معروفة فى اللاتين هى عنصر الحلاوة والمتاع الحقيقي فى الشعر

وفى الاطلاع على شعر شيبوب متاع اى متاع وفيه رنين المعادن الثمينة واغاريد الطيور النادرة .

هذا الشاعر الذى هو المثل الكامل لشعراء الشباب فى الشرق العربى انما يسير فى الشعر سير السياسى الشيخ فى تدوين مذكراته . من بدء توليد العمل السياسى الى اعتزاله النهائى للديلوماتى !

فى وسعك ان تطلع فى ديوان شيبوب على كل طور من أطوار حياته الوجدانية تطلع على مذهبه فى فلسفة الحياة . وذوقه فى تلوين الصور بالالوان التى لا تؤثر فى ذوى الارواح الرقيقة السريعة الانفعال . هو شاعر عصرى باعمق معانى الكلمة

وسنتكلم عن ديوانه فى كلمة تالية ان شاء الله

الاسكندرية عبد الحميد سالم

الخطايا السبع

(للروائية الشهيرة سلمى لجروف)

أراد الشيطان أن يمكر براهب حكيم . فالتف فى عباءة فضفاضة، ووضع على رأسه قبعة ضخمة مترهلة ، حتى لم يستطع أحد معرفته ، وأخذ سمته الى الكاتدرائية ليرى الشيخ حيث يجلس فى كرسى الاعتراف يتلقى التوابين

قال هذا الماكر « أيها الأب الموقر ، أنا مزارع بن مزارع أستيقظ مع الشمس ولا أغفل عن الصلاة . وبعدها أمضى عامة يومى كادا فى الحقول، وأتبلغ بالخبز واللبن وعند ما أرغب فى الائتناس بأصحابى أدعوهم لتناول الشهد والفاكهة وأنا أعزب والدى وليس لى زوجة ولا أرب لى فى النساء . وأثابر على الذهاب الى الكنيسة ولا أحبس زكاة العشر عما أملك . وها قد سمعت اعترافى أيها الأب الموقر فهلا منحتنى الغفران »

فأجابه الراهب « ياولدى أنت أتقى من رأيت . وأنا أغفر لك بارتياح . ولكن سأقص عليك ماحدث منذ زمن ليس بالبعيد فى نفس هذه الانحاء . وسيسرك ماأقصه عليك لانك ستسمع عن أعمال صالحة تقنعك ان الذين قاموا بها يعدون أشقياء واقعين فى الخطيئة اذا قرنوا اليك »

فقال له الشيطان « أيها الأب الموقر ! انك تغرينى بالكبرياء والعجب » فأجابه الراهب « وقانى الله شر هذه الخطيئة الكبيرة . عند ماتسمع ماسأقصه عليك ترجع عن هذا الرأى »

ثم قص عليه هذه القصة

الشريف الاصيد صاحب هذا الحصن القائم على قمة الجبل الواقع فى الناحية المقابلة من النهر عقد العزم على أن يزوج ابنته من رجل سرى قوي النفوذ يحبها حبا شديدا ولكن الفتاة كانت تعارض فى ذلك لانها عاهدت غيره على الزواج

فكتبت رسالة الى من تحبه أخبرته فيها كيف ان أباها ارغمها على الزواج من رجل آخر وذكرت له انها تودعه وتقدم له أطيب التحيات وترجوه أن يبقي على نفسه ولا يدفعه اليأس ، لانها لاتزال تحمل له فى مضمر القلب كل اخلاص

ولكن أباها أخذ الرسالة من الرسول ومزقها خفية

واستقبلت الفتاة يوم عرسها منهمرة الدموع ولكنها حبست دموعها فى الكنيسة ولو ان الحزن كان مرتسما على معارف وجهها حتى بدت لناظرها كالمتحجرة وبكى كل من فى الكنيسة لاجلها

ولما رأى والدها مافعله بها الحزن هاله عمله فدعاها الى مخدعه عقب عودتها من الكنيسة وقال لها ، لقد أسأت اليك ياعزيزتى ، وركع أمامها برغم كبريائه واعترف بأنه ارتكب عملا دنيئا فى مصادرة رسالتها خشية أن يعلم حبيبها فيأتى يوم العرس فى جمع من أصحابه ويحملها بالقوة

فقالت له ، هذا يصح أن يكون عذرك ولكنك لاتدرى ماذا سبب من شقاء ، وخرجت الى المظلة

وجاء العريس ليستقبلها

، لماذا ياحبيبتى أرى على وجهك أمارات الحزن الشديد ،

فأجابته ، لأن لى حبيبا أقسمت ألا أتركه ،

فقال لها ، لايحزنك أن صرت لى زوجة ! ان حبي لك من الشدة بحيث انى لاأظن ان غيرى يستطيع اسعادك أكثر منى ،

فكان جوابها الوحيد ، كل المحبون يقولون ذلك ،

ثم جمعت شجاعتها وقالت لنفسها سأخبره فعسى الله أن يلين قلبه وأفضت اليه بأنها هي وحبيبها قد تعاهدا على أن المهجور منهما ينتحر يوم عرس الهاجر ، ولذا فان حبيبي سيقتل نفسه فى هذا اليوم ، وبلغ منها الالم أشده فجثت عند أقدامه وقالت متوسلة ، دعنى أذهب اليه قبل أن يقضى الامر ،

وكانت قوة حزنها مؤثرة الى حد أن زوجها — وقد جال بفكره انه إذا تركها تذهب الى من تحبه فانه لايراها ثانية — لم يتمالك نفسه عن أن يقول لها افعلى ماتستحسنين فعله

فوقفت وشكرته وعيناها مغرورقتان بالدموع . ثم أخذت طريقها الى صالة الوليمة لترى المدعوين وكانوا جالسين على مقاعدهم ازاء الموائد ينتظرون الطعام وقد برح بهم السغب بعد الركوب مدة طويلة

وقالت لهم العروس ، يا أصدقائى الاعزاء ، لا أكتم عنكم انى ذاهبة بعد الاتفاق مع زوجي الى لقاء حبيبى ، وهو يعتزم اليوم أن يقتل نفسه لانى حنثت بعهده وسأذهب اليه الآن وأخبره بأنى أرغمت على الزواج من غيره . ولا يدهشكم ذهابي بنفسى اليه لان مثل هذه المهمة لايؤتمن عليها رسول ولا تكفى فيها الرسالة ورجائى اليكم الا تمسكوا عن الاكل والشرب واللهو أثناء غيابى وسأعود اليكم بعد انقاذ حياته ،

فبكى جميع الحاضرين عند ماتحدثت عن حزنها وقلقها المساور وقالوا لها ، لايحلو لنا الشراب ولا الاكل وأنت تعانين مثل هذا الحزن . اذهبى اليه وبعد عودتك الينا نتناول الطعام ، وتركوا الموائد

واجتازت العروس ساحة القلعة ، وحدث ضوضاء ولغط فى المطبخ لان أحد الوصفاء ذهب الى رئيس الطهاة وأعلمه ان الوليمة أجلت لمدة ساعات فتضجر الرجل خشية أن يسرى الفساد الى ما كولاته فرمى قرصاً من الزبدة الى النار وكسر سلة من البيض ثم أخذ بتلابيب الوصيف وألقاه خارج الباب ووقف شاهراً عليه مكنسة كبيرة

ولكن عند ما أقبلت العروس وطلبت اليه أن يطلق سراح الغلام أوقف العقوبة وخلى سبيله وقال ، الحمد لله الذى جعلك رحيمة الى هذا الحد وما كنت لازيدك حزناً على حزن ، وحفظ الاكل مدة ساعات دون أن ينبس بكلمة تدل على الغضب والتغيظ

وسارت العروس وحدها موغلة فى الغابة الفسيحة لانها أرادت أن تلقى حبيبها وهى تسعى على القدم غير مصحوبة بأحد كما يدخل الانسان بيت الله وحيداً فى ساعة الشدة

وكان يقيم فى الغابة ، حل متشرد أفاق من متلصصة الطرق فأبصر قدومها وهو متسلق بين الادغال . وكانت فى يدها خواتم وعلى مفرقها تاج من الذهب وقد أحاطت بخصرها منطقة من الفضة وتدلت حول عنقها اللآلىء . فقال اللص لنفسه انها امرأة ضعيفة وسأسلبها مجوهراتها وأصبح رب ثروة تمكننى من الذهاب الى بلاد أخرى وأن أضع حداً لهذه الحياة البائسة الشقية فى هذه الغابة وأغدو رجلا محترما أميناً ،

ولكن لما دنت منه العروس وأبصر وجهها خانته شجاعته لما أفاضه الله عليها من الجمال فقال لنفسه « أنا لا أقو على ايذائها . انها عروس ومثل هذه الحسناء لاينبغى أن تسلب حليها فى يوم الزفاف » وخشى الله الذى برأها وسواها وأفسح لها الطريق

وفى نفس الغابة كان يقيم ناسك عجوز يعذب نفسه بالتزامه اليقظة مدة ستة أيام وست ليال ولا يسمح لنفسه بالنوم الا فى اليوم السابع . وكان قد أخذ نفسه بقانون صارم وهو انه اذا عاقه شيء عن أن ينام نوما هادئا فعليه أن يستمر مستيقظا مدة ستة أيام بلياليها وأقنع نفسه بان هذه مشيئة الله . والآن كان اليوم السابع والليلة السابعة قد شارفا الانتهاء دون أن يمنح نفسه الراحة لكثرة المترددين عليه من المحزونين المعذبين ولما فارقهم وأراد أن ينام أبصر بالعروس تخوض احشاء الغابة المتكاثفة فقال لنفسه « كيف تستطيع هذه المرأة أن تعبر النهر المضطرب الاواذى وقد طغى طوفانه هذه الليلة وأغرق الجسر ؟ » وترك راحته ومضى اليها وحملها على ظهره وعبر النهر . وعند ماعاد الى مغارته كان الوقت قد انقضى . وهكذا لاجل سيدة لا يعرفها اضطر أن يستمر مستيقظا ستة أيام وست ليال أخرى . ولكنه لم يأسف لذلك لانها كانت من الرقة والملاحة بحيث أن كل من وقعت عينه عليها يجب أن يضحى من أجلها بشيء

وأخيرا وصلت الى منزل حبيبها . ولكنه كان قد حبس نفسه فى قاعة واسعة وأحكم ايصاد الباب . فلما قرعت الباب كان لايريد أن يفتح لانه جرد سيفه وعزم على الانتحار

وكانت الفتاة لاتستطيع أن تناديه ولا أن تتوسل اليه لان الحزن عقد لسانها ولكن دموعها فاضت وسمع نشيجها فلم يستطع أن ينتحر وهو يسمع ذلك ففتح المزلاق وأدخلها

فوقفت أزاءه مضمومة اليدين وشرحت له كيف أرغمت على الزواج من غيره ولما رأى أنه لايزال يملك قلبها وعدها بأنه لاينتحر . ثم تعلقت به فقبلها وشعرا بكل مايتسع له القلب البشرى من سرور وحزن

وقال لها « يجب أن تنصرفى الآن لانك لغيرى » . فأجابته « كيف أقوى على ذلك » ولكن الفارس الذى يحبها نزع نفسه من بين ذراعيها وقال « لأظلم من سمح لك بالمجيء الى » وأعد جوادين مطهمين وصحبها الى منزل ابيها .

هذا ما رواه الأب الراهب للشيطان وهو يجهل من يحدثه . ثم سأله أى هؤلاء الناس الذين ذكرهم قدم أكبر تضحية وكان الراهب رجلا عاقلا يعلم كل العلم انه لايوجد انسان بدون خطيئة كما زعم هذا الغريب . وخطر للراهب انه بهذه القصة يستطيع ان يعرف اى الخطايا السبع خطيئته لانه بتفضيله صنيع الاب والزوج أو الضيفان أو رئيس القضاة او اللص أو العابد أو المحب ويستطيع الراهب أن يعرف ان كانت خطيئته الكبرياء أوالحسد والجشع أو الغضب أوالحرص أو الكسل أو الشهوانية . لأن الفضيلة التى تعجب بها أشد الاعجاب فى الغير هى الفضيلة التى تجد صعوبة فى اكتسابها

وكان الشيطان من الاستغراق فى اتقان لعبته بحيث لم يفطن للشبكة التى صنعها له الراهب . فاجاب . حقا أنه ليس من السهل الاجابة على سؤالك ويظهر لى أن الزوج لم يعط أقل مما أعطاه المحب وان الضيوف لم يقدموا تضحية أكبر من تضحية اللص وكلهم يستحق أكبر الثناء وظن أن هذا هو كل ما يريد الراهب ان يقوله

فقال له الراهب وقد هاله ذلك ، القاسم ارحمه قل لى الآن أنك تفضل أحد هذه الاعمال على الآخر أو أنك لا تعلق اهمية كبرى على أى واحد منها ،

فقال الشيطان ، لا أستطيع أن انتقص أى عمل من أعمالهم ولا أستطيع كذلك المفاضلة بينها .

فزم الكاهن شفتيه وادناها من اذنه وقال فى صوت خافت ، اتوسل اليك ان تقول ان احدهم قدم اكبر تضحية

فرفض الشيطان ان يقول ذلك والتمس المغفرة

فانفجر الراهب قائلا ، انت اذن فيك كل هذه الخطايا السبع وربما كنت الشيطان نفسه ولم تك بشرا ! ولما نطق بذلك وثب من كرسى الاعتراف ولاذ بالهيكل العالى وشرع يتلو تعويذة طرد الشيطان

ولما رأى الشيطان افتضاح امره بسط عباءته حتى صارت اشبه بجناحين مرفرفين ثم ارتفع مختفيا فى شكل خفاش أسود ضخم خلال اقبية الكنيسة المظلمة

ولم تكشف حيله ويبطل تدبيره فقط بل قد استحال شره بفضل الله بركة عظيمة لان قصة الراهب كانت لمدة أجيال وسيلة للوقوف على طوايا النفوس . واذا استعملت بتعقل فهى مثل الشبكة يلقى بها الصيادون غمار اليم لاصطياد السمك . وهى تظهر الخطايا المستورة فنستطيع ان نحاربها وننتصر عليها ؟

نهضة الترجمة والتعريب

بمناسبة صدور الطبعة الثانية من قاموس

الدكتور محمد شرف

فى العلوم الطبية والطبيعية

— ٢ —

مناهج العرب فى نقل الكتب الفرنجية وتعريب الألفاظ الاعجمية

معروف عن العرب ما كان لهم من لطف الحس وصفائه، ونصاعة الفكر وارتقائه ، وفصاحة اللسان وحسن بيانه ، ومعروف عنهم أيضا شغفهم العظيم بلغتهم ، وتعظيمهم لشأنها وافتخارهم بها ، واعتقادهم أنها أشرف اللغات وأوسعها ، وأغناها بل أجملها وأكثرها انقيادا ، تتجلى فيها الرقة والدقة وحسن الصنعة، والادلة على صحة ذلك كثيرة مثبتة فى كتب اللغة والادب، ولم تغفل العرب وضع شىء من الألفاظ التى تدل على جميع ما شاهدوه أو أحسوه حتى أصبحت المفردات فى وقتهم زائدة عن حاجة التعبير عن المحسوسات ، وان وجدنا فى لغتنا اليوم قصوراً فى التعبير عن المعنويات فما ذلك الا لاننا أهملنا الجرى على سننهم فى الاستحداث . ألا ترى كيف يغنى فيها الحرف الواحد عن الكلام الكثير ؟ ألا ترى فيها الايجاز والبعد عن الاكثار ظاهراً فى أمثالهم وخطبهم وأشعارهم ؟ وفيها من الألفاظ المفردة التى لا يعبر عنها فى اللغات

الفرنجية الا بعبارات ؟ ألا ترى شدة عنايتهم بالألفاظ ومراعاتهم لها بالتصليح والتهذيب والإحكام ، وعنايتهم بالمعانى وتخير أحسن الألفاظ لتأديتها واظهار أغراضها ومراميها ، ولتكون أوقع لها فى الآذان وأذهب بها فى الدلالة على القصد ؟ ألا ترى فى كثرة مفرداتها وتفرعها وتشعب طرق التركيب وتنوع الاشتقاقات القياسية وسيلة لصوغ ألفاظ تؤدى مالا نهاية له من المعانى ؟ أليست هذه مزايا تجعل العربية راجحة على اليونانية واللاتينية (وهما أساس اللسان العلمى) واللتان تتخذان من النحت طريقة لوضع الألفاظ المركبة التى تشاكل المعانى ؛ فقد سهلت على أبناء العربية استحداث أوضاع لمدلولات العلوم الدينية والعربية والرياضية والطبيعية لما شرعوا فى نقلها ، وهذه معدات حسنة للغاية فى اللغة تجعلها لائقة بالتحرير العلمى .

ولو أن بعضا من كتاب العرب تعلموا اليونانية — التى كانت تعلم وتدرس فى بغداد — الا أن أدباء العرب لم يكونوا يحسنون فهمها فضلا عن أنهم لم يعلموا من العلوم الطبيعية شيئا . لذلك لم يكونوا أهلا للقيام بالتعريب العلمى ، ولم نسمع بواحد من بينهم قام بتعريب شىء من الكتب اليونانية علمية كانت أو أدبية . والذين تولوا نقل علوم اليونان الى العربية فى عصر الخلفاء كانوا من النسطوريين والكلدانيين والاسرائيليين كابن الخصى والطوسى وحنين بن اسحق العبادى النسطورى المتوفى سنة ٢٦٣هـ — ٨٧٦ م وابنه اسحق ويحيى بن ماسويه المتوفى سنة ٢٤٣هـ — ٨٥٧ م وأبو بكر احمد بن على بن قيس الكلدانى المعروف بـ (ابن وحشية) الذى عاش فى سنة ٢٩١ هـ — ٩٠٣ م وآل جرجس بن بختيوشع وتلامذتهم

وجبريل عيسى بن سهار بخت واصطفن بن بسيل وشيخوص بن ياتون والحجاج بن مطر وابن البطريق وسليمان وأبو بشر متى بن يونس المتوفى سنة ٣٢٨ هـ — ٩٣٩ م وأبو زكريا يحيى بن عدى التكريتي المتوفى سنة ٣٦٤ هـ — ٩٧٤ م وأبو على عيسى بن زارة مترجم التاريخ الطبيعى وكتاب الحيوانات وقسطا بن لوقا .

وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء ، وإن كانوا تعلموا العربية فانهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها . لذلك نجد ما عربوه مشحوناً بالألفاظ اليونانية مع أن لها فى العربية مرادفات . وكان أسلوبهم ركيكا بالنسبة الى نظائره من كتب الادب ، أو لما عرّب من الفارسية بمعرفة من برزوا فى اللغتين كابن المقفع المتوفى سنة ٧٦٠ م وأمثاله . ومع هذا فقد كان تعريبهم مقبولا وافيا بالمرام لحد معيّن من جهة الامانة فى النقل وحسن التأدية بتحصيل المعانى المقصودة واخراجها على وجه يقرب من الصحيح ، فى صورة تتفق مع قوام اللغة العربية ومشربها ، وبأسلوب تسوغه أذواق الناطقين بها والذى يُستخرَجُ من استيعاب معرّباتهم أنهم لم يجروا فى التعريب على نمط واحد يصح اتباعه الا فى أحوال معينة بل نجدهم صوّروا الكلمات اليونانية بصور شتّى ، يصعب على قارئها رجعها الى أصولها أو تطبيقها على الاسماء الحالية تطبيقا صحيحا ومن أمثال ذلك :

(١) البال والفال والوال (عجائب الهند ١٠١) ، والأوال (عجائب البر والبحر للدمشقي ١٣٤ ومروج الذهب طبع باريس ٢٣١) والأفال (مروج الذهب طبع مصر) وكلها تعريب Whale: Blaena L. or

Phalaena Gr ويسمى بالعربية الكبع والعنبر (كتاب النعائم للاصمعى)

(٢) القيطس والقيطاس والقاطوس (الدميرى) ، والقاطوس (القزوينى) فى تعريب Ketos بالرومية أو (Cetacia) باللاتينية، وهو المناورة أو حوت الحيض (Rorqual or Finner Whale)

(٣) وقالوا فى تعريب (Taraxacum) وهو اليعضيد أو هندباء البر : طرخشقون (ا . ب) طَرَخْشَقُوق (فى بعض نسخ مفردات ابن البيطار ومؤلفات طبية أخرى) طَرْخَشْقُوق (لسان العرب استطرادا فى مادة عضد) طَرْخَجْقُوق (أبو حنيفه الدينورى وتاج العروس ولسان العرب والتهذيب) طَرَخْشَقُوق وطَلْشَقُوق (مفاتيح العلوم للخوارزمى) طرخشقوق وطرخشوق وطرخشقوق (تذكرة داود الانطاكى طبع مصر) طلخشقوق (ابن سينا طبع بولاق وطبع روما) طَرْشَقُوق (ا . ب طبع مصر) بلخشكوك (ا . ب طبع مصر) بلخشكوك (ا . ب طبع باريس وابن ماسويه) طرسقوس ـ التلخى (بالفارسية ـ الطبرى) طرشقون ـ تلخ ـ تلخ جكوك ـ تلخشكوك ـ طرخشم ـ طليخم (دوزى) ـ طركسينا (ا . ب) ـ طركسيا ـ طرسيا ـ طرقسيا ـ (طرخشقوق (الزهراوى) ـ طرسقوس ـ طلخشوس ـ طرخشقوس ـ تلخشكوك ـ طرخجقون ـ بلخشكوك .

(٤) وفى تعريب Aloe وهو الصبر : الألُوّ ـ الألُوّة (الاصمعى) ـ الوّى (حنين) ـ ألوة ـ ألوا ـ والوة ـ ألُوّة ـ اوّة ـ لُبة . وقالوا هو آلالنجوج والأنجوج واليلنجوج ـ يلنجج ـ يلنجيج ـ ألنجوجى ـ ألنجيج ـ النجج ـ النجوجى .

(٥) وقالوا فى تعريب منطق أرسطو : الأنالوطيقى والأنولوطيقا والأناليطيقا (التحليل Analytics) والأفودقطيقى (الايضاح Apodective) والدياقطيقي (المتفرعات المنطقية Dialectics) والطوبيقى (المواضيع Topic) والقطوغوريوس والقاطيغورياس (المقولات Categories) والسوفسطيقى (التحكيم Sophisticism) والريطوريقى (الخطابة Rhetoric) والبيوطيقي (الشعر Poesy) والسولوجسموس (القياس Syllogism) ولو قالوا أرثماطيقى (الحساب) وأسطرونوميا (الفلك) وأرمانوطيقا Harmonics والميتافيزيقا . ومن أمثال ذلك الكثير مذكور فى هذا المعجم .

ولم يذكر أحد من أئمة اللغويين أية قواعد لما يعرب من الكلمات الأعجمية توجب علينا اتباعها ، وإن ذكر بعض أصحاب المعاجم قليلا من المعربات فى مواد أصولها أو استطرادا فى غير مظان موادها ، وقد أجروا بعضا منها مجرى أصول الكلام العربى فى الصرف واشتقوا منها كما يشتقون من أصول كلامهم ، فقالوا فلسفة وتفلسف ، وزندقة وتزندق وسختيت من السخت ، ودَرْهَمَتْ الخبازى أى صارت كالدراهم وقالوا رجل مدرهم ، كما قالوا زَنْبَقَ ومُزَنْبق من الزيبق ومُقَرْفَل من القرنفل ومُيَنْسن من اليانسون ونوروز ونَوْرَزَ .

ولهذه أشباه كثيرة اتبعناها بقولنا بَلْزَرَ (Poltzerize) بَستَرَ (Pastenrize) ومغنط (Magnetize) ومُمَغْنط (Nagnetized) وسَلْفور (كبريت Sulpher) ومُسَلْفر (مكبرت Sulfphuretted) ومفصفر (Phosphoretted) ومَسِفلس (Syphilis) وتَسَفْلُس (Syphilization) ومُسَفْلَس (Syphilized) ومُطَرْطَر (Tartarized)

ومهدرج من (Hydrogen) ونكروز وتنكرز وتنكرز (Sequestration) ومسرطن (Cancriform) والتسرطم (Sarcomatosis) وأكسد (Oxidate) وتأكسد ومؤكسد (Oxidized) وتأكسد (Oxiuation) ومكربل (Carbolized) وهكذا .

وقد وجدت العرب أسماء تفردت بها الفرس وأمم أخرى دونها فاضطرت الى تعريبها أو تركها كما هي وورد كثير منها في كتب اللغة والمعاجم ومن أمثالها الكوز ، الإبريق ، الطست ، الطبق ، من أنواع الأواني . السمور ، السنجاب ، الفيل ، القاقم ، الفنك الدلق من الحيوانات ، الديباج ، التاختج ، الراختج ، السندس من الملابس والياقوت الفيروزج ، البجاد ، البلور ، اليشب (عبرية) من الجواهر والسميذ ، الدرمك ، الجردق ، الجزمازج من ألوان الخبز . الجلاب السكنجبين ، الجلنجبين ، الميبة من الاشربة أو الانبجات ، والهلام ، الإسبيذباج ، الجرذباج ، والفالوذج ، والجوزينج ، واللوزينج والرازينج والسكباج ، والدوغباج ، والنارباج ، والبزماورد ، والزماورد من ألوان الطبيخ والحلوى . المشلوز (المشمش الحلو) . والرصاص والزنبق والزيتون ، والدارصيني ، والفلفل ، والكرويا ، والقرفة والزنجبيل ، والخولنجان ، من الافاوية ، والنرجس ، والبنفسج ، والنسرين ، والخيرى ، والسوسن ، والمرزنجوش ، والياسمين ، والجلنار من الرياحين . والمسك ، والعنبر ، والكافور ، والصندل ، والقرنفل من أنواع الطيب وكلها فارسية . كما استعارت العرب من اليونانية ألفاظاً

كثيرة نذكر منها : الفِرْدَوس ، القُسطاس، السَّجَنْجَل ، البطاقة ، القَرَسْطون ، الأُسطُرْلاب ، القسْنْطاس ، القَسْطَرِيّ ، القُسطار، القسْطل ، القُبْرُس ، البِطريق ، القراميد ، التِّرياق ، والدِّرياق ، القنطرة ، القيطون ، الخبديقون ، الرَّساطون ، الإسْفِنْط ، النِّقرس القُولَنج ، القلم ، الحوت . الكِنْدارة . الإسْبور . الأنقليس ، والمِلوز الخ .

هذا بخلاف ما أُخِذَ من الحبشية والعبرانية والسريانية والسنكريتية والنبطية والكلدانية واللاتينية قبل أن يتسنى لهم وضع ما يقابلها فى لغتهم

ومن ذلك نرى أن النحاة واللغويين لم يصدوا الابواب فى وجوه من أراد انماء اللغة باستعارة ألفاظ أعجمية تهذب الدلالة على مالا تقوى لغتهم على تأديته ، بل كانوا حكيمين مجددين يحفلون بصيانة التراث اللغوى القديم بقدر ما يعنون بأنماء الثروة اللفظية كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

مناهج التعريب فى العصر الحاضر

بدأ عصر التعريب الحديث فى القرن التاسع عشر بنهوض مصر برعاية «محمد على باشا »ومن جلس على العرش من بعده .

وكان الذين تولوه فى أول الامر من الازهريين الذين درسوا العربية ثم بعثوا لاتمام دراسة العلوم فى فرنسا وايطاليا والنمسا، أو ممن درسوا فى المدارس المصرية التى أسست على نظم فرنسية، وأهمها مدرسة الألسن التى ترأسها رفاعه بك الطهطاوى (١٨٠١ — ١٨٧٣) وقد نقل

هو وتلاميذه الأدباء الى العربية والتركية أكثر من ألفى مؤلف . واشهر من بينهم البقلى والرشيدى والنبراوى ورشدى والشباسى وشافعى ثم الدرى وندى وعثمان غالب . وترجموا فى عصر محمد على وما بعده أكثر من ٢٠٠ مؤلف من أهم وأشهر الكتب الطبية والطبيعية . ولم يعرّب مثل هذا العدد من الكتب الهامة لافى عهد الخلفاء ولافى أىّ أمة من أمم الشرق .

نشطت همم هؤلاء النقلة لاسترجاع ما سلبته الايام ، وجاء عصر «اسماعيل» عصر التجديد واقتباس الاساليب الغربية فزهر العلم فى مصر بهم بعد أن اختفت أنواره أجيالا وصاغوا كثيرا من الالفاظ. وأحيوا أخرى من وضع السلف. وكان أسلوبهم فى التعريب يختلف باختلاف الشخص ومبلغ إحاطته بأصول العربية وكان ماعرب فى أول هذا العصر مقبولا فى جملته، غير أن طرق الوضع لم تكن قويمة ولا تتفق فى شىء مع قوام العربية فاذا اطلعت على معجم صغير وضعه رشدى بالفرنسية والعربية وطبعه فى باريس تجده يعرب Amygdalitis لوزيت بدلا من أن يقول العازور مثلا ، وشريانيت Arteritis ومفصليت Arthritis وأنب (Bosse, Gibbosity) بدلا من الحدَب وكريمة Cream وبريتونيت Peritonitis وفسلوجيا أو السلامة Physiology وخيلوبوليك Hippuric ودمويدين Himatoidin وحلوين Glycerine وحلويك Glyceric وحلوات Glycerate وليفين نباتية Gluten وكروين Globulin وسكر الكؤول Glycol وهضمين Pepsin وهضمون Peptone وفتق سرّى Omphalocele وسرّى مساريقى (Omphalomesenteric) وحبل سرّى Umbilical cord والتهاب

وريدى سرى Ompphalophlebitis الخ واذا تصفحت كتب الجراحة التى عربها الدرى بك تجد أمثال هذا المسخ والتشويه وأشباهه كثيرة فضلا عن رداءة الانشاء .

وقد انتشر فى هذا العهد قاموس بقطر وبرسفال الابن . وبقطر هذا كان رجلا لايعى من العلم بالعربية قليلا ولا كثيرا ؛ إذكان مترجما للحملة الفرنسية فى شمالى أفريقية ، وتقلب برسفال فى الوظائف القنصلية فى الشرق ثم صار مدرساً للعربية العامية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، فأكثر من إدخال الالفاظ العامية والدخيلة ، ومن الخلط والخبط والخطأ وتمكنت أغلاطه من بعض النفوس ، مما شوه معربات هذا العصر إذلم توجد بعد معاجم أخرى يعول عليها وتصل العربية بالفرنسية.

ولم تنفرد مصر بين بلاد الشرق الادنى باقتباس العلوم الغربية ، بل ظهرت فى سورية أيضا حركة نهوض وتجديد بفضل المرسلين ودور العلم التى أوجدوها وكانت النهضة أشد ظهوراً وأسرع انتشارا بين المسيحيين وخصوصا أهل لبنان . ومن أعلام هذه النهضة أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤—١٨٨٧) فانه بعد أن تلقى مبادىء العلوم فى الشام وتطبع بالروح العصرية عند ماتولى تحرير « الوقائع المصرية » و « الجوائب » صار من أبطال المجددين والمحبين لقدر العربية . وكان من أثر نهوض القطرين أن انقسم حملة القلم فيهما الى فريقين متناظرين .. (١) فريق المتحفظين الذين استقوا المعارف من ينابيع عربية فقط ، ويقول إن لغته تفخر بثلاثة عشر قرنا على عهد الاسلام وما يزيد عن قرنين قبل ذلك وانها فى نشاط أدبى مستمر ، لا تستطيع أية لغة من اللغات الاوروبية الموجودة الآن

أن تذعيه ولشدة اتصاله بالماضى يستمسك بالتقديم ؛ (٢) وفريق المجددين ، الذين استقوا العلم من ينابيع عربية وغربية معا ، المتأثرين بالأحوال الزمنية والعصرية ، وكان من أثر اطلاعهم على آداب الفرنجة وعلومهم ان اتسعت مداركهم ، وتغيرت وجهة أنظارهم الى العربية القديمة

واتخذت النهضة الادبية شكلا فى كل من القطرين ، فكان احياء العربية والرجوع بها الى ما كانت عليه فى الصدر الأول أظهر مظاهر النهضة فى سورية . ومن أعلامها ومؤسسيها ناصيف اليازجي (١٨٠٠ — ١٨٧١) الذى وقف حياته على خدمة العربية وإحيائها واعادة الفصحى الى شأنها الأول ؛ وطرح كل دخيل من الاوضاع ، ومحاربة الأساليب المشوهة المستحدثة . وهو بلا جدال أظهر علماء اللغة فى ذلك الوقت ، وقد امتد نفوذه الى ماوراء سورية ، غير أن عمله كان نطاما إذ لم يوفق للسير مع مقتضيات الزمن . ومن أصحابه وتلاميذه الذين داوموا على سُنّته ابنه الشيخ ابراهيم اليازجى (١٨٤٧—١٩٠٦) وغيره وهم وإن كانوا لم يستطيعوا المحافظة على أسلوب غير عملى لا يفى بحاجة العصر فانهم خدموا اللغة أجلّ الخدم باحياء أوابدها وإظهار ممدّاتها والمحافظة عليها من الفناء وتطرّق الفساد من سيل المدنية الغربية الجارف

وبينما كان اليازجى مجدًّا فى مقاومة الاستحداث فى اللغة ظهر حوله فى سورية فريق من أهل الأدب ورجال العلم رجحت كفتهم على كفته ، إذ حاولوا أن يجمعوا بين غرضه من تجديدمآثر العرب وإحيائها وبين الاغتذاء بالعلوم الحديثة واقتباس أوضاعها وكان على رأس هذا الفريق بطرس البستانى (١٨١٩—١٨٨٣) صاحب محيط المحيط ودائرة المعارف

العربيـة . وهو ان يكن جمع فيهما القديم والحـديث من الألفاظ التى احتوت كثيراً من أغـلاطه وأغلاط غـيره ، فانه أدى للعربية خدمات جليلة ومن أتباع هـذا الفريق كثيرون ممن درسوا فى كليـة بيروت الأمريكية وتلاميذ الاستاذ (Cornelius van Dyck) أمثال سليمان البستانى (١٨٥٦—١٩٢٥) والدكتور صروف (١٨٥٢ — ١٩٢٧) ولويس شيخو ؛ وغيرهم من رجال الادب والعلم الذين أدّوا خدمات جليلة بنشر المجلات والصحف وتعريب بعض المؤلفات العلمية السهلة وكانت جرائدهم بمثابة مدارس لتدريب المحررين على حسن التعبير وتأدية المعانى بالتمييز وصوغ العبارات ودفعت الاسلوب العربى فى طريق التطور لمقابلة حاجات الجمهور ومبلغ معارفه اللغوية والعلمية . وكان من أثر ذلك أن قلّ عدد الذين يكتبون بأسلوب العربية القديم المملوء بالسجع الممل والحشو والألفاظ غير الصريحة ، وصارت العربيـة المصرية بفضلهم أكثر انقيادا وأطوع لمسايرة الحياة بدرجة لم نعهـدها فيها منذ العصر العباسى . وإن ذكرنا فضل محررى الصحف الراقيـة فى تطور أساليب الانشاء فلا ننسى ما كان للمحامين الذين اشتهروا فى مصر بالفصاحة وطلاقة اللسـان من الفضـل على رقى الحركة الفكرية والعلمية ؛ وما كان للجماعات الأدبية والعلمية والسياسية التى تأسست فى الشام ومصر وطلبت التحرر من قيود الأساليب القديمة .

وقد تميّز فريق المتحفظين فى مصر بالتردد والخفر ، اذا قسناهم بجرأة اليازجي. والسبب فى ذلك أن نهضة العربية فى سورية كانت من عمل المسيحيين . بينما أنصار النهضة فى مصر كانوا من المسلمين من خريجى

الازهر ودار العلوم فلاغرو إذا ظهر من السوريين ميل لنبذ شيء من ميراث السلف ، وحافظ عليه مسلمو مصر وساروا به على حذر حرصاً على لغة القرآن . وكان الشيخ حمزة فتح الله (١٨٤٩–١٩١٨) على رأس المستمسكين بأساليب العربية القديمة وكان يقول بأفضلية العربية على سائر اللغات « خصها الله بكل المزايا وأن العرب تقدموا سائر الأمم فعرفوا كل أنواع المدنيات ماظهر منها وما سيظهر وإنّ لكل شيء في لغتهم مقابلا » ومع مافي هذا من المغالاة والجمود لاتنكر فضله وفضل أمثاله علي باشا مبارك وعبد الله باشا فكري وحفني بك ناصف والشنقيطي وغيرهم، إذ كان من آثارهم إعادة طبع المعاجم العربية القديمة كاللسان والصحاح والمخصص ، ونشر المؤلفات العربية القديمة لمشاهير الكتاب ، كما لاننسى فضل المستشرقين الذين أحيوا من كتب اللغة كثيراً كان مجهولا لنا .

ومنذ الاحتلال الإنجليزي زاد عدد الملمّين باللغة الإنجليزية من أبناء المدارس الحديثة ، واتطلب التعليم العالي وأصبحت العلوم العالية تدرس بها ، فضعفت الملكة العربية في خريجي هذه المدارس بسبب ذلك ، وبسبب اختلال الطرق التي تدرس بها العربية ، وقصورها عن مجاري الزمن . وبجوار هذا الضعف أخذ أبناء العربية من أهل سورية ولبنان ينهضون بها وجدّوا بها لتجديد حالها وانتشرت الصحف والمجلات وزاد الإقبال على اقتباس العلوم الحديثة ، وبدأت تتقد شعلة التعريب والتأليف ، وظهرت معاجم مدرسية مختلفة غير وافية بالمرام .

وفي سنة ١٨٩٢ ميلادية قام عدد من أئمة الكتاب بانشاء مجمع لغوي للنظر فيما تحتاج اليه اللغة في هذا العصر وسدّ ما فيها من ثغور وانتخب

السيد توفيق البكرى رئيسا ؛ وانضمّ اليه كثير من أهل العلم والأدب منهم الشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطي . غير انه لم يمض على المجمع عام حتى انفرط عقده وتقلص ظله ؛ وكان من أمره ماحلّ فيما بعد بنادى دار العلوم ، الذى تأسّس فى سنة ١٩٠٧ للغرض نفسه بهمة المرحوم حفنى بك ناصف . وفى سنة ١٩١٧ أعيد تأليف المجمع اللغوى برئاسة الشيخ سليم البشرى ، وتألفت منه لجان كثيرة لوضع مصطلحات العلوم والفنون ، منها لجنة الطب والعلوم الطبيعية ولجنة العلوم الرياضية والفنون الجميلة والصناعة والزراعة وعلم النبات ، ولم يمض على هذا المجمع زمن حتى انفصمت عروته ، وأصبح فى خبر كان ، ولم تقف له على أثر .

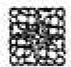
وظهر فى عاصمة العراق إمام حُجة عن العربية يستوحى أسرارها بفكر ناصع وذوق سليم ، ذلك هو الأب انستاس مارى الكرملى فقد تحققت فيه مزايا تفرّد بها دون سائر اللغويين لأنه افتتن بالعربية حتى صار راسخ القدم فى فنونها وآدابها متبحّراً فى فقهها تبحراً منقطع النظير الآن ، وتضلّع أيضاً من بعض اللغات الفرنجية الحديثة والاغريقية وقد نشر بحوثه ضوءاً ساطعاً على بعض مشكلات اللغة مما يبشرنا بفتح مبين للعربية ويجعل لمعرباته ميزة القبول .

وقد سار معربو هذا الزمن فى نقل اللغات الافرنجيـة على طرق مختلفة ؛ فابتدع هذا أسلوبا جرى عليه خالفه فيه غيره ؛ واستنّ آخر سننا لم يشايعه عليه أحد . وصار كل معرّب يضع لنفسه منهاجا لتصوير الألفاظ والمعانى أو لتعريبها ، وانطلقت للأقلام والألسنة والأعنة ووضعت أوضاع وصيغت ألفاظ بطرق مختلفة لاتؤدى المقصود منها

وشط المعرّبون عن الصواب شططا بعيداً . وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعربة والتي تدرس في مدارس الحكومة أو ما نشر في الصحف اليومية والمجلات الموقوتة خلط كثير . ولا تكاد ترى كتابين في باب واحد متفقين في تصويري الالفاظ أو الاصطلاح . وأكثر هؤلاء المعربين ممن درسوا بلغات فرنجية وابتعدوا عن العربية . فتجدهم يستعملون الألفاظ المبتذلة والسخيفة . والكلمات العامية الركيكة . ويتصرفون بالمعاني ويتناولونها بالزيادة أو النقص أو التشويه ، أو يستعملون المجازات التي لاتتم بها المعاني المقصودة تماما لعدم وقوفهم على الألفاظ العربية المقابلة أو لعدم وجود طريقة تتّبع ، أو معجم يُستدعى للمعونة ، حتى صار أكثر المعربات تلخيصاً وتضمينا ان لم يكن مسخا لاتتفق في وحدة الاصطلاح أو المدلولات .

وتجد أساليب مختلفة لكل ناقل باختلاف مشربه واللغة الفرنجية التي استقى منها . ولاختلاف القوام اللغوى وخواص التركيب ونسب الإسناد بين الألسن ، يسهل على القارىء المدقق تعرُّف المصدر الذى عرب عنه افرنسيا كان أو انجليزيا . فان تناولت كتابا مما عُرّب بهذه الاساليب ، أو مجلة من المجلات الطبية أو العربية أو المصرية ، أو الجرائد الهندسية أو الزراعية ، تجد ما يكتب فيها كلاما أرسل سدًى غير محصّل وغُفلا من الاعراب فلا ترتاح نفسك الى قراءته ، ولا تستخرج منه عائدة . لان أكثر المعربين يكتبون بروح فرنجية ، وبلغة لم تطبع فى نفسهم ، فيتخذون كل لفظة فرنجية . ويضعون لها مقابلا عربيا ، أو يضعونها كما هي على حالها ، بدون حسن تطبيق فى الهجاء العربي أو

يصوغونها فى قالب غريب ، بدون مراعاة للمعانى وخدمتها واستجماعها. وبدون أدنى تأمل فى أحكام النحو أو طلاوة التركيب وانسجام الأسلوب العربى ، فلا تعرف إن كنت تقرأ كلاما عربيا أو فرنجيا . وبلغ الجهل بالعربية حداً فاضحا فى فئة الاطباء ، فتسمع أكثرهم يتخاطبون أو يكتبون كلاما نصفه عربى والنصف فرنجى . (يتبع)



اصلاح خطأ

حدث فى ترتيب السور صفحة ١٩٨ من هذا العدد خطأ نتج عن وضع أرقام الخمسة عواميد المتراصة تحت بعضها بدلا من وضعها بجانب بعض لقراءتها أفقيا ويجب أن تكون القراءة كالآتى مع ملاحظة أن رقم السورة حسب النظام المتبع هو المذكور خارج الأقواس

السورة ٩٦ (ترتيبها الاولى) ٧٤ (الثانية) ٧٣ (الثالثة) ٩٣ (٤) ٩٤ (٥) ١١٣ (٦) ١١٤ (٧) ١ (٨) ١٠٩ (٩) ثم ١١٢ و ١١١ و ١٠٨ و ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٢ و ٩٢ و ٦٨ و ٩٠ و ١٠٥ و ١٠٦ و ٩٧ و ٨٦ و ٩١ و ٨٠ و ٨٧ و ٩٥ و ١٠٣ و ٨٥ و ١٠١ و ٩٩ و ٨٢ و ٨١ و ٨٤ و ١٠٠ و ٧٩ و ٧٧ و ٧٨ و ٨٨ و ٨٩ و ٧٥ و ٨٣ و ٦٩ و ٥١ و ٥٢ و ٥٦ و ٥٣ و ٧٠ و ٥٥ و ٥٤ و ٣٧ و ٧١ و ٧٦ و ٤٤ و ٥٠ و ٢٠ و ٢٦ و ١٥ و ١٩ و ٣٨ و ٣٦ و ٤٣ و ٧٢ و ٦٧ و ٢٣ و ٢١ و ٢٥ و ١٧ و ٢٧ و ١٨ و ٣٢ و ٤١ و ٤٥ و ١٦ و ٣٠ و ١١ و ١٤ و ١٢ و ٤٠ و ٢٨ و ٣٩ و ٢٩ و ٣١ و ٤٢ و ١٠ و ٣٤ و ٣٥ و ٧ و ٤٦ و ٦ و ١٣ و ٢ و ٩٨ و ٦٤ و ٦٢ و ٨ و ٤٧ و ٣ و ٦١ و ٥٧ و ٤ و ٦٥ و ٥٩ و ٣٣ و ٦٣ و ٢٤ و ٥٨ و ٢٢ و ٤٨ و ٦٦ و ٦٠ و ١١٠ و ٤٩ و ٩ و ٥ بالتتابع . ثم اقرأ ، وانك لو تتبعت الاربعة وخمسين سورة الاولى (حتى سورة ق ورقمها ٥٠ على النسق المتبع) تجد الروح الشعرية . . . ،

الغزل فى شعر أبى شادى

بقلم الأديب المجدد الاستاذ على محمد البحراوى

(١)

قصة قلب !

عاصفة يبعثها القدر العاتى فتفرق بين يافعين تؤلف بين قلبيهما عاطفة مشتركة !
ويد عاتية تمتد فتحرم القلب المنفي مكمله وتهصره وتهده وجداً !
وقصتنا اليوم هى قصة هذا القلب الشهيد !

• • •

درجا معاً إلفين . . وشبا خلين . . وعاشا حبين .

ونضج حبهما مبكراً ، وشبا لوعة الحب ، ونعما بلذة الألفة وما زالا صغيرين ، وكانت تحوط أحدهما (الفتى نروى قصته) بيئة صحفية أدبية جعلته يشدو لصاحبة القلب الآخر :

نشأت وقلبي يصبو لك ، وإنى ربيت على حبك

ولم يكن يتجاوز إذ ذاك الثانية عشرة من عمره ، ولا يستغرب إجادة التعبير فى هذه السن امرؤ يعترف بأثر الوراثة فى ميول الفتى وطباعه ، وتبكيره الغزلى هذا يذكرنا بنظيره عند الشاعر الانجليزى العظيم اللورد بيرون .

وشاءت الظروف القاسية أن يبرح الشاب وطنه ، ويترك أهله ، ويغادر حبه . . قلبه . . سعادته . . ويسافر إلى انجلترا الباردة العبوس . . ولكنها لم تطفىء لظى فؤاده بل زادتها سعيراً ! . .

والدهر يأبى الا أن يفجع الشاب فى غرامه . . فى هناءته . . بل فى حياته ماذا ؟! هل قضى الأمر ! وهل يحرم الى الأبد حبيبته . . أمله ومناه !

تنتكس صحته ، وينتابه سقام قاتل وهو فى وحدته ثم فى غربته ، وهو بعد ذلك يقاسى لوعة غرامه فلم ينس نكبته فيه بعد !

تلك حال تتفطر لها قلوب سامعيها ، [illegible] وهو شاعر !

إلتمس السلوة فى الشعر . . فأقبل عليه يبثه نجواه ، ويشكو له من حبه . . من أمله . من حياته . من العالم أجمع . . بل منه هو أيضاً !

هذا مجمل قصة القلب الفنى الحصير ! ولعلها هى السبب فى خروج أبى شادى شاعر التجديد مبكراً الى حلبة الشعراء ، وسنتبع أثرها فى نفسه وفى شعره معاً ، وسنجدها مهمة ممتعة ولكنها لن تخلو فى بعض الأحيان من إحساس أسى ولوعة وإشفاق على صاحب قصة القلب الكسير !

(٢)

أطوار الغزل

بدأت هذه القصة وفتاها فى الثانية عشرة ، وهو وإن كان يناهز الآن السابعة والثلاثين إلا أننا مضطرون إلى تقسيم هذه المدة الطويلة إلى أطوار ثلاثة :

(١) شعر الصبا — وهو الذى يصف نشأة الحب ، وأيامه الأولى التى نعم فيها الشاعر ، وحياة الشاعر قبل سفره الى انجلترا بعد أن فجع فى غرامه .

(٢) شعر الشباب الأول — وهو الذى يصف فجيعة الشاعر فى غرامه ، وغربته وآلامه ، ومرضه ، وشكوى الحياة والناس والنفس والحب .

(٣) شعر الشباب الثانى (وهو ما نسميه فنيا شعر الكهولة) — وهو الذى تسامى فيه أكثر غرام الشاعر الى شعر وصفى وشعر فلسفى وشعر تهذيبى وشعر انسانى وشعر قصصى وشعر تمثيلى ، ولعل هذه الكهولة أغنى أطوار شعره وأحدثها فالرجولة المعنوية فيها مكتملة ، وكم نريد أن تكون كهولته فى الشعر طويلة بقدر ما هى ممتعة .

ولكننا نعمد الى هذا التقسيم مع ابى شادى بالنسبة للغزل فقط ، وهو تقسيم لا يتعدى الحدود الفنية وليس للتاريخ فيه أى حساب ، فقد نجد فى شعر الصبا بعض حكم الكهولة فنعدها منها ، وقد نعثر فى شعر كهولته على ذكرى لغرام الصبا ووصف لنعيمه فلا نحسب هذا إلا من شعر الصبا .

وسندرس معاً هذه الاطوار الثلاثة ، وسنأسف معى بلا شك على ضياع جانب

كبير من شعر أبى شادى الغزلى بين ماتركه فى مصر من مخطوط أثناء اغترابه الطويل بانجلترا ، وفيما اجتمع لديه فى سنى غربته وصودر مع أوراقه السياسية ومنظوماته الوطنية بجمرك الاسكندرية فى ديسمبر سنة ١٩٢٢م ثم لم يستطع الحصول عليه فيما بعد .

وستمر معى ولا شك عند ماتعلم بالمجهود الذى بذله محبوه ومريدوه — وفى طليعتهم الاستاذ الجداوى — فى جمع غزله القديم (شعر الصبا) من متفرق الصحف ومن أوراق الاصدقاء والزملاء مما هو مثبوت فى ديوان الغزلى (« زينب » أو نفحات من شعر الغناء) وفى ديوان (« أنين ورنين » أو صور من شعر الشباب) . وفى هذين سندرس من غزل أبى شادى شعر الصبا وشعر الشباب ، أما شعر الكهولة الغزلية فستكون دراستنا له فى ديوانه الجديد (الشفق الباكى) وفى الجزء الاول من ديوانه المخطوط (وحى العام)) الذى اعتزم أن يصدر أجزاءه متلاحقة فى نهاية كل عام وقد ظهرت نماذج شتى منه فى طائفة من كبريات المجلات والصحف وفى طليعتها العصور .

(٣)

غزل الصبا

امتاز شعر أبى شادى فى صباه برقة العبارة وحرارة العاطفة وموسيقية البيان . وهو فى صميمه شعر غنائى أيضا ، ولعمرى انها لحدود يجب أن لايتعداها الشعر الغزلى المطبوع . أنظر اليه يشرح قصة غرامه :

أخذت تلقننى الغرام بنظرة ٭ عنبت كأن أسيرها القلب الخلى !

وقد خشى نظرتها وطلب الامان :

فجعلت أسألها الامان وأتقى ٭ من لحظها ما أتقى لمؤملى !

ثم أخذته الفتنة والحسن :

مابين فتنتها وبلسم حسنها ٭ أنا قسمة لمعـــزز ومذلل

فجعل يتشكى :

يا (زين) مافى النفس الاحرقة ٭ تبقى كسابقة الشعو الاول

ويذكر عندها هواه واخلاصه فيه :

أحببتك الحب الصحيح وانتى ٭ باق على الايفاء والشرف العلى

وهو مع ذلك لم تخل شفتاه بقبلة يتشوقها ويتطلع اليها

يتطلع الصب المشوق لقبلة ٭ ولو انه نال المنى لم يفعل !

وفى الشطر الاخير مغالطة تعمدها الشاعر ليخدع بها (زينه) فتخيله القبلة مشتهاه. وهو لو نالها لاثمله رحيقها والتمس غيرها بالحاح . ولكنه لا يذكر ذلك الآن حتى تسمح له بالاولى . فهل سمحت ؟ . لا . وأحسبها تفهم خدعته وتشفق على ثغرها الندى فتطالبه بالورع والتقى فى حبه فيجيب .

صبراً على (التقوى) وان ذهب الهدى ٭ بجـــلالة المـاضى وأنس المقبل

فصبراً وان جنى على نفسه بذلك !

وقد تملكه أحيانا لواعج الاسى ، ويظن أن توقيع الحبيبة ما يذهب بها فيطلب اليها :

هاتى لى العود وغنى ٭ واسمعى شجوى وأنى

تطرحى الاحزان عنى ٭ فأؤدى صـــلواتى !

ولا أعرف أنا كنه هذه الصلوات الاخيرة ، وأحسبها فروضاً يؤديها للحب والجمال ! ولقد ، قالت الحسناء نعماً ، وغنته ، من سلاف الحب نوعا ، وأبدعت حتى خيل إليه أن قد ، رحت منه الهزار !! ! ثم طفقت :

ترسل الصوت شجياً ٭ يملأ القلب دويا

ليته عاش خلـيــاً ٭ ليتــه الباقى لآت !

ولكن لم يصدق حدسه ، ولم يجد نشوة طمع فيها . فلقد أشجته أغاريدها حتى كفت عن عذابه :

ثم كفت عن عذابى ٭ بأغاريد الشبـاب

وتمادت فى دعابى ٭ باللحاظ الفاتنـات

وانتهى فعل الغناء، ولكن اللحاظ الفاتنات ، بدأت تنفث سحرها حتى نسى أساه وشجنه ! ومر اليوم فعاوده الشجن فتأوه :

ايه يا يوم تقضى ٭ فى نعيم كيف ترضى

لفؤادى العود أرضا ٭ كيف ترضى لى عناقى ؟!

وعاد الى (زينه) . الى منهمة أساه الى أمله و مناه . يطلب مدامها وشرابها :

إيه يا (زين) شبابي ٭ يامنى قلبي المنـاب
يامـدامي ياشرابي ٭ هاتي من كأسك هاتي !

ولكن أى راح يطلب ؟ إنها رحيق ثغرها الضاحي :

حباني هاتي الراح من ثغرك الضاحي ٭ وخصي بها الأزهار أجمل أقداح

وقف بنا هنا برهة . نستمتع فيا بهذا المعنى البديع ، ونلثم معه الزهرة تقدمها اليه الحبيبة مشفوعة بقبلة من راح ثغرها الضاحي . . أو نستنشق عبيرها على الاقل !

ولا تكتفى باللثم ياقمح زهرة ٭ لقلبي فما تغنى السلاف عن الصاح

حقاً ! . . الصاح قبل الشراب . . ولكن قبلتها فى الزهرة هي الصاح والشراب !

ولا تستعيضى عن سناك بخمرة ٭ فما يسكر الأرواح مسكر أشباح

ماذا ؟ لا . . إنك تتحايل على وصالها بالخديعة مرة أخرى ! فرحيقها يسكر الأرواح والأشباح معاً ! . . ولكن لعل روحك أنت متعطشة أرهقها التجنى !

ويترك الشاعر مكلوما حبه وأمله . . ويبرح الوطن والديار . . ولكن ذكر الحب لم يبرحه فما زال القلب خفوقا ! وما زال هو يطمئن إلى خفوقه .

(زينب) ماأحلى الخفوق للذى ٭ لايرحم القلب لدى قربك !

ثم يذكر بعد الشقة ، ويخاف أن يؤثر ذلك فى حبها له ، فيتملكه الجزع ويناجيها فى حرارة :

(زينب) ياشمسى وبابهجتى ٭ كونى كعهد الشمس فى حبك

ويذكرها بأنه المخلص الوفى لها حياً وميتا :

إن عشت لم تنسخ صلاتى النوى ٭ أو مت ناجانى هـوى تربك

ولعمرى إن فى الشطر الأخير معنى يعجز عن متابعة الشاعر فيه خلى لم يعشق !

ومثل ذلك تراه فى تحيته لها حينا وافاه كتابها فأحياه وحياه ، وكان ذلك حوالى سنة ١٩١٠ م . فى إحدى فترات افتراقهما قبل فراقهما النهائى :

كتابك العذب ياروحى وريحـانى ٭ وفى لحيا غرامى حين حيـانى

وتفارقه همومه عند مايرى همومها طافحة ، وينطلق من عقاله يهون عليها الامر ويذكر لها حبه ووفاءه :

رحلت عنك رحيل الطيب عن زهر ٥ يودى به البعد لولا حبك الدانى

وتأمل إبداعه فى بيته التالى :

فكنت كالزهر برأ والنسيم رضى ٥ وكنت كالشمس فى حسن وإحسان

ثم يذكرها بشعل ألفاظها ومعانيها فى نفسه :

فى كل لفظ معانى الأنس ضاحكة ٥ وكل معنى دليل الصبر للعانى

نعم كان يحوى دلائل الصبر . . . ولكن هل تأثر هو بها ؟ قد نستشف الجواب فى البيت التالى :

لثمته فى تقى أضعاف مالثمت ٥ حروفه من فؤادى (زين) إيمانى

ثم يطمئنها أخيراً ويطلب اليها أن تدع (خوف الفراق) وهو فى الحقيقة غير مطمئن :

الله يرعاك لى يامهجتى فدعى ٥ خوف الفراق وكونى عند حسبانى

ولكنه أخطأ فى حسبانه ، وصدقت هى فى خشية القدر !

ولعل من الأنسب أن نختم دراستنا لغزل الصبا فى شعر أبى شادى بهذه القطعة (الكروان الرسول) ، وإن كانت مما يصح أن يعتبر من شعر الشباب ، فقد انقطعت عنه أخبار حبه وخشى أن يكون قد جد حادث فطلب إلى (الكروان) أن يقوم بمهمة (الرسول) :

بالله يا كروان ٥ تكفيك أشجانى

بلغ حبيبى الآن ٥ أنى له الفانى !

ثم يذكر حاله وجزعه على حبه فينوح :

لم يبق غير الروح ٥ فى قلبى المجروح

من لى سواه أبوح ٥ مهما تناسانى ؟

وإنه لأسى عميق يتملك الفؤاد . . . وإنى لأتخيل على ضباب هذا الأسى صورة الشاعر وقد جلس يتلقى وحى الأسى واللوعة ، ينظر الى القرطاس بعين دامعة ، وبيد مرتعشة تخط هذه القطعة :

سائل أعز الناس ٥ هل شاقه غيرى

أو ناله الوسواس ٥ والشك فى أمرى ؟

وكيف تريد أن تكون دراستنا لمثل هذا ؟! .. قل لى كيف .. فانى لا أجد غير التأمل ، والتأمل فى مثل هذا يورث شجناً قد تطفر له من العين دمعة حسرة :

قد مرت الأعوام ٥ سكرى بآلامى
والقلب فيه ضرام ٥ تذكى بأحلامى

دراسة الشعر شرح وتحليل وتأمل .. فهل يحتاج مثل هذا الى شرح ! لا أظن ! إذن فلنتأمل معاً :

ولوعتى بالعباد ٥ تذيب حتى الجماد
فكل عيشى نفاد ٥ لولا الهوى الباقى

أعوام تمر ، وآلام مبرحة يحجبها إلا عن نفسه وشعره ، وقلب لا يخبو لضرامه أوار ، نختم بها جميعا شعر صباه لندرس معا شعر الشباب . ولكننا لن نكون أقل أسى وحسرة ، ولا أخف لوعة وشجناً .. فلنعرف كل هذا قبل أن تلذعنا ناره !

(٤)

غزل الشباب

قلنا إن غزل الشباب فى شعر أبى شادى هو الذى يصف لجيعته فى غرامه ، ويرثى أمله وألمه ، وغربته ولوعته ، ونظننا لا نعدو الصواب إذا قلنا إن شعر شبابه عامة هو ثورة حزينة على الحب والشعر والنفس والحياة — ولعلك تعرف شيئاً من هذا إن قرأت قصيدة (شعر شبابى) التى مطلعها :

قد جمعت الوجد والمبكى الأنين ٥ وتلست على قلبى الرنين

وقد يكون أبلغ وصف لما تضمنه شعر شبابه قوله :

من رجاء وبكاء وجوى ٥ ورثاء ووفاء لا يبين

ويعود أبو شادى بعد استعراض شبابه ووصف ماتضمنه شعره الى الثورة الحزينة مرة ثانية ، فيقول فى حسرة وأسى :

إيه ياشعر شباب آفل ٥ لم يعش منك سوى سلوى الحزين

ويتجلى لك منشأ هذه الثورة ومبدأ هذا الحزن الساخط فى قصيدته (لفتات الغريب التى يقول منها :

ألا فى سبيل الحب والامل الغالى ۞ عذابى عذاب النفى فى الجبل الخالى!

ويذكر غربته ووحدته فيندى الدمع مقلته :

شريداً وحيداً (للطبيعة) موئلى ۞ أكفكف دمعى فى أشعة آصال

وينظر شبابه الغض يذوب شجناً وأسى فيندب عمره :

وأندب عمرى، قد تولى أعزه ۞ ولم يبق غير الذكر والمثل العالى

ويتملكه حزن عميق يخيل اليه أنه (من فرط شقوته) خلق (ليعطى الدهر حكمة الاجيال) :

كأنى لما لاقيت من فرط شقوتى ۞ خلقت لاعطي الدهر حكمة أجيال!

فهل نظر امرؤ الى العالم بأسود من هذا المنظار!

ولكنك ستلتمس له العذر معى متى وقفت على قوله :

جزيت على طهرى بتغريبه مهجتى ۞ وأوذيته من أجل الوفاء ومن آلى!

أهكذا يجزى على طهره ويؤذى لوفائه . . . ومن تظن ... من ذويه!

إنها حال تبيح له السخط، على الدين والدنيا، كما يقول :

فبت صبياً فى رجولة ناقم ۞ على الدين والدنيا، على الشرف البالى

ثم تملكه وحشة مميتة زهدفيها كل مايحوطه، ويخيل إليه أن الدنيا كلها تنظر اليه شزراً وأن ليس من عاطف عليه سوى البحر!

يحن الى إلى البحر يخفق ماؤه ۞ ويحملنى رفقاً الى الحرم العالى

ولم لايحن اليه سوي هذا اليم الثائر الصاخب، ألا يقاسمه صخبه وثورته قد يكون. ولكن الشاعر لايقنع منه بهذا فهو يلح عليه ليحمله . إلى أين . . الى انجلترا . الى وطن الحياة : حياة الفنون والعلوم والآداب والثقافة العليا والجمال المعزى :

إلى الوطن المحيي الموات فلم يصب ۞ شفائى من داء بقلبى قتال

ثم تأخذه الذكريات ووفاء الحب فيقول فى حرارة .

أأحرم من شمسى أحسب هاتناً ٥ وحولى ضباب العيش لا الأمل الحالى !

لا . . . ومن يحسبك هاتناً فى مهجرك ، نائياً عن حبك وأهلك ! ثم تأخذه غضبة على الذين أبعدوه عن أمله فيخاطبهم قائلا : « فياعصبة شاءت خذلانى وأسرفت » ، ويتوعدهم بأن « ستحيا على رغم الدسائس أفضالى » ويعزى نفسه ويعللها بعذب الأمانى :

ويذكرنى قومى ويعرفنى الهوى ٥ فتقسم لى العلياء والزمن التالى

أما قومك فذكروك ، وأما الهوى فلا يعرفك إلا منكوبا فيه . . ولقد نقم لك الزمن التالى فهل أطفأ ذلك شيئاً من سعير فؤادك ... لا أظن !

ثم يستأنف وعيده لأولئك الجانين على غرامه ونعيمه :

عرفتم لصوص الحب والحب لم يكن ٥ غفورا ، وكم تشجيه نكبة أمثالى !

إى نعم ، وكم تشجيه نكبة أمثالك !

ويعود إلى ذكر هواه ووفائه ، وكيف لم ينل منهما سلوان :

سلوت فؤادى فى غرامك طائعاً ٥ وما كان عهد فى غرامك بالسالى !

نعم لم يتطرق السلو إلى غرامه ، وما كان ليتطرق مادام القلب خفاقا وما زال يحيا بحبها ويفنى فيها أصدق عاشق :

سأحيا وأفنى فيك أصدق عاشق ٥ أصاب به الزلزال قدوة أبطال !

وقد يفزع من غفوة الحزن والكآبة يستعرض حاله فيرى أن الهم لايدفع قضاء وأن « الفوز للصبر » فيقول :

ثق يافؤادى ولا تصدعك نائبة ٥ فالفوز للصبر لا للهم والزلل

ولكنه يعود فيذكر حاله الآن وما يعاوده من حسرة وأسى بعد أن « تغنى شعره طربا » بذكرها :

ثق يا وفياً تغنى شعره طرباً ٥ بذكرها ، فغدا يبكى ولم يزل !

وهو بعد أن سحت مآقيه فى سبيل هواه ماسحت يخاطب قلبه :

أنفقت فيك دموعا كم بررت بها ٥ هل بعد عهد النوى تدنى له أجلى !

لكن القلب مع ذلك ثائر لايهدأ :

يدوى دوياً مـ القلق : دم غرت ... به الصبابة لون الحب لاالخجل !

ويحمل الشطر الثانى من هذا البيت معنى دقيقاً . فالشاعر لايريد أن ينسب احمرار دم القلب القلق الى خجل . ولكنه يحسبه دليل الحب فى لون الدماء :

يرف كالطير مذبوحاً وفى قفص ... أو كالرضيع هفا شوقاً الى قبل !

وهو تصوير بارع لاختلاجات القلب الحزين . وقد تاق الى محرم عليه حلال لغيره حيناً هو أولى به ؛ وقد يرى الشاعر يوماباسمافلا تأخذه من بهجته إلاذكرى حسرة على نعيم ذاهب ، ولايثير فى نفسه إلالاعجة أسى . أنظر إلى قوله يخاطب (شمس نيسان) :

يا شمس نيسان فى برج لها ثان ... متى الوصال وقلبى عرشك السانى

متى تنعم أوطان مروعة : ... حسى وقلبى وإلهامى وسلوانى !

الى أن يقول يوجه الخطاب الى شمس نيسان ، ويعنى محبوبته التى حرمته ضياءها وإظلام حياته :

ردى حنانك ! إنى لم أصر بشرا ... من الهباء سوى من هجرك الجانى !

ثم يطلب إليها (شمس نيسان) أن تسأله (رق شؤالها إله السحر والوحى الملهم) ان يرتل شيئاً من شعره ، عسى أنغامه ترق من عواطفها وتقنعها بعبادته إياها :

سليه ينطق بأنغام يرتلها ... شعرى كأن بها إعجاز قرآن !

يطول به الحزن ، ويضنيه الشجن فيخلو الى مهجته فى الظلام يحاول أن يرفه عنها ولكنها ترفض :

خلوت إلى مهجتى فى الظلام ... أخفف من حظها العابس

فقالت : حرام ، حرام ، حرام ! ... فما الأنس فى البعد عن مؤنسى

وتردف تأكيداً :

وهل طاب للعاشقين المدام ... اذا احتجبت (زينة) المجلس !

لا . !

فيا لله دعنى لدمعى الحزين

فقد شاء ربى لمثلى الانين

وكن راحما ، ان لومى عذاب

تريد أن يتركها فريسة الشجن فقد كتب لمثلها الأنين ، وتسأله أن يكون رحيما ويقصر اللوم ففي ذلك ما عذاب ! ومن هي ؟ . . . . مهجته !

أجبني : أم يتقطع نياط قلبك . . . .

وأسكرني حبها نائماً ه فلم أستفق قبل شمس الصباح

أضغاث أحلام !

فقلت : أيا مهجتي ظالماً ه أمانيه من خالها مايباح

ثم ماذا ؟

فما العيش الا المنى دائماً ه ومالموت الا الرضى لا الكفاح

فهل يرضى بالقضاء

فهل اكتفي من غرامي بدين

هو الوجد في باقيات السنين

وشعر الغناء لقلبي المذاب

لا . . ولكنك خاضع لصروف الدهر ، وليس في وسعك الا التسليم !

وتمر عليه فترة هول يعتقد فيها ان الذنب في الهجر ذنب محبوبته لاذنب الأقدار ولا ذنب من عاندوه فيندوب بحسرة وتألما ويقول يرثى هذا (الحبيب الجاني) الحي الميت:

بالروح أم بعذاب آمال الصبا ه أبكي الحنان الجم في ذكراك

بهما معاً !...

تحيين أشجانا سأحيها غدا ه وتقطعين ضمائر النساك !

الى أن يقول :

أخشى عليك من الضلوع لهيبها ه وأرى على بعد الجمال هلاكي !

ويحمل هذا البيت معنى حسنا مقبولا وهو عندي أرق وأعذب من قول الشيخ علي الجارم مثلا

لو لم أخف حر الهوى ولهيبه ه لجعلت بين جوانحي مثواك

فالشطر الاول من بيت أبي شادي القديم المطبوع حوى في رشاقته كل معنى بيت الشيخ علي الجارم الصناعي، ولاشك أن الشاعر الوجداني المطبوع الذي يصيب المعنى خالصاً في شطر واحد خير ممن يوزعه متصنعاً في حشو على شطرين !

ويختتم أبو شادي خطابه إليها بهذا البيت المؤثر :

لاتبخلى بالترب حولك ، ربما ٭ أحياه ان يفنى بطيب ثراك !

خيال ساحر ولاشك . ولا تحسبها تبخل بالترب ولكن لن يحييه أن يفنى بطيب ثراها . ولكن سيحييه أن تنفث فيه سحر إبداعك !

بالحياة الروح يا روح الحياة — ياإلهى !

نعم . . ياإلهى !

كم يعانى الصب فى ذكرى مناه — غير لاه

هل رأيت مثل هذه الشكوى الثائرة بعد هدوء ، أو الهادئة بعد ثورة ؟!

وفى مثل هذا الخيال الجرىء !

غارقاً فى نار وجد لن تزول

وهموم وشجون لن تحول

قبل صوب الغيث من فتان برك !

دعك من الابتداع والتفنن فى النظم ، وقل لى أولا : ألا تسرى إليك عند قراءتها لاعجة أسى عظيم ؟ . . ونريد أن نختم دراستنا لشعر شبابه بقطعة (وداع الشباب) ، وهى منظومة وجدانية رقيقة أمثلها بأسفه على عهد شباب تقضى :

أسفى على عهد الشباب المنقضى ٭ بجلال سمته وحق زفيرى

وقد أشقاه وداعه لو لا تعزية الضمير .

ودعته وحرست آمال الهدى ٭ فشقيت إلا من لقاء ضميرى

لقد شيع ماضيه ، يكلله الفخار ، ولكنه يخشى أن يقابل تودد مقبله بنفور

ماض يكلله الفخار ومقبل ٭ أرعاه بين وداده ونفورى

وهو هو عابد الجمال وإن قسا عليه الجمال وجنت عليه عبادته له :

وأنا الشفيق على الجمال وإن قست ٭ وجنت عبادته إزاء مصيرى !

ولقد كنا نريد أن نفرغ معك الآن من دراسة غزل الشباب ، ولكنا نسينا أن نشير إلى قصيدة حزينة قد تكون هى المثال الحى لغزل شبابه ، والحق اننا كنا نتعمد إغفالها لأن مجرد تلاوتها قد ينتزع من مقلتك دمعات فما بالك بدراستها !

هذه القصيدة هى (عرس مأتم) التى قال عنها أحد أصدقاء الشاعر وإنها نظمت

على مسمع ضعيف من موسيقى عرس حبيبته المغتصبة ، وكأن كل بيت منها جزء من فؤاده المنفطر » !

وسنعرض على القارىء بعض أبياتها ، قال فى استهلاله المؤثر الحزين .

عفبة أنت فى الخفاء وفى الجهـ ٭ ـر وفى الهجر يا أغانى الظلام
بلغى العاشق الأمين على العهـ ٭ ـد شقاء لقلبه المستهام
وارقأى أدمعى لحـى عزاء ٭ أن يسر الحبيب من إيلامى !

الى أن يقول :

كيف أنسيت باغرامى ولوعى ٭ هازئا من تقلب الايام !

وليقنع القارىء منى بهذا الآن ، فليس فى طاقتى أن أنقل اليه القصيدة كلها ، فلا يطالبنى بدراستها .. وليفعل ذلك هو إذا شاء فيرجع اليها فى ديوان « زينب » ويحمل وحده أساها وشجاها !

(٥)

غزل الكهولة

قلنا ان كهولة ابى شادى الغزلية هى أمتع أطوار شعره وإن يكن كله حيا صادقا ، حيث هدأت ثورة شبابه الحزينة وعاد اليه إدراك الحياة . وكاد يندمل جرح فؤاده .. لا .. فانه لم يندمل تماماً ، وإن جاز لنا تشبيه على يناسب أبا شادى الطبيب فلنقل إنها ضمادات تمنع النزف مؤقتا .. ولكن أثر الجرح مازال يؤلم الجريح ان أثارته الذكرى !

واطمأن الشاعر الى هذه الضمادات المؤقته ، وعلم أن الأمر قد قضى ، وتمت نكبته فى غرامه ، وليس يجدى فيها نقض ولا إبرام !

فهلا أخذه من حبها سلوان ! . . . لا ، فمازال الحنين يعود به إليها ، ولكن عبادته لجمالها تحولت الى عبادة مطلقة للجمال العام ، وهو يؤمن مع ذلك بوحدة الحب ، ويرى أن غزله العام فى الحسان يذكره بغزله فى حسنها ، أو على الاصح أنه يتمثلها فى سواها وأن عبادته للجمال المطلق هى عبادة رمزية لجمالها هى .. ترى ذلك واضحا فى قصيدته (الحسن الخائن) كما تحسها فى قوله فى (وحدة الحب) من قصيدته التى نشرتها « العصور » حديثاً :

مثل الجمال إذا خطرن لناظرى ٭ مثلت فيهن الجمال إزائى !

وقد ذكرنا أن غزل أبى شادى فى الكهولة تسامى أكثره إلى فنون أخرى ، ولم يكن يعالج الغزل إلا على أنه أنغام فنية تحمل إلى العاشقين معانى تسمو بهم عن شهوات المادة والحس .

وسنعرض عليك من غزل الكهولة هذا صوراً ثلاثا لعلها كل مايحوى :

١) غزل وجدانى

٢) غزل وصفى

٣) غزل قصصى

وسندرسها معاً الآن فى إيجاز ، وهناك صورة أخرى هي الغزل التصوفى ولكننا لانعرض لها الآن ، فلسنا نعدها من غزل هذا البحث وكله موجه للمرأة يشرح عواطف الرجل نحوها أو يصفها أو يروى قصصه معها . . . فلنبدأ بغزله الوجدانى .

ونريد أن نستهل ذلك بقوله فى قصيدته (أمتع الأنس) :

تنازلت طوعا عن وعود بجنة ٭ لساعة صفو منك بالحب غالية !

أتراه يعنى مايقول حقيقة ؟ أنظنه ينزل عن آخرته بساعة وصل منها !

وما الحور والولدان فى معرض الهوى ٭ وأنت مثال اللذة المتناهيـــة !

والحق أنه بهذا الاستفهام الانكارى يقدم لنا معنى طريفاً وإن كان يزري بالحور والولدان ولما يرذلك! ثم يصف الحبيبة ملتمساً مبرراً لغلوه :

وفى كل لفظ خفة أو رشاقة ٭ تجدد من أحلامى المتفانية

حقا ! . . لقد كدنا نزرى معك بالحور والولدان !

ولابى شادى فى مثل هذا المعنى أبيات جميلة بعنوان (جنونى) وهى إحدى غزلياته الكثيرة الصادقة فى ديوان (الشفق الباكى) ، وفيها يقول :

ومن لى سواها فى القيامة شافعاً ٭ لدى الرب إن جلت لديه ديونى !

ثم يردف ذلك بتعليل بارع :

أقول : إلهى أنت تدرى عبادتى ٭ لحسنك فى حسن أحل فتونى

فكل ذنوبى جنب ذلك تمحى ٭ ومابذنوب الحب غيرفتون !

فهو يعبد جلال الخالق فى جمال المخلوق ، ويرى أن فى ذلك شفاعة له يوم القيامة !

وهو يرى أيضا أن (جمال الكون طوع لحسنها) :

كأن جمال الكون طوع لحسنها ٭ وفى حسنها كل الجمال تناهى !
فإن هى بانت أوحش الكون بعدها ٭ كأنا عدمنـــا فى الوجود إلها !

وفى البيت الثانى شعور عميق نظم على قبسه الشيخ على الجارم أيضا وإن لم يأت بجديد فكل شعره الغزلى تقريبا مقتبس من (مسامرة الحبيب فى الغزل والنسيب) ولولا تلحينه والتغنى به لما كان له شأن :

فإذا وصلت فكل شىء باسم ٭ وإذا هجرت فكل شىء باك

فترى أيهما الذى وفق الى ابراز شعوره فى معنى جميل قوى وفى تعبير رائع آسر؟ أذلك الذى يقول إنها إذا بانت خيمت الوحشة والكآبة كأن العالم فقد إلهه المدبر الحاكم الذى يخفف من عبثه وينظم حياته وسعادته ! أم الذى يقول إنها اذا وصلت استغرق كل شىء فى التبسم وانها ان هجرت بكى وناح ! هذاهو الفارق مابين الشعر المطبوع وشعر الصناعة الذى كل بهجته فى رنينه الأجوف وبهرجه الكاذب .

ويرى أبو شادى ان فى هجرها فوق الوحشة والكآبة موتا له من الحسرة والأسى وهو يقول فى قصيدته (الوعد) :

غابت فمت بحسرة وهوى ٭ وكأن هذا الصد لى لحد !

ويشبه وعداً خالفته معه ببعث بعيد :

وظللت أذكر وعدها فإذا ٭ بالوعد مثل البعث لايبدو !

هذا غزل الوجدان ، أما غزل الكهولة الوصفي فأمثلته فى شعر أبى شادى كثيرة ولعل من أروعها قوله يصف غانية زلت إلى البحر تستحم فى قصيدته (سان استفان) :

تتســابق الأمواج فى ٭ تقبيلها قبــل الحنان !

وهو يحسب كل شىء فى العالم يود لو استمتع بتقبيلها حتى الأمواج يرى أنها لاتقنع بالقبلات فتعانقها وتحتضنها :

وعناقهــا طوراً برفـ ٭ ـق ثم آنا فى احتضـــان !

ويقول فى غادة ترشف (الكتيل) .

رشفت من الككتيل حلو شفاهها ٭ فأعارت الككتيل طعم شفاها

وآه من طعم الشفاه!

باللحظ قبل الثغر ينهل حسنها ۞ فيزيد فى ألق الكؤوس الزاهى !

وهو موقف رائع ! ترنو إلى الكأس أولا .. فتلاقى أشعة اللحظ بالزجاج ويزداد ألقه .. فهى تنهل بلحظها قبل الرشف بالشفاه ؟!

ويجيد أبو شادى فى وصف الحسناء وقد تبدت وبثغرها اللفيفة مشتعلة فى قصيدته (بين نارين) :

تبدت واللفيفة فى دخان ۞ بمبسمها تعبر عن ضرام !

فقلت لها أنا الأولى بثى ۞ دخاناً نم عن زاكى غرامى !

أترى مايثير اشتعال اللفيفة فى فمه ؟!

وله فى وصف (راكبة الدراجة) الحسناء متطوعة عصرية الروح جميلة المطلع :

من علم الحسن الدلال الذى ۞ ينساب لايرعى حقوق الأنام ؟!

ومنها :

أتعبت ساقيك بلا موجب ۞ ياحسن ساقيك بوثب يرام !

هــلا تسمت ظهوراً لنا ۞ فكلنا يحمل عبء الغرام !

أجل ! أجل !

ويقول للحسناء الفقيرة فى قصيدته (الابرة الفنانة) :

عـــلام وهبتنـا زفرة ۞ وليس لخالق حسرة !

أيشـــكو الفقر غنكم ۞ وعلى الألباب من نظرة !

تشكو الفقر كسائر البشر ! وما كان الحب شفيع فقر ، وإن شفع للمحبين يوم الحشر ! وأما الغزل القصصى فأمثلته كثيرة مبثوثة فى شعر أبى شادى ! وسنقتصر منه على دراسة (ليلة صيف) عند ما اجتمع بمن يهوى فى خلوة ليلية مقمرة فى فصل الصيف وقد غنت له أغنية حسبها توخت أن يكون توقيعها على وقع قلبه المضطرب :

غنت على وقع قلبى أى أغنية ۞ أهدت إلى الأمل البسام ريحاناً !

ويستزيدها غناءاً على العود فهى طب القلب ان قتلته نشوة الطرب :

غنى على العود ياشمسى وياقمرى ۞ فأنت طب له إن مات سكراناً !

وهو يحسب العود مشغوفاً بتحيتها فيسابق صوتها توقيعه :

تسابق الصوت أوتار مرنحة ٭ والقلب غيران يخشى منه غيرانا !

والقلب يغار من حنو العود ومن تسابقه إلى تحيتها :

فقبلت موضعاً في الفؤاد به ٭ وبللت بدموع منه أشجانا !

كأنما روعت من ناره فبكت ٭ والظلم يؤلم مشقى الناس أحيانا !

فلقد أشفقت على فؤاده فقبلت موضعاً اختلج فيه وبللته بدموعها كأنما راعتها حرقته ! ولم لا تفعل ! ألا يشجي الظلم عاتي الناس أحياناً !

٭٭

لقد تشعب بنا مجال القول ، وأظننا لانفرغ قريباً إن أردنا أن ندرس على هذه الطريقة نماذج من شعر أبي شادي الغزلي فما بالك به كله !

وكنت أحسب أنى أستطيع أن أدرس معك بعض غزلياته المختارة مثل (العليل المنفى) و (بعد الفراق) و (شعر الحب) و (بروحى) و (قبلة) و (تتساءلين) و (نماذج الشعراء) و (المثال) و (الحسن الخاتل) وغيرها ولكننى لاأدرى ماذا أذكر وماذا أترك . . . فليقنع القارىء بما ذكرنا من نماذج ، ولننتقل إلى الدراسة العامة فى إيجاز كلى مراعاة للمقام .

(٦)

غزل الطبع وغزل الصناعة — أثر الغزل فى شعر أبى شادى

بعض الشعراء من مهرة الصناع يتصيد المعانى كما يتصيدون الألفاظ ، ويرصفونها رصفاً متسقاً أو متقطعاً فى غير مبالاة أو مراعين على أكثر تقدير حلاوة الألفاظ وجرسها وما كان الشعر صناعة يلهو بها العاطلون والأدعياء المتكاسلون ! ولا فائدة لنا مطلقاً من الغزل الصناعي ولا من الاقتصار على الغزل الحسى ، وخصوصاً ذلك الذى تولده الغريزة الحيوانية فيكاد يتصل بالهمجية ويهجر روحانية الشعر الجميلة التى تصل الشاعر بالمعانى السامية .

وإن صح أن أبا شادى لاينظم إلا عن دافع وجدانى قوى حى فى أى ضرب من ضروب الشعر ، وإن صح أن هذا هو الواقع حتى فى شعره الاجتماعى والسياسى ، فهو

أحق ما يكون على الأخص فى شعره الغزلى الذى لا يمكن أن تشوبه شائبة الصناعة ، ولعل أصدق ما يوصف به هذا الغزل أنه موحي القلب الى القلب ، ورسول العاطفة الى العاطفة فلا مقارنة بينه وبين شعراء غزل المذكر وواضعى الأغانى الصناعية وأمثال هذا العبث الذى ابتلينا به فى شعر أكثر شعرائنا المعاصرين سواء كانوا من المحافظين الرجعيين أم من المتصنعين زوراً بالتجديد .

ويستمد أبو شادى من روح الغزل هذه فى مواقف رواياته الغنائية (أوبراته) حتى أنك لتلمس وأنت تقرؤها أنها حقائق واقعة ، وما ذلك إلا لأن مصادر استمداده الغزلية حية فى نفسه ، فهو شاعر الحياة بحق .

(٧)

خلاصة

ويمكننا أن نخرج الآن من هذه الدراسة المطولة بما يأتى :

(١) ان غزل أبي شادى هو أشبه بالهام حار الى النفوس الحساسة الرقيقة .

(٢) انه يصور لك فى رقة جمال المرأة ، ويصف ما يلاقيه الرجل فى هواها ويقص ما يكون بينهما فى كياسة تعبير لن تنفر منها بل تجتذبك اجتذابا .

(٣) ان معانى غزله تسمو بالنفس الى ماوراء العالم المادي حيث السعادة الروحية تزري بالبهيمية والحيوانية الممقوتة .

(٤) يصل غزله بين الجمال الانسانى والجمال العالمى فى فلسفة مقبولة تستوعبها النفس فى لذة واستمتاع عظيم

* * *

وهكذا كان غزل أبي شادى متمشياً مع طبيعته ومواهبه من جهة ، ومع ثقافة العصر من جهة ثانية ، وبذلك صار غنما للأدب العصرى عامة وللأدب المصرى خاصة ، ولم يكن مجرد عبث ولهو ضائع ؟

علي محمد البحراوي

يوبيل الكرملى

والنهضة اللغوية الحديثة

كان وقت لم يحتفل فيه أحد بتكريم نوابغ الرجال يتنالى أن أخذ الاستيقاظ الفكرى يتمشى فى بيئاتنا المتعلمة ، فبدأنا حينئذ نلتفت الى هذا الواجب الاجتماعى ، فاهتم عظماؤنا بتكريم المرحوم العلامة سليمان البستانى معرب « الالياذة » ، وتبعت ذلك حفلات للتكريم مناسبة وجديرة بالاعتبار . ثم جاء وقت أصبحت فيه حفلات التكريم مبذالة تقام بمناسبة وبغير مناسبة لكل من خدمته الظروف ، سواء كان أولم يكن على جانب من المواهب المذكورة وأخيراً فى عهدنا الحاضر — عهد التيقظ الأتم — أخذنا نعنى بتكريم نوابغنا فى مصر خاصة وفى العالم العربى عامة ولكن بتيزان .

ولعل من أصدق المظاهر لهذا التنبه المحمود حفلة اليوبيل الكبرى التى أقيمت حديثاً فى بغداد لامام اللغة الشهير الأب أنستاس مارى الكرملى ، وقد اشتركت فى اقامتها الحكومة العراقية ورجال الأدب فى العالم العربى ومشاهير المستشرقين . ولو كانت الحفلة فى مدينة سهلة المواصلات لحضرها الجم الغفير من أهل العلم والادب من مختلف الاقطار ولكانت مؤتمراً أدبياً عظيماً . ولما اكتفى الكثيرون اضطراراً باهداء تمنياتهم الطيبة عن بعد . على أننا نرجو أن يكون لمصر حظ خاص فى تكريم حضرة الأب الجليل بين ربوعها فى المستقبل .

ولكن لماذا نعلق أهمية خاصة على هذا اليوبيل ليس ذلك لمنزلة فضيلة الأب المحتفل به فقط ، ولكن لظروفه الاجتماعية أيضا . فالأب الكرملى راهب متقشف يعيش فى بيئة منقسمة إلى شيع وطوائف دينية شديدة التعصب ، تنفر كل منها من الاعتراف بفضل من لا ينتسب إليها ، وكثيراً ما تستحل الطعن فى أخيار الرجال ، مدفوعة بعامل التعصب المذهبى الذميم !! ولكن برغم كل ذلك لاقى الأب الكرملى من الحفاوة البالغة به ما دل دلالة صريحة على التيقظ الفكرى السليم فى العراق بل فى العالم العربى بأسره ، وكان ذلك فى دار فخامة رئيس الحكومة العراقية برعاية معالى وزير

معارفها ، وباشراف كثيرين من الوجهاء والادباء وصفوة أبناء العراق على اختلاف مشاربهم وعقائدهم الدينية والسياسية .

***

ولد الأب أنستاس في بغداد في ٥ آب أغسطس سنة ١٨٦٦ م ، فهو الآن شيخ جليل يناهز السبعين من سني حياته المباركة . ولكنه مايزال فتى في نشاطه وهمته وصفاء تفكيره وجلده العظيم وفي حبه للعمل المنتج ، واهباً نفسه هبة صادقة للغة والادب ، ستبقيا عهده الديني في تقشفه التام .

وقد أنفق الاب الفاضل نحو خمسين عاما في تدريس العربية وآدابها ؛ فقد ظهرت علامات نبوغه المبكر وهو ابن ست عشرة سنة وحينئذ تولى التدريس في مدرسة الكرمليين ببغداد ، وكان قبل ذلك يقوم بالتدريس الخاص . وهذا نبوغ مبكر حقا . ولم يكن نشاطه قاصرا على التدريس بل كان يكاتب طائفة من كبريات الصحف والمجلات في ذلك العهد كالبشير والشفاء والجوائب منهما الابحاث اللغوية والادبية . وفي سنة ١٨٨٦ م . قصد المدرسة اليسوعية الاكليريكية في بيروت لتدريس العربية وفي الوقت ذاته كان يدرس اليونانية واللاتينية .

وقد أتم فضيلة الاب الكرملي دراسته الدينية ورهبنته في بلجيكا وفرنسة . وبعد أن قسس غادر فرنسة إلى الاندلس ليطلع على مخلفات الحضارة العربية . ثم عاد الى بغداد فتولى ادارة المدرسة الكرملية وتعليم العربية والفرنسية فيها . الى أن تفرغ أخيراً لابحاثه المستقلة العظيمة ومجلته الشهيرة (لغة العرب)

وقد زار المترجم مصر كما زار أوربة مراراً . وكذلك تجول في كثير من أقطار الشرق ، فاكتسب بذلك معارف شتى وخبرة واسعة بطباع الناس وأخلاقهم وميولهم .

ولفضيلته من الابحاث المبتكرة في كبريات المجلات كالمقتطف والهلال والمشرق والزهور والمقتبس والمباحث والمنهل والزهراء وفتاة الشرق وغيرها ما كان ولا يزال موضع العناية والاجلال ، سواء كان بامضائه الصريح أو بامضاء مستعارة كما كان يفعل كثيرا زهدا في الشهرة ، وحباً في خدمة اللغة والأدب والتاريخ لذاتها .

ويعد الأب الكرملي عن جدارة الحجة الثقة في فلسفة اللغة العربية وشيخ أئمتها

وما كان ذلك عن اطلاع كبير أو ش ذاكرة نادرة فقط بل كان أولا لعبقريته المبتكرة الفذة . فاذا أردت دليلا سليما فى مجال البحث المستقصى المشبع بالتحليل والذكاء والاستنتاج العميق فحسبك أن تقرأ ما كتبه عن « أداة التعريف فى التاريخ » كمثال لمباحثه الجليلة التى لم يسبقه اليها باحث ولم يلحقه فيه مجتهد : واذا أردت نموذجا لنقده اللغوى الدقيق المملوء بالانصاف والأحكام فحسبك أن تقرأ ما كتبه فى نقد معجم « البستان » . وهذه مجلته « لغة العرب » مفعمة دائماً بالكثير من مباحثه النقدية الثمينة .

وقد أدى تخصص الأب الكرملى فى فقه اللغة العربية الى اهتمامه بلغات شرقية قديمة وحديثة وتضلعه منها كاللغات الأرمية والعبرية والحبشية والفارسية والتركية والصابئية ، دع عنك اللغات الاوربية القديم منها والحديث على السواء . فأصبح دائرة معارف لغوية مدهشة ، وصار علماً لايسامى فى منزلته ومعارفه الفذة الممتازة التى يستثمرها خير استثمار فى جميع كتاباته ومباحثه .

وقد نكب الأب الكرملى أثناء الحرب العظمى بتبديد مكتبته الكبيرة على أيدى الاتراك وبنفيه زمنا الى قيصري حيث لاقى صنوفا من الهوان والعذاب حتى اذا ما عاد الى وطنه انكب غير يائس على اصلاح ما أتلفت ظروف الحرب والسياسة مجدداً قدر الطاقة مكتبته ، ومضاعفا جهوده لخدمة اللغة العدنانية . ورغم مكانته العالية فى جميع المحافل الأدبية واللغوية وفى دوائر المستشرقين التى كثيرا ما ترجمت مقالاته الى الفرنسية والانكليزية والألمانية والروسية والايطالية والاسبانية فانه لم يقو على نشر تآليفه وهى كثيرة حتى اذا استثنينا منها ما عبثت به أيدى الغزاة أثناء الحرب العظمى حين تبديد مكتبته ونفيه مع من نفي من كرام العراقيين . ومن أهم تآليفه (غير تصحيح المعاجم الكبرى وغير اشتراكه فى تهذيب تآليف جمة تنشر ونشرت فى الشرق العربى وفى أوربة) هذه الاسفار القيمة : « جمهرة اللغات » و« كتاب الجموع » و« كتاب السحائب » و« الغرر النواضر » و« العرب قبل الاسلام » و« شعراء بغداد وكتابها » ، وكلها تتناول من مباحث اللغة والادب ومسائل التاريخ ما يمتاز بالابتكار والتعمق والاستقصاء بحيث تسد فراغا عظيما فى ثقافتنا اللغوية والتاريخية ، ويبلغ مجموع مؤلفاته نحو ثلاثين كتابا جديرة كلها بالذيوع والاجلال . ولعل أهم ما يعنينا منها معجمه الكبير الذى ضمنه

ماذكرته المعاجم القديمة وما أغفلته . ويجب أن لاننسى أيضا فضله العظيم فى وضع ألفاظ جديدة لكثير من المسميات الحديثة . نستعملها تكرارا دون أن نعرف مبدعها المتواضع المتوارى ولعل أشهرها لفظ « برقية » لكلمة (تلغراف) ، ولفظ معلمة لكلمة (انسيكلوبيديا) .

ومن المصريين الذين كتبوا عن الأب الكرملى كتابة تاريخية ذات تحليل فلسفي الاستاذ احمد الشايب الذى عد الكرملى فى العراق بل فى الشرق العربى مدرسة قائمة فى شخصه يقابلها فى مصر دار العلوم . وعندنا ان الأب الجليل أسمى من ذلك وحسبك أن تطلع على آثار المستشرقين ومجلاتهم وعلى جميع الكتب العربية المحققة الهامة التى صدرت فى أواخر القرن الماضى وفى هذا القرن لترى النفوذ اللغوى والأدبى للعلامة الكرملى منبثاً فيها . حينما لاتجد شيئا من هذا لأساتذة دار العلوم . . . فلا عجب بعد ذلك اذا كانت سيرة هذا اللغوى الكبير محببة فى الغرب وموضوع كتابة امثال كراتشكوفسكى المستشرق الروسى ، وغبريلى المستشرق الايطالى . كما أنها موضوع إجلال كل عربى يجل العلم النزيه غير متأثر بالتعصب الأعمى لجنس أو دين أو مذهب.

* *

وبعد هذا . فما هو أثر الكرملى فى نهضتنا اللغوية الحاضرة ولماذا يكون ليوبيله ميزة خاصة .

وعندنا ان الاجابة على هذا السؤال الوجيه ميسورة وخليقة بالاهتمام بها فلنجملها فى النقط الآتية :

(١) الأب الكرملى مثال لرجل العلم اللغوى الصادق الذى يقدس النزاهة العلمية غاية التقديس ، وحسبنا أن نذكر مناقشته التاريخية الحادة للأب لويس شيخو اليسوعى حينما نسب النصرانية خطأ الى بعض شعراء العرب وأدبائهم . فأبت ذمة الأب الكرملى النصرانى أن يقبل ذلك إنصافاً للعلم والتاريخ وهذه الصفة النزيهة متجلية فى جميع كتاباته بحيث انه يتساوى أمامه فى مجال النقد الأصدقاء وغيرهم على السواء . وهذا اجعل الكرملى قدوة صالحة فى النقد ، وكون لآرائه المستقلة قيمة

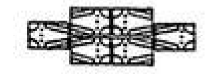
ثمينة فى عالم الأدب ، كما خلق له كثيرين من الخصوم بين الجهلة والمغرضين وأهل الادعاء الكاذب .

(٢) للرجل فضل لاينكر فى حركة النشر اللغوى والأدبى الصحيح شرقاوغرباً ونظن الاساتذة احمد زكى باشا واحمد تيمور باشا والدكتور محمد شرف بك وأمثالهم فى مقدمة من يشهدون بذلك . وهذا مايجعل العالم العربى بأسره مدينا لفضله العميم

(٣) وضع الأب الكرملى قواعد جديدة للبحث والنقد اللغوى ولدراسة فقه العربية تنم عن ذكاء عظيم ومقدرة فائقة فشجع الابتكار فى الدرس والبحث ،وقضى على أساليب القدامى النقلية التى جنت شر جناية على ثقافتنا اللغوية وأطالت أسرها فى سلاسل التقليد .

(٤) قضى الأب الكرملى على التنطع اللغوى ، وبرهن برهاناً عملياً على أن العالم اللغوى يجب أن لا يتجرد من صفات الكاتب الأديب العصرى .وهذا مايمتاز به أسلوبه دون غيره من اللغويين المتحذلقين وإن لم يدانوه معرفة وذكاء .

(٥) عاش الرجل طول حياته الثمينة العامرة مثال النزاهة والسمو والاخلاص الكلى لما وهب نفسه له . فاستحق بتضحياته المتنوعة المتواصلة إكبارنا الأوفى .



الادب السورى

وأثره فى النهضة المصرية الاخيرة

بحث نقـدى برىء

القومية المصرية والقومية السورية ــ تقدم النهضة فى سوريا ــ مميزاتها نهضة مصر المتأخرة تنسخ نهضة سوريا ــ الخلاصة .

للاديب الناقد المفكر الاستاذ البحراوى

قد لاتؤدى كلمة « قومية » هنا المعنى الذى نود أن نطبعه فى ذهن القارىء ، فانما نقصد منها الذاتية ، أو بعبارة أوضح الشخصية الأدبية .

ونريد أن نقول إن المصريين شخصية أدبية تبقى صبغتها تحول بين الاندماج الكلي والفناء فى أية قومية أدبية أخرى ، بعكس اخواننا السوريين فـرعان مايندمجون وينسون مدلولهم الاصيل ! وهم مع ذلك لن يملأوا هذه القومية الجديدة ــ التى تخلق لهم ــ ويسيرون بين الشخصيتين كالغراب الذى أراد أن يقلد الطاووس !

ولم نر ــ ولا نحسب القارىء رأى ــ سوريا يتقن فنا من الفنون أو حتى لغة من اللغات اتقانا حسنا اللهم الا نادرا . فهو يعرف من كل مسألة طرفا بروح نفعية تجارية ولكنه لن يلم باحداها الماماً تاماً !

ولعل هذا هو السر فى التباين الشاذ الذى تراه فى الادب السورى . فأنت تلقاه فى سوريا ساذج التفكير واضح البساطة ، وأنت تقرؤه فى مصر هادئا متشدا ، وأنت تنظر فى أمريكا خيالا متنقلا يثب وثوب مجنون !

وكادت النهضة تقوم فى مصر بالحملة الفرنسية قبل قيامها فى سوريا لولا أن اتخذت الحملة مظهرا سياسيا عالميا طغى على ناصيتها الادبية ، ولو لاتعصب (عباس الاول ورجعيته ، وعبث (سعيد باشا) وعدم عنايته ، ثم لولا الظروف المالية السيئة التى أحاقت (باسماعيل باشا) لكانت النهضة فى مصر هاديا ومرشدا لسوريا أولا وأخيرا !

ولم يكن لاخواننا السوريين أى فضل فى تقدم النهضة عندهم وإنما يرجع ذلك كله الى جماعات المبشرين ومدارس الارساليات الدينية التى أنشئت فى سوريا إذ ذاك .

وقد قلنا إن قومية السوريين — نعني شخصيتهم الأدبية طبعا — مرنة تتأثر بما يلابسها وتحاول أن تندمج فيه ، وهي لا توفق فى أكثر الاحيان ، يدلك على ذلك الاختلاف الواضح فى التفكير والاسلوب وحتى فى الموضوعات التى يتناولها السوريون فى كل من سوريا ومصر وأمريكا .

ففي الاولى — مثلا — تتجلى صفات الادب السورى الاصيلة وهى النعومة أو الطراوة بل الاسترخاء — وعذرا إن لم نجد كلمة أخرى تحمل الى القارىء المعنى الذي نقصده فى دقه وتحديد — نقصد الطراوة التى تكاد تسمى أنوثة ، وليان الاسلوب ، وسذاجة التفكير وإسفافه أحيانا ، وهى صفات تلازم السوريين أينما وجدوا ، ولكنها تتغير بالبيئة والوسط وتتجلى فى مظاهر شتى !

فهى فى سوريا لاتحتاج الى تدليل : تلمسها عند أي شاعر أو أديب تعمد الى آثاره بل وتشهدها واضحة جلية !

أما فى مصر فأنت تحسها عند السوريين المستجدين : أقصد حديثى العهد بمصر أو الذين تغلب عليهم طبيعتهم الاصلية وقد تؤثر ملابسة البيئة المصرية فتساعد على عدم ظهورها عند بعضهم الى حد ما .

وفى أميركا تسير النعومة والليان فى قالب خيالى يهوى بك الى حيث لاقرار ولانهاية وربما كان ذلك نتيجة لتفاعل الادب الانجليزى الجاف مع الطبيعة السورية اللينة

وقد يعجب المصريون — والشبان منهم على وجه التخصيص — بأدب جبران وأقرانه لان هذه الطراوة والليانة والتفكك فى ذلك الخيال المتوثب قد تستطرفها الرجولة الخشنة !

وقد يهم القارىء أن يعرف أنى أريد ان استثنى من هذه القاعدة ثلاثة من أركان النهضة هم : يعقوب صروف ، جورجى زيدان ، خليل مطران .

وهؤلاء أقرب السوريين إلى التخلص من هذه الطراوة التى بيناها ويرجع ذلك عند كل منهم إلى أسباب : أما الدكتور صروف فقد كان فى مبدأ الأمر — عند ماهاجر من سوريا — تتجلى عنده هذه العوامل بشكل بارز يلمسه من يقرأ مجلدات المقتطف الأولى ، ولكن طول مدة إقامته فى مصر وتأثره بالقومية المصرية ثم اشتغاله بالمسائل العلمية التى اضطرته الى أن يرجع الى المؤلفات الاجنبية يدرس فيها

الابحاث العلمية الجافة ، كل ذلك ساعد على تخليصه من أسر الليان والطراوة !

ولما أراد جورجي زيدان أن يكتب رواياته المعروفة فى التاريخ العربي اضطر أن يلتزم المراجع الأدبية ويتأثر بجفافها وجدها وخشونتها . . ثم ان طول مدة إقامته فى مصر واتصاله بالأدباء المصريين كان لهما أكبر الأثر فى تركه لهذه الليانة نوعاً

ويمكنك أن تقول عن خليل مطران أنه مصرى أكثر من كونه سورياً لانه متأثر بالبيئة والشخصية المصرية أكثر من تأثره بالقومية السورية . ثم إن دراسته لشكسبير وغيره من أدباء الانجليز لها أثر فى هجره للطراوة والليان . .

ولكنه لما كان شاعراً ، وكان الشعر يحتاج الى بعض الرقة فهو أكثر من زميليه تأثراً بالطبيعة السورية ، ومن ثم يعيب البعض على مطران الركة وضعف الأسلوب ونحن وان كنا لانميل إلى إتهام مطران بهذا إلا أننا نقول انه لايسلم فى بعض الاوقات من مخلفات سورية وآثارها فى شعره . . ولعله يأنس من نفسه هذا فيتحرى فى نثره أحياناً الاسلوب العربى الفحم الجزل !

و إذا كانت مصر الآن هي المثال الذي تحتذيه سوريا وغيرها فقد يكفى هذا للدلالة على أن النهضة المصرية العتيدة تنسخ نهضة سوريا القديمة !

***

والخلاصة : ان البلاد السورية بطبيعتها رافهة ناعمة ، وأهلها قوم وادعون و إن كانوا غالبا ضعاف القومية . . وجاءت الشخصية الفرنسية تناسب المزاج السورى ففنيت فيها قوميتهم . وقد أصبح الأدب الفرنسى الآن أفقر الآداب العالمية بعد انصراف رجاله فى الأزمنة الأخيرة إلى ناحية واحدة فحسب هي الناحية الليريكية أي مايتناول نظم الوجدان والغناء . . ولا يخرج محور الأدب الفرنسى الآن عن دائرة العبث والمجون أما الملاحم الشعرية المجدية . وأما الشعر التهذيبى والشعر الانسانى وشعر القصص العالى فيكاد يحتضر فى الأدب الفرنسى ، هذا إن لم تقم ثورة فكرية أخرى تغير مرامي هذا العبث وتدعو الى استئناف تشييد الصرح الذى تعب فيه هيجو ورستان وانداداهما من أدباء الدرامات الخالدة .

وتعساً للأدب السورى إن ظل مستمسكا بهذا المنهل الفرنسى الماجن ولم يبحث عن ملهم آخر أكثر رجولة وأبعد عن الطراوة والليان فلعل هذا الاصلاح المأمول يتم بجهود النابغين من أدباء سوريا الناجبين ؟ على محمد البحراوى

التاريخ السرى

للنسر الصغير

تاريخ حياة ابن نابليون بونابرت نقلا عن ملفات السراي النمساوية السرية التي نشرت حديثاً وفيها بيان عن كيفية موت ابن نابليون

كانت مأساة نابليون على وشك الانتهاء. فقد دخل الممثل الأول (بونابرت) بين الكواليس وظل ابنه يمثل على المسرح دور خيال يخيف ممالك أوربا. ولكن النطاق الذى كان يحيطه به مترنيخ أخذ فى صبغ الفتى الصغير بالصبغة النمساوية وأجبره على الابتعاد عن التفكير رويداً رويداً فى مستقبل رأسه وفرنسا. أضف الى ما سبق أن وطأة المرض مع الثوب العسكرى النمساوى أثرا فيه تأثيراً عظيماً خفف بذلك الكابوس الجاثم على صدر سياسيي أوروبا.

وبالرغم من سوء صحته أخذ البشر يرتسم على وجهه وكان قد بلغ سناً تسمح له بحضور الاجتماعات وقد فعل ذلك أول مرة فى مرقص السفارة الانجليزية فانهالت عليه الدعوات من كل صوب ولكنه كان علاوة على ذلك يرتاد الملاهى العمومية وكم وقعت الفتيات فى شباك غرامه ولكنه كان دائماً أقرب إلى السويداء. كيف لا وكان حوله مراقبون يضيقون عليه الخناق كما كان يفعل مربوه فى السفر وكانت المراقبة مناطة بثلاثة أشخاص الكونت هرتمان العسكرى ويوزباشيين بصفة ياورين وكانت لديهم تعليمات تقضى بملازمتهم اياه طول الوقت

عين قائداً لاحدى الفرق فلم تقعد بنيته وتقدم الى العساكر فقابلوه بالابتهاج العظيم الأمر الذى لم يحدث له مثيل فى الجيش النمساوى من قبل!

وقد قال طبيبه بأن سبب ضعفه ناتج عن سرعة نمو عقله وضعف تكوينه وطلب اليه أن يقلل من اجهاد فكره. وقد حدث أن أغمى عليه مرة فادعى رجل من حاشيته بأنه انما فعل ذلك كى يسرح من صفوف الجيش لذلك بذل الشاب جهداً عظيماً فى عمله ليكذب ذلك الافتراء. فد ما نسب له شدة المرض وكان يجيب كل

المستفسرين عن صحته بقوله إنها أحسن . وكان ميلا لكبح جماح الخيل العنيدة وكثيرا ما كان ينتقل من ظهر حصان بعد كبحه الى ظهر حصان آخر ليثب به فوق الخنادق . ولم يكن أتباعه يجرؤون على اتباعه . وكان هذا المجهود هو الوحيد المصرح به للشاب كي يفرج عن نشاطه المسجون فى ذلك الجسم الضعيف وكان يقول الطبيب عند ما يراه يفعل ذلك إنه يخاطر كي ينتحر للخلاص من مرض السل ، وكم نصح بارساله الى إيطاليا لتبديل الهواء ولكن مترنيخ رفض تسفيره خوفا من حدوث مظاهرات له ولكن لما اشتد المرض سمح له جده الامبراطور (والنامه) بالسفر ولكن حين لم تعد هناك فائدة ترجى من الاستشفاء .

حدث مرة أن الامبراطور اهان حفيده امام فرقته إذ أمره أن يتعكف فى القصر فلما شرع فى تنفيذ الأمر مال الفتى على طبيبه يقول أشكرك يا دكتور لانك دبرت هذا الاعتقال ، وفى سجنه احتل الغرف التى أملى فيها والده شروطه على بيت النمسا الملكى دفعتين عام ١٨٠٥ و ١٨٠٩ حيث حاول البعض مرة القضاء عليه (أبيه) فى احداها وكان من ضمن قطع الاثاث الموجودة فى غرفة نوم الشاب سجادة رسم عليها لصوص محملين مانيبوم على عربة كبيرة وكانت تحوى أيضا صورة الامبراطور جده وصورة والده فى ركن مظلم ولم يكن يصرح له بالخروج الا نادرا ، وهو راكب . وقد هبت عليه زوبعة مرة فرفض أن يرفع غطاء العربة فوصل الى القصر مريضا

وأما ملفات القصر السرية ففيها أخبار كثيرة عن مرض وموت الدوق الشاب ومن المؤكد ان جده الامبراطور كان يشك فيما اذا كان حفيده قد مات ميتة طبيعية وقد تساءل ملك بافاريا عما إذا كان مترنيخ قد قتله . وبعد عشر سنوات تداول الناس نشرة يدعى كاتبها ان مترنيخ قد دس السم للدوق فقال البعض إن طبيب الدوق هو الذى دس السم له بأمر مترنيخ وقال البعض الآخر بل هو طبيب الاسنان

وقد أتى وقت اجبر فيه الدوق الشاب على تناول لبن الاتان مع ماء ماريئباد دون غيره ومرت عليها ليال عديدة لم يطرق النوم فيها جفنيه فكان يستسلم فى النهار للنوم لماماً وقد عقد الاطباء اجتماعا قرروا فيه انقطاع الامل وكان الدوق فى ايامه الاخيرة مستسلما للتفاؤل والتشاؤم العنيفين ، فقد سر مرة من سمع خبر السماح له بزيارة

ايطاليا واخرى عند ما اهداه جده بعربة جديدة وهكذا أما بقية الوقت فكان مستسلما للسويداء القاتلة

وقد احدثت وطأة المرض الاخير عدم استقرار فى البلاط النمساوى فقد كان النبلاء يتساءلون عما يجب فعله اذا مامات النسر الصغير حتى ان رئيس التشريفات أرسل لمترنخ يستفتى عما يجب اتباعه اذا حلت الوفاة واقترح الاحتفاء بجثمانه كما يحتفل بنقل بقايا من يتوفى من الارشدوقات فوافق مترنيخ على ذلك وقد حلوا مسألة التناول الاخير (تناول من قد قرب موته للقربان المقدس) بطريقة طريفة فان احدى قريباته وكانت على وشك الحمل رجته فى أن يتناول معها حتى تزيد البركة التى تحل بمولودها ففعل دون أن يلحظ بانه على وشك الموت يتناول سر المسيحية الاخير

أما مارى لويز فلم يظهر عليها الحزن لقرب فقد ولدها ولما وصلها خبر سوء حاله وهى فى ايطاليا لم تذهب اليه ويعزون السبب فى ذلك الى خجلها من مقابلته فاعتذرت بحالتها الاقتصادية من جهة و برغبتها فى عدم تعكير الصفو السياسى من جهة أخرى ولكن مترنيخ أرسل اليها يطلب حضورها عاجلا حتى لايتهم هو بانه كان المانع من لقاء الأم وابنها لبقاءهما الاخير فاتت على آخر لحظة فوجدته يغذى تغذية صناعية على يد ممرضة وكان الدوق مشتاقا لرؤية والدته ولكنه لم يعرفها حين قربت من سريره اذ كان يتململ من آلامه المبرحة وهو فى غيبوبته الاخيرة

وقدوصف بعض المؤرخين مارى لويز بانها أم متحجرة القلب فى حين قال البعض الآخر العكس ولكن ثبت من الملفات السرية انها كانت تسأل كم سيطلب منها دفعة للأطباء اذا مات الدوق ولم تسأل عن صحته أبداً

ومن الغريب أن زوبعة هائلة اكتسحت جزيرة سان هيلينا ونابوليون يلفظ نفسه الأخير فيها . وهذا هو نفس ماحصل والنسر الصغير يموت فهب من سكرة موته وهو يقول « اعدوا الجياد فانى عازم على زيارة أبى » ثم سقط على فراشه وهو يئن قائلا « امى امى انقذينى » وهكذا أخلص الروح وكان فى الحادية والعشرين من عمره

كانت امه نائمة حين مات ولما علمت بالخبر سارعت الى غرفته ثم سافرت قبل ان يدفن وقد كتبت الى والدها الامبراطور الذى كان متغيباً وقت وفاة حفيده

تقول « مات ابني المسكين الساعة ٥:١٠ وقد استجابت السماء دعواتي فكان هادئا فى ساعاته الاخيرة . اقبل يديك يا والدى العزيز واشكرك على كل الانعطاف والحب اللذين بذلتهماله »

وقرر أن النسر الصغير لم يترك وصيه ولكن المؤرخين ينكرون ذلك لانه كانت هناك مذكرات مملوءة بآراء الدوق السياسية وبشكاوى من سوء المعاملة التى لاقاها فى النمسا وهى أمور كانت تسبب اضطرابا فى السياسة الاوروبية اذا نشرت كيف لا وأقل الحقائق المعلومة كانت تثير غضب الرأى العام فقد مات ابن أعظم فاتح لايملك شروى نقير محروما من الحرية وليس هذا فقط بل مات ايضا ميتة غير طبيعية

وكم حاول مترنيخ اثبات أن الدوق مات ميتة طبيعية وكان فى هذا منتهى الاذلال لذلك السياسى فالتهمة فى حد ذاتها شنيعة وقد نشر مترنيخ تقرير الاطباء السبعة تبرئة لنفسه وفيها ذكر بأن الرئتين قد تلفتا وأن تكوينه الطبيعى كان غير جيد بالمرة ولكن شك الناس فى ذلك التقرير أيضا خصوصا وأن الحزن الرسمى كان من الدرجة الثالثة ، أى الحزن المتبع لطبقة الاشراف الاقل كثيرا من طبقة النسر الصغير حتى بصفته دوقا نمساويا

وقد حفظ قلبه فى كاس ذهبي دفن فى أرض كنيسة القديس اسطفان وأما الجثة فدفنت مع جثة أفراد العائلة الملكية فى المقبرة الملكية

وأما عدم انتظار والدته لحضور الجنازة فقد أثار زوبعة سخط عليها فاتهمت بأنها لم تتمالك الامتناع عن استهتارها بالأقل حتى يوارى ابنها اللحد

ومع أن الآهلين كانوا ساخطين على بونابرت لهدمه مدينتهم بمدافعه فقد وقفوا مطرق الرؤوس على الجانبين يبكون الشاب المحبوب فأنساهم ذلك هول مواقع مارنجو وارسترليتز وجرام

وأما جدته لوالده فلم تعلم بموت ابن ولدها الا عندما وصلها كتاب من أمه وكم حاولت العجوز العمياء وكانت تبلغ من العمر اذ ذاك ٨٢ سنه أن تتصل بحفيدها عن طريق الكتابة ولكن مترنيخ كان يمنع إيصال كتبها الى الدوق وبالطبع لم يصل للمسكينة أى رد على خطاباتها المتتابعة فحولت وجهها شطر مارى لويز ولكن لم تتنازل هى الاخرى للكتابة إلا لنفي حفيدها

كتب ادمون روستان رواية النسر الصغير وفيها صور مترنيخ يكتم اطماع ابن بونابرت بالتلاعب بحبه ويدعى ان الدوق قد القى بين يدى راقصة فاحبها ولكن لا اثر لهذا الادعاء فى اللغات السرية، وغاية ما فى الامر ان جمال منظره واتصاله برجل اوروبا الحديدى جعل النساء يحمن حوله فبذل مترنيخ جهداعظيما لاقلاق راحته وكيف لا يفعل والفتى كان رمزا لروح الثورة الاوروبية. فالنسر الصغير لم يكن الاالثورة الفرنسيه مجسمة وعبثا حاول البلاط النمساوى ان يصور الوالد لولده فى صورة الوحش المجرم الواجب التبرؤ منه. وكانت مارى لويز من احط الاميرات اخلاقا فكان ابنها مرسحا لنضال عنيف قام بين حطة امه وعظمة ابيه فقد كان مملوءا بالآمال. ولكن الاقدام كان يعوزه فسقط مريضا من شدة ذلك النضال وكم قال الواقفون على اسرار ذلك العهد إنه اذا لم يقص مترنيخ جناح ذلك النسر ويرهقه فقد تسنح له فرصة للوثوب الى مكان العظمة التى تبوأه ابوه وللآن يوجد مغلف سرى معنون Secretissima ، سرى ، بيد مترنيخ يحوى وصفا لحياة مارى لويز الخليعه

كانت مارى بعد اسر نابليون أسعد مما كانت امبراطورة فاستسلمت للملاذ حقيقة انها حاولت أن تضم ابنها فى مبدأ الأمر اليها فى «بارما» ولكنها لم تلبث حتى نسيته وهى بين أحضان محبها «فكتوار» ولما قام النضال بين فريق الكربونارى Corbonari وبين مترنيخ كان من رأى الاخير انه لم تكن إيطاليا الا اسما فى حين عارض الاولون هذا الرأى، كان الكونت نيبرج Neipperg قد احتل الفراغ الذى حدث بابعاد نابليون على صدر مارى تريز وادعى بعض المؤرخين انهما لم يتزوجا فى حين قال البعض بزواجهما فى تاريخ غير معروف ولكنه تم سنة ١٨٢٢ مع ملاحظة ان مارى تريز لم تطلق من زوجها الاول وفى كتاب ضمن اللغات السرية تقول مارى تريز لمترنيخ انها قد ولدت ابنتها البرتين فى أول مايو سنة ١٨١٧ وابنها وليم فى ٨ أغسطس عام ١٨١٩ من نيبرج - أى قبل موت زوجها بونابرت - وقالت ان تكليلها على زوجها الثانى حدث فى سبتمبر سنة ١٨٢١ - أى بعد موت نابليون - ولما سمع النسر الصغير خبر زواج أمه لم ينبس بكلمة حتى انه لم يسأل ولا مرة اذا كانت قد

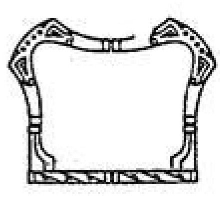
حملت من زوجها الجديد أم لم تفعل . وقد غير مترنيخ فى وصية نيبرج اذ حذف منها تواريخ ولادة أولاده من مارى تريز كما حذف تاريخ زواجه بها

ولو علمنا ان نابليون مات فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ وان الخبر كان يحتاج الي ثلاثة اشهر ليصل الى اسماع امرأته فانها قد تزوجت رسميا على أثر سماعها الخبر واذا كانت ولدت ولادة شرعية لوجب أن يكون أول أولادها حيا فى مايو سنة ١٨٢٢ وقال الكونت نيبرج ان الامبراطور « قد اعطانى ابنته لافعل بها ما أشاء » ولم يعلن الزواج رسميا أبدا

أما ابنها النسر الصغير فكان الوحيد الذى يتألم من سوء سلوك والدته وروى عنه انه قال « كم من الوقت سأظل فى هذه الحياة المقوتة » ولحسن حظه انه لم ينتظر كثيرا

ملخصه ابو العينين





فهرست العدد

تابع الفهرس

أصل الأنواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة في التناحر على البقاء

يصدر الجزء الثاني في ٢٠ مارس الجاري

ويصدر الجزء الثالث منه في ٢٠ ابريل القادم

فارتقب صدورهما واقتن هذا السفر العظيم لتفوز بكنز علمي معدوم النظير - أن « أصل الأنواع » أساس للعلوم الحديثة ولا يستغني عنه عالم ولا أديب . هو مرجع الفيلسوف وعماد العالم الطبيعي .

ثمن الجزء ١٥ قرشاً صاغا وبعد نهاية الطبع ٢٠ قرشاً .

